تاريخ

عرفان شهيد

روما و العرب

ترجمة
قاسم محمد سويدان

كيوان
للطباعة والنشر والتوزيع
KIWAN
PUBLISHING HOUSE

روما والعـرب

Rome and The Arabs

رومـــا والعـــرب

Rome and The Arabs

مقدمة

في

دراسة العلاقات

بين

بيزنطة والعرب

الدكتور عرفان شـهيد

الأسـتاذ بجامعة جورج تاون

ترجمة

المهندس قاسم محمد سويدان



❖ الكتاب : روما والعرب
❖ المؤلف : الدكتور عرفان قعوار شهيد
❖ المترجم : المهندس قاسم محمد سويدان
❖ تصميم الغلاف : وائل كيوان

❖ الطبعة الأولى ٢٠٠٨

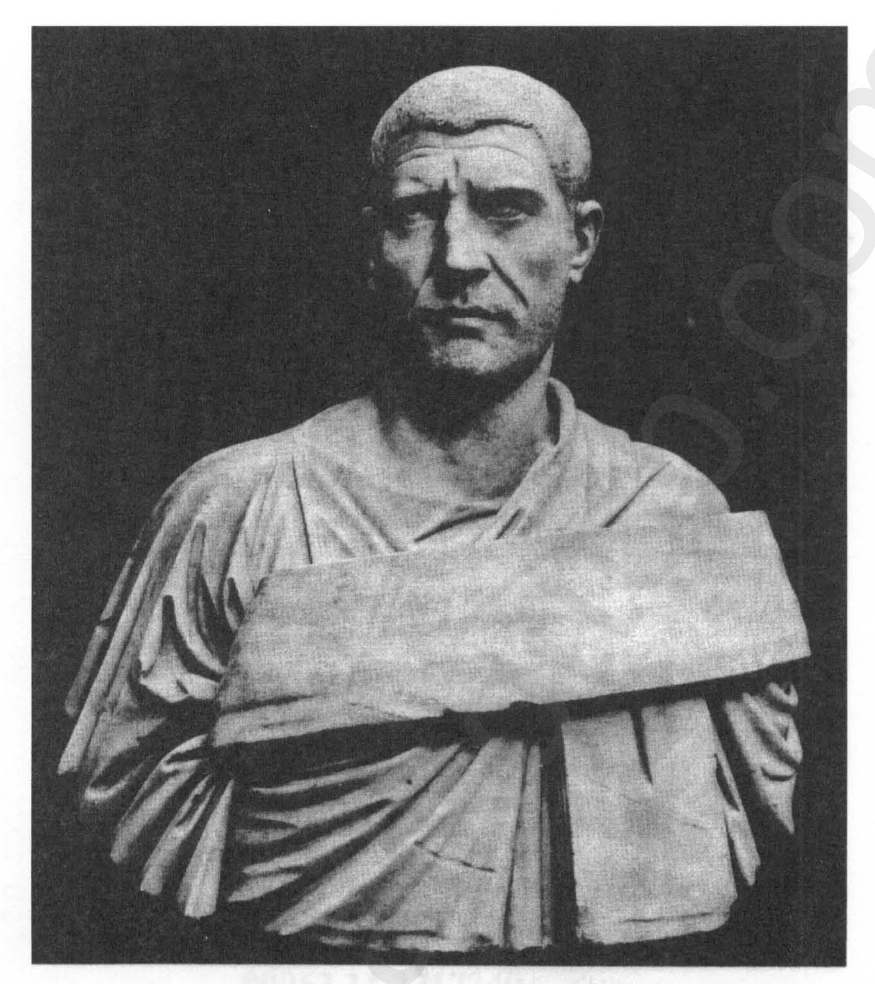
دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع



الحلبوني- دمشق- سورية
تلفاكس: **00963 11 2217240**
E- Mail: kiwanhouse@mail.sy

الإهداء

إلى أدريان نيكولاس شيروين وايت



Alinari/Editorial Photocolor Archives, Inc.

Bust of Emperor Philip
Vatican City, Vatican Museum

صورة تمثال نصفي للإمبراطور الروماني فيليب العربي (ماركوس جوليوس فيليبوس)

التمثال موجود في مدينة الفاتيكان- متحف الفاتيكان

المحتوى



مقدمة المترجم

يسرنا أن نقدم للقارئ العربي أول ترجمة لكتاب الدكتور عرفان شهيد "روما والعرب Rome and The Arabs " الذي صدر بالإنكليزية عن دار دومبارتون أوكس- واشنطن العاصمة، قبل أكثر من عشرين عاماً. حيث يعد هذا الكتاب إسهاماً كبيراً في بيان جزء مهم من التاريخ العربي قبل الإسلام.

ولد المؤلف الدكتور عرفان قعوار شهيد في الناصرة بفلسطين عام ١٩٢٦لأسرة مسيحية تعرف بآل قعوار. نال تعليمه في فلسطين، ثم في جامعة أوكسفورد- المملكة المتحدة. ويقيم في الولايات المتحدة حيث يقوم بالتدريس والبحث، ويدير إدارة المشاريع في مؤسسة دار النشر الأمريكية دومبارتون أوكس.

يعدُ عرفان شهيد من كبار المتخصصين والباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام. ومن كتبه التي نالت شهرة عالمية- إلى جانب الكثير والعديد من مقالاته ومحاضراته، ومقدماته وتعليقاته على نتاجات متخصصين وباحثين آخرين - في دراسة التاريخ العربي قبل الإسلام، وبالأخص علاقات العرب مع الروم والبيزنطيين حتى التحرير الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع.

١- بيزنطة والعرب في القرن الرابع الميلادي.

Byzantium and the Arabs in the Fourth century

٢- بيزنطة والعرب في القرن الخامس

Byzantium and the Arabs in the Fifth century

٣- بيزنطة والعرب في القرن السادس

Byzantium and the Arabs in the Sixth century

٤- عمر الخيام، الفيلسوف والشاعر في العصر الإسلامي الوسيط

Omar Al-Khyyam, the Philosopher-Poet of Medieval Islam

٥- بيزنطة والعرب في القرن السابع.

Byzantium and the Arabs in the Seventh century.

٦- بيزنطة والمشرق السامي قبل الإسلام (مجموعة دراسات مختلفة)

Byzantium and the Semitic Orient before the rise of Islam (Variorum collected studies)

٧- الغساسنة Gassanids

٨- شهداء نجران The Martyres of Najran

٩- روما والعرب Rome and The Arabs

إن كتاب"روما والعرب" الذي بين أيدينا، بعد أن تمت ترجمته إلى اللغة العربية، هو كتاب بحث مؤلفه في عدد كبير من المصادر المدونة، بالدرجة الرئيسية، باللغتين اليونانية واللاتينية، ومن المصادر الدراسية والبحثية المتعددة التي ساهم بإنجازها عدد كبير من المؤرخين والباحثين الذين تابعوا سير التاريخ اليوناني - الروماني - البيزنطي منذ الغزو الروماني لبلاد المشرق في ٦٤- ٦٣ ق. م وحتى تاريخ متأخر يتواكب مع التحرير العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

يتناول "روما والعرب" مقدمة تحليلية في دراسة العلاقات العربية- الرومانية، والعلاقات العربية- البيزنطية، بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد باحتلال بومبي القائد الروماني للمنطقة حتى التحرير العربي الإسلامي في القرن السابع. وتتناول هذه المقدمة دراسة تحليلية للعلاقات العسكرية والسياسية والثقافية. وبالنتيجة، تبقى فصول الكتاب محصورة أساساً بالتحليل وليس بالرواية. فهو إذاً كتاب بحث تحليلي وتمهيدي بآن واحد يعالج صورة حضور الوجود العربي في منطقة المشرق.

إن درجة الفعل والإسهام العربيين الكبيرين في تاريخ المنطقة بعلاقاتها المتشابكة مع الإمبراطوريات القديمة، خصوصاً، الرومانية منها، هو ما يريد الكتاب أن يبرهن عليه. فقد قدمت هذه المنطقة عدداً من الأباطرة الذين تسنموا مواقعهم على قمة الحكم في روما، وعدداً من الشخصيات الأدبية والفلسفية والدينية والعسكرية والسياسية المرموقة التي ساهمت مساهمة فاعلة وعظيمة بكل ما نسب إلى الحضارة الإغريقية- اللاتينية. فقد كانت شعوب هذه المنطقة قوة محركة وفاعلة رئيسية في التاريخ الروماني- البيزنطي.

كما أن الكتاب يحاول بجزء مهم منه الإجابة على تحديد هوية وانتماء شعوب هذه المنطقة. هل كانت عربية أم سامية أم الاثنتين معاً، لكن بدرجات متفاوتة. فقد اختلف المؤرخون والعلماء والبحاثة في تحديد أصل التسمية "عرب"، إلا أن أول من

ذكرهم من اليونان - كما يقول جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الجزء الأول-الصفحة ٢١- هو أشيلوس[١] Aechylus(٥٢٥- ٤٥٦ق.م)، ثم تلاه هيرودت[٢] شيخ المؤرخين (٤٨٤- ٤٢٥ق.م). فتعبير العربية / عرابيا Arabae Arabia/ عند اليونان والرومان تعني بلاد العرب التي تضم الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام وسيناء وشرقي النيل. إلا أن النص الوحيد- المفصل، الصفحات ٢٤، ٢٥- التي وردت فيه لفظة "العرب" علماً على العرب جميعاً من حضر وأعراب، ونعتت فيهم لسانهم باللسان العربي، هو القرآن الكريم. فقد ذهب د.هـ. ميلر على أن القرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها علماً لقومية تشمل كل العرب. وهو يشك في صحة ورود كلمة "عرب" علماً لقومية في الشعر الجاهلي، كالذي ورد في شعر امرئ القيس، وفي الأخبار المدونة في كتب الأدب على ألسنة بعض الجاهليين. ورأي ميلر هذا رأي ضعيف لا يستند إلى دليل، إذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوماً بهذا المعنى لو لم يكن لهم علم سابق به؟ وفي الآيات القرآنية دلالة واضحة على أن القوم كان لهم حس وإدراك لهذا المعنى قبل الإسلام، وإنهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية- أأعجمي وعربي؟ قل: هو للذين آمنوا هدىً وشفاء[٣]- وكذلك أنزلناه حكماً عربياً[٤]- وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا[٥]- لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين[٦] . ففي هذه الآيات وآيات أخرى[٧] غيرها دلالة على أن الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لساناً عربياً، وفي ذلك دليل على وجود الحس بالقومية قبل الإسلام - المفصل.

١- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي - الجزء الأول- الصفحة ٢١، المأخوذ من الموسوعة الإنجيلية- الجزء الأول، الصفحة ٢٧٣.

٢- انظر المصدر السابق نفسه المأخوذ من الموسوعة الإنجيلية، الجزء الأول، الصفحة ٢٧١.

٣- سورة فصلت، رقم ٤١، الآية ٤٤.

٤- سورة الرعد، رقم١٣، الآية ٣٧.

٥ - سورة الأحقاف، رقم ٤٦، الآية ١٢.

٦ - سورة النحل، رقم ١٦، الآية ١٠٣.

٧- سورة يوسف الآية ٢، وسورة طه، الآية ١١٣، وسورة الزمر، الآية ٢٨، وسورة الشورى، الآية ٧، وسورة الزخرف، الآية ٣.

يستمر جواد علي في الصفحات ٢٦، ٢٧ قائلاً: استعمل اليونان والرومان تعبير "سَراقيني وسَراقينيين" في معنى"العرب" وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام، وطور سيناء، والصحراء المتصلة بأدوم. وقد توسع مدلولها بعد الميلاد، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس، فأطلقت على العرب عامة، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة "عرب" في كتبهم، مستعيضين عنها بكلمة " سراقيني / سراقينيين".

يستطرد د. جواد علي في "المفصل ..- الجزء الأول- الصفحة ٢٧، ٢٨ منشورات الشريف الرضي قائلاً: (.. لم يتحدث أحد من الكتبة اليونان والرومان والسريان عن أصل لفظة Saraceni وسراكينوا Sarakenoi. ولم يلتفت العلماء إلى البحث في أصل التسمية إلا بعد النهضة العلمية الأخيرة، ولهذا اختلفت أراؤهم في التعليل، فزعم بعضهم أنه مركب من "سارة" زوج ابراهيم ولفظ أخر ربما هو "قين"، فيكون المعنى عبيد سارة[1]. وقال آخرون: أنه مشتق من" سرق"، فيكون المراد من كلمة "Saraceni سَراكين، السارقين" إشارة إلى غزوهم وكثرة سطوهم، أو من Saraka بمعنى Sherk أي "شرق"[2]. وقال وينكلر: أنه من لفظة "شرقو"..). ويتحدث الفصل التاسع من هذا الكتاب باستفاضة عن أصول تعبير/ تسمية/ مصطلح السَرَقينين أو السَراقينيين.

يقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء رئيسية بحيث يحتوي كل جزء على عدد من الفصول، وكل فصل ينقسم إلى عدد من الأقسام. يالإضافة إلى مقدمتي المؤلف وتقديم الشكر والاختصارات.

١-الجزء الأول:التقصي والمسح التفسيري؛ الذي يحتوي على أربعة فصول.

الفصل الأول:الحضور العربي في المشرق خلال القرن الأول قبل الميلاد.

الفصل الثاني:العلاقات العربية- الرومانية من فترة استقرار نظام الحكم الذي أرساه بومبي حتى عهد دقلديانوس في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع.

الفصل الثالث: العامل (المكون) العربي في التاريخ الروماني خلال القرن الثالث.

الفصل الرابع: الاتصالات والإسهامات الثقافية.

١- رواية التوراة والشروح الواردة عنها، انظر مجلة لغة العرب، الجزء الرابع، الصفحة ٢٩٤.

٢- عن موسيل ومصادر آخرى، انظر " المفصل ... ، الجزء الأول، الصفحة ٢٨".

٢-الجزء الثاني: الدراسات مدار البحث، الذي يحتوي على خمسة فصول، إذ يحتوي كل فصل على عدد من الأقسام.

الفصل الخامس:لائحة المقامات أو الوظائف المهمة، وهي وثيقة مهمة من مطلع القرن الخامس.

الفصل السادس:أول إمبراطور روماني مسيحي: فيليب العربي أم قسطنطين.

الفصل السابع:المؤرخ أوسيبيوس والعرب.

الفصل الثامن:المؤرخ زوسيموس والعرب(يعود التاريخ الحديث لزوسيموس إلى نهاية القرن الخامس).

الفصل التاسع: تعبير/ مصطلح/ تسمية سَرَقيني/ سَراقيني وصورة العرب.

٣-الجزء الثالث: التأليف والترتيب والعرض.

- الخاتمة
- الخرائط
- المصادر بلغاتها الأصلية بترتيب المترجم.
- الفهرس.

اجتهدت بأن ثبتُ المصادر الواردة سواء في متن الكتاب أو في الملاحظات بأن وضعتها في نهاية الكتاب بلغاتها الأصلية التي أوردها المؤلف تحسباً من عدم الدقة والاختلاف في الترجمة، وكذلك توخياً للفائدة.

كما أنني سمحت لنفسي أن أزود هذه الترجمة بخريطتين- ثبتهما في الصفحات الأولى من الترجمة- تظهران كيف بدأت روما تتشكل كمدينة- دولة في القرن الثامن قبل الميلاد، وكيف بدأ توسعها العسكري الجيو- سياسي بضم إيطاليا والبلاد المحيطة ، ثم كيف امتد نفوذها الإمبراطوري خارج أوربا إلى آسيا وأفريقيا، فأضيفت إلى الخرائط الخمسة التي أوردها المؤلف لتشكل صورة تقترب من حيوية المتابعة عند القارئ.

أنشئت روما على تلة صغيرة على ضفة نهر تيبر Tiberعام ٧٥٣ ق.م، وبدأت بالتوسع تدريجياً إلى أن أصبحت جمهورية بعد عام ٥٠٠ ق.م عندما احتل الرومان جميع أراضي إيطاليا والبلاد المحيطة. وفي الوقت الذي أصبح فيه قيصر إمبراطوراً

أصبحت روما تتحكم بكل الأراضي والبلاد حول البحر الأبيض المتوسط (الذي أطلق عليه بحر الروم). بعد ذلك، بدأت حملة بومبي نحو الشرق. فقاد حملته عامي ٦٤-٦٣ ق.م، فاحتل آسيا الصغرى الشرقية وسوريا ومصر- بعد أن أنهى حكم العائلة السلوقية التي كانت عاصمتها أنطاكية؛ والعائلة البطليمية في مصر- وأسس فترة استقرار حكمه ونظامه الذي سمي تاريخياً باسمه حتى فترة حكم نظام دقلديانوس ٢٨٤- ٣٠٥م. إذ استمر بسط النفوذ الروماني حتى أصبحت أطراف الإمبراطورية تمتد من بحر الشمال غرباً وشمالاً حتى الصحراء الإفريقية الكبرى جنوباً، ومن المحيط الأطلسي غرباً حتى إيران شرقاً.

اتبعت بيزنطة - بعد أن قُسمت الإمبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية في نهاية القرن الخامس- نفس الصلف الإمبراطوري الروماني، حين عدت جميع شعوب الشرق برابرة متوحشين، علماً أن جحافل فرسان هؤلاء البرابرة هم من أنقذ روما من هجمات البرابرة المتوحشين الألمان في نهاية القرن الرابع.

لم تنل دراسة الحضور العربي في العصور الرومانية والبيزنطية إلا على القليل من اهتمام المؤرخين القدماء. إذ يحاول هذا الكتاب ملء الفراغ بإعادة الحقيقة إلى صورة العرب في الحقبتين؛ الرومانية التي امتدت لأربعة قرون، وفي البيزنطية التي استمرت لثلاثة قرون حتى بداية التحرير العربي الإسلامي في القرن السابع. إذ مر العرب خلال تاريخهم قبل الإسلام بمرحلة الوثنية، ثم المسيحية، وذلك قبل ظهورهم المفاجئ والقوي على مسرح التاريخ العالمي كعرب مسلمين في القرن السابع، بعد أن توحدت كلمة القبائل العربية تحت راية العقيدة الجديدة التي فتحت أمامهم الآفاق الرحبة وأيقظت فيهم القوى الكامنة الحية والروح الخلاقة لتحقيق طموحاتهم وإثبات ذاتهم ووجودهم، منهين بذلك الألفية اليونانية - الرومانية من احتلال المنطقة بدءاً من الإسكندر المقدوني حتى بداية التحرير العربي الإسلامي.

اقتصرت في تعليقاتي على أقل ما أمكن، وأعددت ترجمتي للنص والحواشي كما هو مدون بلغة الكتاب الأصلية دون تدخل بالمضمون. لذلك، أرجو أن تكون ترجمتي قد أتت أمينة ومثمرة، حيث أن النص الأصلي (المُترجم) للكتاب وما ورد فيه هو مسؤولية المؤلف.

من الجدير الإشارة إلى أن سياق الجمل في الملاحظات الهامشية أسفل الصفحات يبدو غير مترابط في بعض الأحيان، وهذا قد يعود إلى الإشارة لعدد من المصادر في الملاحظة الواحدة.

كما يجدر التنويه إلى أن جميع الأمكنة (أماكن تواجد الوحدات العسكرية) الواردة في "لائحة المقامات" في الفصل الخامس هي في منطقة المشرق وشمال الجزيرة العربية.

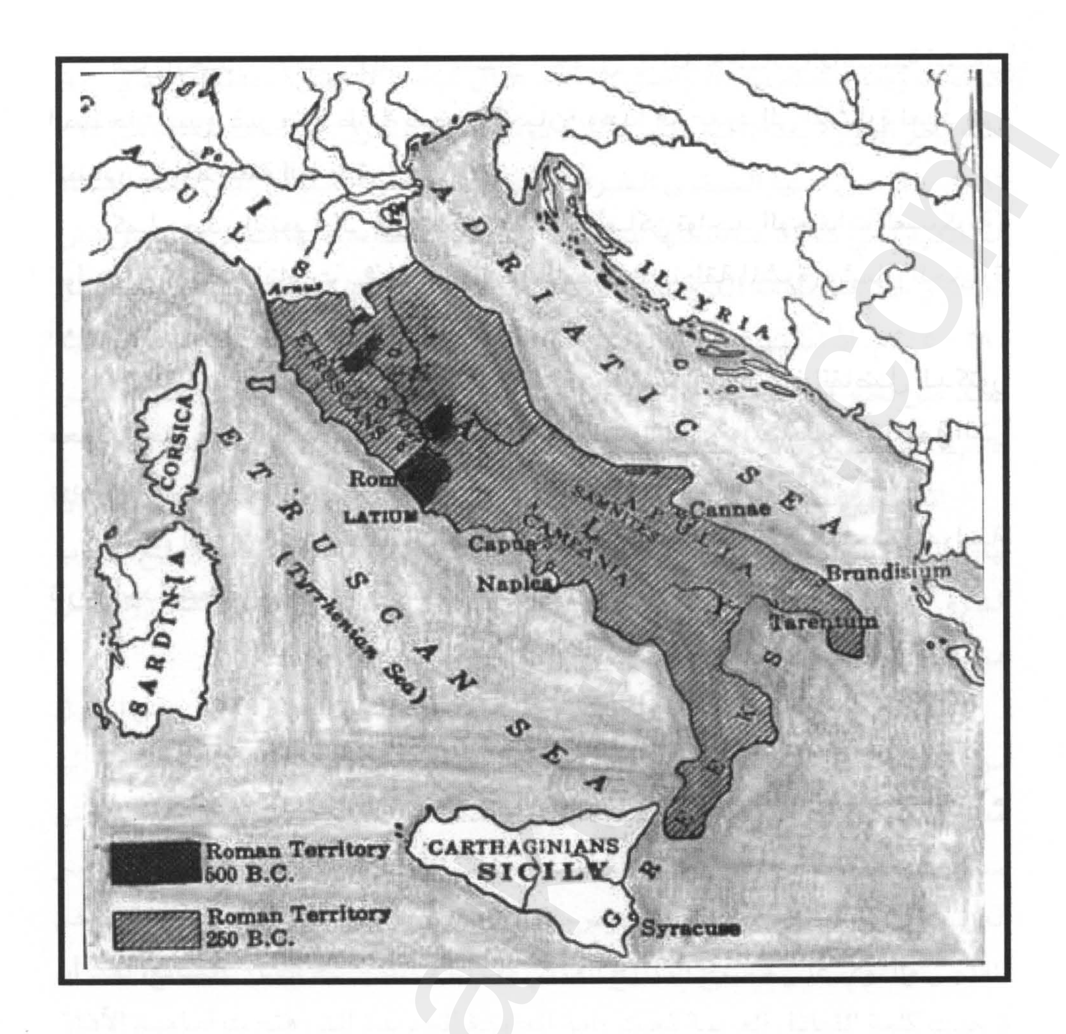
في النهاية، لا يسعني إلا أن أخص بالشكر والامتنان الأستاذ الفاضل الدكتور محمد المحفل على ما أمدني به في ترجمة النصوص والتعابير والمصطلحات المهمة التي وردت باللغتين اليونانية واللاتينية في سياق الكتاب.

وبعد، آمل أن تضيف هذه الترجمة لقراء العربية قبولاً وحافزاً للباحثين لدراسة تاريخ أجدادهم، وأن تكون ثمرة مفيدة تضاف إلى تراث الأمة العظيم.

والله المستعان

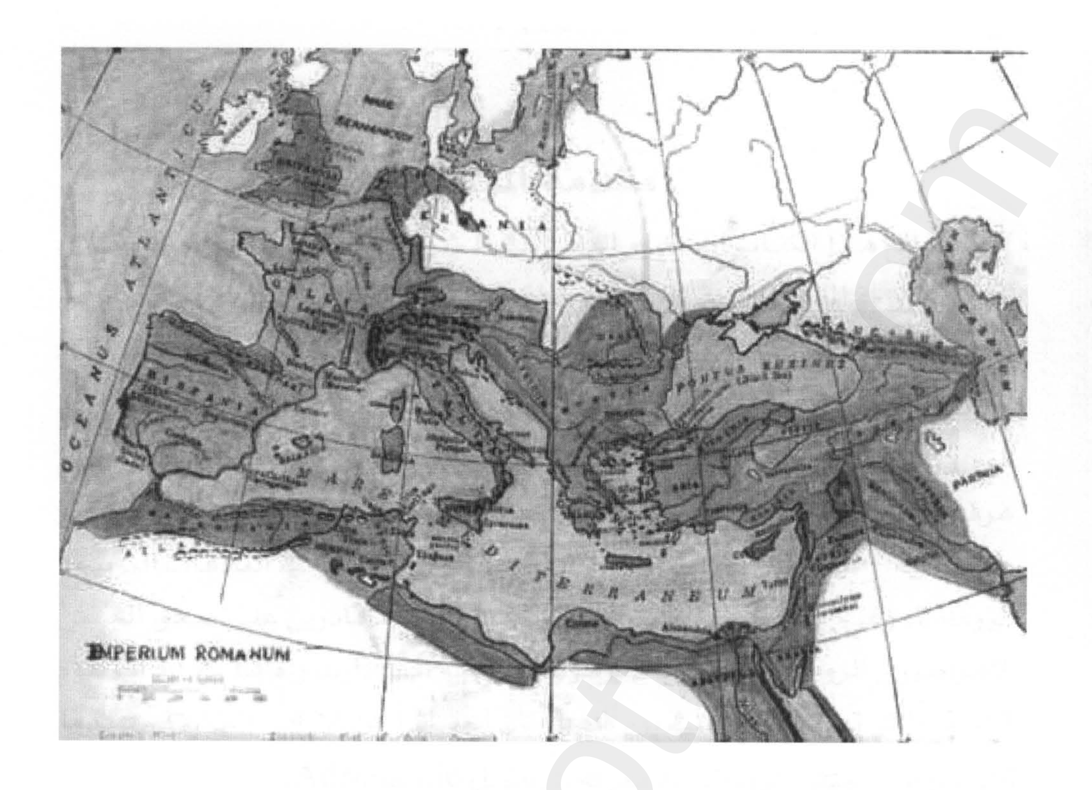
قاسم محمد سويدان

دمشق في حزيران ٢٠٠٥م



خريطة تبين مدى التوسع الروماني في إيطاليا خلال القرنين والنصف الأُول منذ تأسيس روما.

- من ٧٥٣- ٥٠٠ ق . م - روما التي حكمها الملوك.
- من٥٠٠- ٢٥٠ ق.م - توسعت روما لتضم إيطاليا (فترة البسالة والتضحية والاندماج).



تبين هذه الخريطة السيطرة الرومانية على سواحل البحر الأبيض المتوسط التي بدأت من ٢٥٠ق.م إلى بدايات القرن الأول الميلادي، كما تبين استكمال السيطرة الرومانية على معظم أجزاء العالم المتمدن القديم التي بدأت من أوائل القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً.

استولى الرومان- حتى رحيل جوليوس سيزر- على سيسلى، كورسيكا، ساردينيا، الشريط الساحلي من شمال إفريقيا بدءاً من تونس نحو الشرق،واسبانيا؛والتي كانت جميعها تحت سيطرة قرطاجة. كما استولى الرومان في نفس الفترة على بلاد الغال. بينما أصبحت اليونان وآسيا الصغرى أقاليم رومانية، وذلك قبل موت سيزر بفترة طويلة. في حين أن حملة سيزر التي قادها بومبي نحو الشرق سيطرت على قبرص والشريط الساحلي والجنوبي للبحر الأبيض، وشرقي النيل، وصولاً إلى شرق الفرات قبالة رأس البحر الأبيض المشترك بين سوريا وتركيا. وقد تم ضم المناطق التالية: بريطانيا، أواسط أوربا الشرقية وغرب البحر الأسود والبلاد المحيطة شرق وجنوب البحر الأسود وصولاً على بلاد الرافدين حتى الخليج العربي، والطرف الغربي من سوريا الكبرى والعربية وشرق النيل. وتظهر الخريطة الإمبراطورية بأعظم اتساع لها بنهاية حكم الإمبراطور تراجان في بداية القرن الثاني الميلادي.



مقدمة المؤلف

يعالج هذا الكتاب الحضور العربي في المشرق تحت النفوذ الروماني خلال القرون الأربعة المنصرمة منذ استقرار سلطة بومبي في ٦٣ ق.م وحتى حكم دقلديانوس Diocletian من ٢٨٤ إلى ٣٠٥ م. وتركز الدراسة في هذا الكتاب على العلاقات العربية- الرومانية، التي كتبت كمقدمة في العلاقات خلال فترة الحكم البيزنطي في القرون الثلاثة بدءاً من فترة تسلم الإمبراطور قسطنطين وحتى فترة حكم الإمبراطور هرقل. ومن المأمول أن الإيضاحات والتفسيرات في هاتين الفترتين - الرومانية والبيزنطية - ستعملان كخلفيتين للإجابة على السؤال الكبير في العلاقات العربية- الرومانية، وهي: لما كان العرب في القرن السابع للميلاد قادرين على سحق الجيش الإمبراطوري الروماني في معركة اليرموك الفاصلة التي دارت رحاها في ٢٠ آب عام ٦٣٦ م، والتي تمثلت نتائجها في يوم فاصل كان أبعد أثراً من ٢٨ آب عام ٣٧٨ م عندما أباد القوط، الجيش الروماني في معركة أدريانوبل Adrianople.

إن محاولة الاقتراب الرصين والمتزن للجواب على هذا السؤال تبدأ من متابعة مصائر تاريخ هذه المجموعة العرقية-العرب- خلال القرون السبعة التالية، على وجه الدقة، من ٦٤/٦٣ ق.م وحتى ٦٣٦ م، بعلاقاتهم مع الرومان. إذ قد لا تكون دراسة الماضي على قدر كبير من الفائدة من أجل توقعات المستقبل ولكنها ذات فائدة لدراسة ماضٍ آخر لاحق ومرتبط معه. فقد كان القائد الروماني بومبي، في القرن الأول قبل الميلاد، قادراً على تشتيت العرب وبالتالي السيطرة عليهم، كما أن أورليان، بعد أربعة قرون من ذلك، كان في البداية قادراً على هزيمتهم، ومن ثم سحقهم بالكامل. إذ أن استحضار هذين النجاحين الرومانيين من الماضي البعيد، ومن خلال منظور القرون السبعة المذكورة، والتي كانت ذروته واضحة في صدى السقوط الروماني المدوي في القرن السابع، يتبين أن الانتصار العربي على الرومان يمكن رؤيته من خلال تسليط الأضواء على الانتصارين الرومانيين السالفي الذكر على العرب. وتكشف الدراسة عن هشاشة البنية السياسية التي كان العرب عليها خلال فترة الحكم الروماني، وعن

الضعف الناشئ من موقعهم. فهذه الدراسة إذاً هي الأولى في سلسلة دراسات عن العلاقات العربية - الرومانية في هذه القرون السبعة، والتي تركز على سلسلة من المشاكل المتعلقة بحل المعضلة الرئيسية في هذه العلاقات، وذروتها في الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي[1].

يشار إلى العرب المجسدين في هذه الصفحات من هذا الكتاب بما يسمى "المشرق The Orient"، وهي المنطقة التي كانت تحاذي التقسيم البيزنطي الإداري الأخير الذي كان يسمى ديوسيس الشرق- منطقة المشرق أو المشرقيين- والذي كان يضم سوريا الكبرى؛ من جبال طوروس إلى سيناء، منطقة ما بين النهرين الرومانية، ومصر شرقي الدلتا. وهذه هي المنطقة التي وجد بها عرب الإمبراطورية الرومانية، والتي قد يطلق عليها أيضاً المشرق السامي على اعتبار أن الآراميين واليهود إلى جانب العرب كانوا يسكنون ضمن هذه الحدود. وقد كان من الضروري التعامل مع هذا الاصطلاح على أساس أن سوريا، في معناها الأكبر، تستثني مصر وما بين النهرين، واللتين كان العرب يتواجدون بهما أيضاً. لهذا كان التقسيم* الإداري البيزنطي ملاذاً وملجأً مناسباً للشعوب السامية في الإمبراطورية بمن فيهم العرب أينما وجدوا.

إن تعبير المشرق هو أكثر استمرارية كوحدة جغرافية ذات معنى في الدراسة التاريخية مقارنة بالأقاليم الأخرى بحدودها المصطنعة داخل الإمبراطورية الرومانية. لذلك فإن التاريخ العرقي الذي نحاول معالجته في هذا الكتاب هو أيضاً تاريخ إقليمي، أي أنه تاريخ عرقي- إقليمي للعرب في المشرق الذي تحكمه الدولة الرومانية. وهذا التاريخ هو نفسه الذي استطاع العرب المسلمون فيه محاربة الرومان والانفلات بقوة من سيطرة الدولة البيزنطية عليهم، وبالتالي إنهاء وجودها من بلادهم في القرن

١- من أجل دراسة هذه الفترات الثلاث والأعمال الثلاثية ذات الصلة، ارجع إلى كتاب المؤلف " بيزنطة والعرب في القرن الرابع الميلادي"، في القسم الأول من مقدمته، الذي يتحدث من ضمن ما يتحدث عنه، عن الفترة الثالثة والجزء الثالث من هذا الثالوث، الذي يعالج الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي. كما يمكن الرجوع إلى المصدر نفسه ، في الفقرة الثالثة من القسم الثاني من المقدمة . عن " بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، انظر الصفحة التالية.

* قسمت إمبراطورية بيزنطة إلى خمسة أبرشيات/ مقاطعات، واعتبرت سورية الكبرى (بلاد الشام) الأبرشية / المقاطعة الخامسة - المترجم.

السابع الميلادي. إذ كان المظهر السامي العام لأهل المنطقة عاملاً مشتركاً في فتحها وإخضاعها، وكذلك في المحافظة عليها بعد انتهاء مرحلة الفتح والإخضاع العسكرية، وذلك على خلاف منطقة الأناضول الواقعة إلى الشمال من جبال طوروس التي لم تفتح أبداً أو يحتفظ بها، والتي لم تكن تحتوي على عرب أو سحنات سامية. فهذا هو التاريخ العرقي لشعب في منطقة محددة كانت فية المنطقة العربية محصورة ومحددة ومستقلة داخل منطقة الشعوب السامية العامة. وأخيراً، فإن الغايتين من الفترة التي اخترناها في الإطار التاريخي لهذا الكتاب، من استقرار نظام حكم القائد الروماني بومبي إلى حكم دقلديانوس، تجعلان منها فترة تاريخية حقيقية في تاريخ العلاقات العربية- الرومانية التي تتصدرها العلاقات العربية- البيزنطية للقرون الثلاثة التالية التي شهدت خلالها طبيعة العلاقات العربية- الرومانية تغيراً نوعياً عنيفاً. لذلك يعد هذا التاريخ بؤرة واضحة الحدة، ليس فيما يخص جميع العرب، بل لمجموعة من العرب، العرب الرومان الذين لم يسكنوا المنطقة العربية بكاملها ولكن في منطقة واحدة فقط، منطقة المشرق الروماني المحصورة بعصر تاريخي حقيقي ابتداءً من القرون الأربعة الأولى للفترة الرومانية من بومبي حتى دقلديانوس.

يمكن وصف محتوى الدراسة في الكتاب بالتقصي التحليلي القياسي إذ يتناول فقط الحضور العربي والعلاقات العربية-الرومانية في منطقة المشرق الواقعة تحت النفوذ الروماني. وقد تمت معالجة هذه العلاقات بناءً على مستويات التاريخ القياسي، ولكن بشكل متقطع ومشتت، مما أضاف نوعاً من الغموض على استمرارية هذه العلاقات وعلى الخطوط الرئيسية في تطورها. لذا، فالمأمول أن تقوم هذه المعالجة المختصرة والسريعة كما هي، بتزويد الدارس لهذه الفترة برواية مستمرة لتاريخ المجموعة العرقية التي لعبت دوراً رئيسياً مهماً في التاريخ الروماني المشرقي في هذه القرون الأربعة جاعلة من الواضح والجلي ما الذي كان غامضاً من خلال التعابير والتسميات والمصطلحات الجغرافية والمسيحية المضللة.

في ضوء حقيقة هذا البحث التحليلي لروما والعرب[1]، لم تجر أي محاولة للحصول على دراسة معمقة ثابتة المصادر والمراجع أو أي باب أو فصل من مآخذ

١- يشار إليه أحياناً بالاختصار بالحرفين **RA (Rome and The Arabs)**

الدراسة. وبالنتيجة، فإن المراجع تبقى بشكل هيكلي، ولكنها تبقى شمولية بشكل معقول في الأبواب الخمسة للدراسات المحلية من الجزء الثاني من الكتاب. فالمصادر قليلة وغير منتظمة، كما أن سمات وحدود هذه المراجع ستصبح جلية للقارئ كلما تقدم في قراءة الفصول واحداً تلو الآخر. واستجابة للأجزاء الثلاثة التي تحتوي على المواضيع التسعة في متن هذا الكتاب، فإنه لا توجد دراسة مكثفة للمصادر والمراجع أو واضعيها تعهدها الجزء الأول من الكتاب لتحتوي على مسح ومعاينة تفسيرية مؤسسة على معلومات مدروسة من قبل آخرين قاموا بفحص هذه المصادر[1]. لكن مصادر الجزء الثاني من هذا الكتاب- الدراسات مدار البحث- بالإضافة إلى مؤلفيها، تعرضت إلى تحقيقات دراسية مكثفة. علماً أن مصادر هذا الجزء هي مصادر أدبية في الأساس، في حين لم يتم تجاهل المخطوطات[2] التي وجدت في هذه المصادر. ومهما

١- انظر الفصل الرابع، الملاحظة رقم ١ .

٢- راجع القسم الأول من الفصل الأول، الذي يعد أطول قسم من نص المؤلف في "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، الذي يلعب دوراً هاماً في تحليل مخطوطة نمارا Namara* العربية، في حين أن الفصل السادس من الكتاب نفسه وضع حصراً لمخطوطتين يونانيتين .

* عثر على رقيم نمارا بقرية نمارا الواقعة إلى الجنوب من دمشق وإلى الشمال الغربي من بصرى الشام في منتصف المسافة بين المدينتين حسبما أورده كتاب المستشرقة الروسية نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا "العرب على حدود بيزنطة وإيران"، والذي طبع بإشراف المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب في الكويت، في حين يظهر موقع نمارا في منتصف المسافة إلى الشرق من دمشق وبصرى من خلال قراءة الخريطتين على (الصفحتين ١٩، ٣٩) ضمن كتاب رينيه دوسو "العرب في سوريا قبل الإسلام"، الذي أصدرته مترجماً دار الحداثة في بيروت . ويوجد هذا الرقيم الآن في متحف اللوفر في باريس . إذ يتكون من خمسة أسطر بالكتابة النبطية المنحوتة على لوحة من الحجر البازلتي أبعادها ١١٦ × ٣٣ سم . وهذا نص ترجمته المأخوذ من كتاب دوسو أعلاه، في الصفحتين ٣٣ و ٣٤:

- هذا هو قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك جميع العرب، ذلك الذي كُلل بالتاج
- ذلك الذي أخضع أسد ونزار وملوكهم وشتت شمل مذحج حتى يومنا هذا، ونال
- نجاحاً في حصار نجران ومدينة شمر وأخضع معداً وولى أولاده
- على القبائل وندبهم لدى الفرس والرومان. لم يصل ملك إلى مجده
- حتى يومنا هذا. ومات عام ٢٢٣م في السابع من كسلول. لتنعم ذريته بالسعادة — المترجم.

يكن من أمر، فإن المخطوطات الوحيدة المهمة والتي لها علاقة بالاهتمامات العريضة ومدارات البحث في هذا الكتاب قد أخذت بعين الاعتبار[1].

تشرح مقدمة الكتاب بالتفصيل كيف تشكلت وتكونت العلاقات بين روما والعرب. بالإضافة إلى أنها تقدم سلسلة من المشكلات التي يحصيها هذا الكتاب في معالجة العلاقات العربية- الرومانية في فترة القرون الأربعة هذه. ومن المأمول أن تقود معرفة هذه المشكلات المهتمين بدراستها إلى زيادة الاهتمام بها وبالذين شاركوا في صناعتها في هذه الفترة الرومانية، إذ سيقود هذا الاهتمام إلى دراسة ومناقشة تفصيلية مطردة لهذه المشاكل أكثر مما كان ممكناً في عمل يعتبر كمقدمة فقط في دراسة الفترة التاريخية البيزنطية.

ربما يبدو العرض في بعض الجمل أو المقاطع مكرراً، وذلك نتيجة التركيب المكثف في الكتاب. لكن التكرار يظهر فقط في معلومات محددة تستعمل أحياناً في سياقات متعددة للإضاءة على مظاهر مختلفة من العلاقات العربية- الرومانية. كما أن الاستعمال العددي العربي والروماني الغزيرين إضافة إلى الأحرف الأبجدية هو من أجل جعل النص يبدو أكثر وضوحاً للقارئ لاستيعاب بعض المناقشات المعقدة التركيب، خصوصاً في الجزأين الأول والثاني من الكتاب.

وكما ذكر مبكراً في السياق من أن هذا الكتاب هو مقدمة تفصيلية في دراسة العلاقات العربية- الرومانية خلال القرون الثلاثة من العصر البيزنطي. فقد تم البحث في هذه الفترة بشكل موسع من قبل الكاتب، خصوصاً خلال السنوات العشر الأخيرة، وستظهر ثمار هذه الأبحاث في ثلاثة مجلدات منفصلة. وقد تمت الاشارة في

١- كالمخطوطات اللاتينية واليونانية التي وجدت بالتتابع في **Dumat al-Jandal** (دومة الجندل) ومدائن صالح أو ما سمي (مدائن الحجر)، وهي مهمة للمسألة التي أثيرت مطولاً حول حدود الإقليم العربي (عُرابيا) في الدولة الرومانية؛ انظر مقدمة الملاحظة في آخر الفقرة رقم ٢ تحت عنوان"الأنباط"، من ثانياً، في الفصل الثاني. إذ ينطبق هذا على مخطوطة روافة **Ruwwafa Bilinguis**. ولمناقشة التعبير- سرقينيون Saraceni - الذي وضع له ملحق خاص به؛ انظر ملحق الفصل التاسع من هذا الكتاب . فالمهتمون بشكل كبير بدراسة النقوش والكتابات المحفورة على الآثار التاريخية القديمة كونها من اختصاص عملهم المحصور في منطقة المشرق يعتمدون في تحليلاتهم عليها، انظر آخر ملاحظة في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

هذا الكتاب إلى اثنين من هذين المجلدين:" بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، و"بيزنطة والعرب في القرن الخامس". وقد تم الانتهاء من المخطوطات الأولى من هذين المجلدين، وأرسلت إلى المطابع في نفس الوقت الذي بدء فيه بطباعة هذا الكتاب؛روما والعرب. ومن المأمول ألا يتأخرالوقت طويلاً لتجهيز هذين المجلدين للصدور.

استفادت مخطوطة الكتاب بشكل كبير من تعقيبات السيد شيروين وايت الذي قدم الكثير من وقته وطاقته لقراءتها . لذلك، من الطبيعي أن يتم إهداء هذا الكتاب؛ روما والعرب إلى مؤرخ التاريخ الروماني الشهير الذي استدللت من تدريسه وإشرافه الخاص الكثير من المعرفة في التاريخ الروماني في كلية سان جون المعمداني.

كانون الأول من عام١٩٨١م

واشنطن العاصمة

إقرار بالعرفان

إن الفصول التسعة من الجزأين الأول والثاني من هذا الكتاب،ماعدا الفصلين الخامس والتاسع، كانت جاهزة عام ١٩٧٨ وفي شتاء ١٩٧٩، وكانت في متناول البروفسور G.W.Bowersock لقراءتها. بينما كتب الفصلان الخامس في عام ١٩٧٦ والتاسع عام ١٩٨٠،وتمت مراجعتهما أيضاً من قبل الأستاذBowersock. وهنا لا يسعني إلا أن أشكره على قراءته ومراجعته لفصول هذا الكتاب ولتزويدي بكل ما لزم من معلومات ووثائق عن التاريخ الروماني العسكري، وخصوصاً مساهمته الشخصية في دراسة وتدقيق الحدود. كما أقدم جزيل امتناني للأستاذ T.D.Barnes الذي قرأ الفصلين السادس والسابع وعقب عليهما. وقادتني رسالته المؤرخة في ١٧ آذار ١٩٧٩م إلى إضافة ملحق للفصل السادس الخاص بفيليب العربي. أقدم شكري للأستاذ Franz Rosenthal إذ تكرم بقراءة الفصل التاسع والتعليق عليه في شتاء ١٩٨٠، كما أقدم شكري الحار للسيدين C.H.Roberts & A.N.Sherwin-White اللذين أشرفا على تدريسي في إكسفورد، وقد كانا أخر من قام بقراءة مسودة الكتاب والتعليق عليها إذ وصلتني نتيجة تعقيباتهما في صيف وخريف ١٩٨٠.

ونتيجة لأهمية التعقيبات التفصيلية التي كتبها السيد A. Sherwin White على الفصول الثلاثة الأولى، أعددت لها خاتمة خاصة في نهاية صفحات هذا الكتاب (تحت عنوان الخاتمة). كما أن تعليقات القراء المجهولين أفادتني، خاصة بتذكيري أن مثل هذا الكتاب ربما يثير الكثير من الأسئلة في عقول من يؤرخون للتاريخ الروماني، ولهذا أقدم لهم عميق امتناني. فقد أقنعتني تعليقاتهم بالرغبة بالتوسع فيما اختصرته في مقدمتي فيما يخص ما يوجد في هذا الكتاب أو ما لا يوجد فيه ، ومن أجل ذلك أعددت القسم الثاني من المقدمة.

لقد ناقشت المظاهر المتنوعة في مسودتي مع الزملاء:الأستاذ جون كالاهان John Callahan ، والذي عليَّ أن أشكره بحرارة على العديد من تعقيباته، ومع

الأستاذ .W.F, Albert Jamme الذي قام برسم الخرائط الموضوعة في نهاية الكتاب، والذي عليَ أن أقدم له عرفاني بجميل ما صنع.

مع الشعور بالدين العميق لدار النشر Dumbarton Oaks التي مكنتني مع أعضاء الزمالة لتوجيه أبحاثي في أجواء مثالية. ولهذا فأنا ممتن لمديرها الأستاذ Giles Constable، وللأستاذ Peter Topping لنصائحهما في مسائل شتى فيما يخص تطورات نشر هذا الكتاب. كما أخص هيئة التحرير والمكتبة بالشكر لهم جميعاً على ما قدموه من مساعدة ومجاملة لإنجاز هذا العمل. كما يجب أن أقدم عميق شكري وامتناني لشعوري بدين متعدد المرامي للزوجين Ludwig & Mir Tamari على مشاعرهما تجاه أبحاثي وما تكرما به من مساهمة في نشري لهذا الكتاب.

عرفان شهيد

الاختصارات في الكتاب

1-AB: Analecta Bollandiana
2-BAFIC: I. Shahid, Byzantium and the Arabs in the Fifth Century
3-BAFOC: I.Shahid, Byzantium and the Arabs in the Fourth Century
4-BHG: Bibliotheca Hagiographica Graeca
5-BHL: Bibliotheca Hagiographica Latina
6-Bonn: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae
7-BZ : Byzantinische Zeitschrift
8-CAH: Cambrigde Ancient History
9-Cities : A. H. M. Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces
10- CHI: Cambridge History of Islam
11- CSEL: Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum
12- Dictionnaire d`Histoire et de Géographie Ecclésiastique
13- DOP: Dumbarton Oaks Papers
14- EI : Encyclopaedia of Islam
15- GCS : Die griechischen christlichen Schriftsteller der ersten{dreit}Jahrhunderte.
16- HA : Historia Augusta
17- HE : Eusebius, Historia Ecclesiastica
18- HN : Zosimus, Historia Nova
19- JAOS: Journal of the American Oriental Society
20- JRS : Journal of Roman Studies
21- JSS : Journal of Smetic Studies
22- LRE : A.H.M. Jones, the Later Roman Empire
23- MGH: Monumenta Germanicae Historica
24- ND: Notitia Dignitatum

25- OTS : D.F. Graf and M. O`Connor, (The Origin of the Term Saracen and the Rawwafa Inscriptions)

26- PG : Patrologia Graeca

27- PG : Patrologia Latina

28 - RA : Rome and the Arabs

29- RAC : Reallexikon für Antike und Christentum

30- RE: Paulys Realencyclopädie der classischen Altertums-wissenschaft

31- RM : R. Grosse, Römanische Militärgeschichte

32- SC : Sources Chrétiennes

33- SDAF: D.F.Graf, (The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier).

34- TU : Texte und Untersuchungen

35- ZDMG: Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft

١- مجموعة البولنديانا

٢- بيزنطة والعرب في القرن الخامس، عرفان شهيد، دار دمباتون أوكس للنشر.

٣- بيزنطة والعرب في القرن الرابع، عرفان شهيد، دار دمبارتون أوكس للنشر

٤- مكتبة سير القديسين اليونان

٥- مكتبة سير القديسين اللاتين

٦- المجموعة الكاملة للوثائق البيزنطية التاريخية

٧- المجلة البيزنطية

٨- تاريخ كمبريدج القديم

٩- مدن الولايات الرومانية الشرقية، تأليف: أ. إم. جونز.

١٠- تاريخ كمبريدج للإسلام

١١- المجموعة الكاملة للوثائق اللاتينية الكنسية

١٢- القاموس التاريخي والجغرافي الكنسي

١٣- أوراق دار النشر دمبارتون أوكس

١٤- الموسوعة الإسلامية

١٥- الكتاب اليونانيون المسيحيون أوائل القرن الثالث
١٦- تاريخ أوغسطا
١٧- التاريخ الكنسي، لأوسيبيوس القيساري
١٨- التاريخ الحديث، لزوسيموس
١٩- مجلة جمعية الدراسات الأمريكية المشرقية
٢٠- مجلة الدراسات الرومانية
٢١- مجلة الدراسات السامية
٢٢- الإمبراطورية الرومانية المتأخرة، أ.إم. جونز
٢٣- آثار التاريخ الألماني
٢٤- لائحة المقامات أو الوظائف المهمة (الوثيقة المهمة)
٢٥- أصل تعبير المصطلح سرقيني ومخطوطات روافة*، دي. إف. غراف، وإم. أوكونور
٢٦- تاريخ العقائد اللاهوتية اليونانية
٢٧- تاريخ العقائد اللاهوتية اللاتينية
٢٨- روما والعرب، عرفان شهيد
٢٩- الموسوعة المعجمية القديمة للمسيحية
٣٠- موسوعة بوليز الكلاسيكية لعلم الآثار
٣١- التاريخ العسكري الروماني، آر. غروسه
٣٢- مصادر المسيحيين
٣٣- السَرَقينيون (السَراقنة) والدفاع عن الحدود العربية ، دي. إف. غراف
٣٤- نصوص وأبحاث
٣٥- مجلة المجمع الألماني الغربي.

---

* وجدت مخطوطة روافة في معبد بعيد عن مكة المكرمة بعداً كبيراً يقع في حِسمي، أو نوافة، على رأي موسيل . وكان في المنطقة معابد لا تزال آثارها باقية- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٠/٤- ٥٧/٣)، د. جواد علي – المترجم .

- روافة: مدينة قديمة تقع على بعد ٤٥ ميلاً شمال- غرب تبوك من أرض حِسمي، فيها كتابات نبطية ويونانية، وفيها معبد عثر عليه موسيل ودعاه نوافة/روافة، ورد فيها اسم ماركيوس أورليوس أنطونيوس. وكان لهذه المدينة شأن أيام النبط في آخر أيام مملكتهم. وقيل أن قوماً من آل ثمود ابتنوا المعبد في أوائل القرن الثاني الميلادي - انظر موسيل: ١٨٥ ، ٢٥٨ " شمال الحجاز"- المترجم .



مقدمة الكتاب

يمكن وصف هذا الكتاب بكتاب ثلاثي الأجزاء؛ الجزء الأول يحتوي على أربعة فصول من المعاينة التفسيرية، بينما يحتوي الجزء الثاني على خمسة فصول من الدراسة الموضوعية، والثالث على ستة أقسام من العرض والتأليف التركيبي. إن الطبيعة التركيبية للكتاب تحتوي على ثلاثة أجزاء تعكس ثلاث عمليات تاريخية مختلفة، إذ يجعل هذا من الضروري شرح ومناقشة تركيب هذا التقسيم الثلاثي من أجل قراءة متمعنة ومفيدة لهذا الكتاب، وكذلك تقديم المشكلات في استعراضها الموجز التي يجب أن تقود إلى قراءة شمولية أفضل لكتاب "روما والعرب"[1].

القسم الأول

تدور المناقشة في الفصول التسعة من الجزأين الأول والثاني من الكتاب حول أفكار رئيسية ثلاثة:

١-العلاقات السياسية والعسكرية.

٢-الاتصالات الثقافية المباشرة.

٣- ما قد يسمى الصورة العربية في مرآة كتاب التاريخ اليوناني- الروماني.

تشكل هذه الأبعاد الرئيسية الثلاثة أكثر الأبعاد صلة بالمسألة المهمة من الفتوحات العربية[2]. إذ أن الترجيحات المقدمة في الأعمال المكتوبة عن المشاكل السياسية والعسكرية في هذه الفترة تميل إلى تقديم صورة غامضة عن أهمية العلاقات الثقافية ، لذلك تحتم الاهتمام بهذه العلاقات في خمسة من الفصول التسعة في الجزأين الأول والثاني من الكتاب. وسيبين المجلد الذي يناقش القرن السابع الميلادي عند ظهوره الأهمية القصوى لفهم مسألة الفتوحات العربية التي أكثر ما

١- عن المشكلات والأفكار الرئيسية للعلاقات العربية-البيزنطية في القرون الثلاثة التي تلت، انظر الجزء الثاني من مقدمة المؤلف في كتابه " بيزنطة والعرب في القرن الرابع الميلادي" .

٢- للمزيد عن ذلك، انظر القسم الثاني- ثانياً من هذه المقدمة .

تختص بتاريخ الأفكار وتاريخ الحروب، التي كان وراء روحها المحركة الدين الإسلامي، الدين الإبراهيمي، الذي ظهر وسط البيئة اليهودية - المسيحية في المنطقة[1] .

بالإضافة إلى هذه الملاحظات ذات الطبيعة العامة يمكن عمل الملاحظات التالية في كل فصل من فصول الجزأين الأول والثاني، وفي الرؤية التركيبية في الفصل الثالث.

أولاً

١- إن الفصل الأول من الجزء الأول من الكتاب يمثل الأساس الذي يكشف عن درجة انتشار العرب في المشرق عند ظهور القائد الروماني بومبي في عام ٦٤ ق.م ، إذ بسط نفوذه على المنطقة الممتدة من جبال طوروس إلى سيناء، والتي مثلت إلى درجة كبيرة مشكلة عربية[2] . لذلك أصبح توطيد نفوذ بومبي هو نقطة البداية في تاريخ العلاقات العربية - الرومانية، وكَشفُ الجانب العربي من هذه العلاقات يعزز ما هو متوقع ومنظور في هذه العلاقات خلال أربعة قرون. وهذا المتوقع المنظور من هذه الفترة الطويلة مهد للمواجهة بين الرومان والعرب في القرن الثالث، والتي من الأفضل فهمها في ضوء المواجهة ذات الأهمية الكبرى في القرن السابع عندما اندفعت جيوش المسلمين العرب من الجزيرة العربية نحو الشمال[3] .

٢- يعالج الفصل الثاني كل ما يتعلق بتاريخ العلاقات العربية - الرومانية في القرون الأربعة أو نحوها، من القرن الأول قبل الميلاد مروراً بالقرون الثلاثة الأولى بعد

١- من أجل معرفة المشكلة المركبة للصورة و"المرايا الأربعة"،انظر"بيزنطة والعرب في القرن الرابع الميلادي"، في فصله السابع، القسم الخامس، الذي يصور الرواية التمهيدية الوثيقة الصلة بمعارك الإسلام الأول ضد البيزنطيين التي قدمها مؤلف الكتاب عرفان شهيد كورقة عمل عنوانها "أبناء اسماعيل: الصورة الذاتية" التي قرأت في ندوة "بيزنطة والإسلام" التي أقيمت في الكلية الهلينية، بروكلين، ماساشوستس بتاريخ ١١ نيسان ١٩٨١ .

٢- يجب ألا تعطي المناقشة في هذا الفصل وفي الفصلين التاليين انطباعاً، كما حدث مع أحد القراء، بأن الرومان كانوا قد واجهوا وطناً عربياً متماسكاً من الوجهتين العرقية والثقافية. بينما الحقيقة كانت على العكس من ذلك تماماً في عرب الدولة الرومانية، الذين لم يكونوا قد كونوا وطناً واحداً حتى ذلك التاريخ، بل كانوا جماعات مختلفة متفرقة وفي حالات من العداء الحربي فيما بينها في أحيان كثيرة، لذلك لم تستعمل كلمة "وطن" العرب في هذا الكتاب أبداً، إذ أن كلمة " الحضور" استعملت بدلاً من ذلك.

٣- بجملة اعتراضية، تعد هذه الفترة الطويلة من العلاقات العربية - الرومانية سبعة قرون بالضبط منذ استهلالها في ٦٤ ق. م حتى النهاية المصيرية عام ٦٣٦ م في معركة اليرموك؛ فقد بدأ الاستقرار الروماني يأخذ مكانه جزئياً في عام ٦٤ ق.م وجزئياً في ٦٣ ق.م؛ انظر الفصل الأول من الخاتمة.

الميلاد، إذ يعد هذا نتيجة طبيعية لما ورد في الفصل الأول الذي عرفَّ هوية المجموعات العربية في المشرق ودرجة انتشارهم في المنطقة، وتبين كيف عامل الرومان العربَ في مجرى أحداث القرون الأربعة التي انتهت بعد استقرار فترة نظام بومبي. وكيف تعاملت روما مع المجموعات السابقة في هذه الفترة التاريخية بعد المرة الأولى التي تعاملت بها مع القرطاجيين قبل ثلاثة قرون من ذلك[1]. لهذا بدأ الاهتمام بالمشكلات السياسية والعسكرية بالضم التدريجي للممالك العربية التابعة لروما. وبالرغم من أن تدمر بحاكميها أذينة وزنوبيا كانت أكثر إثارة من البتراء و ملوكها الأنباط ، وبالرغم من أن الحكاية التدمرية مثلت جيشاناً رئيسياً في تاريخ روما في القرن الثالث، إلا أن ضم مملكة الأنباط عام ١٠٦ م وتحويلها إلى ولاية/إقليم العربية كان أكثر أهمية لدراسة ظهور الإسلام والفتوحات العربية،وذلك لأن ولاية العربية أصبحت حقيقة واقعة وعاملاً مهماً لخمسمائة عام قادمة من تاريخ الحجاز- مهد الإسلام القادم. ولذلك نرحب بدراسات أوفر عن هذا الإقليم / الولاية من الباحثين في الشؤون العربية والإسلامية[2].

٣- يناقش الفصل الثالث العامل العربي المؤثر في التاريخ الروماني خلال قرن الأزمة الإمبراطورية. فلو لم يلقب الإمبراطور الروماني فيليب بـ "العربي" لما عَرفَ أصله العربي إلا القليل، على الرغم من أنه لم يكن بأهمية السيفيري النصف - عربي الأصل في بداية القرن، أو بأهمية التدمريين في أواخر القرن نفسه، والذين لم تحدد هويتهم العرقية العربية الاندماجية بوضوح وبالتالي ظلوا مجهولي النسب. يكشف هذا

١- من الطبيعي عدم تقديم تسلسل العلاقات العربية - الرومانية المستمرة في فصل تفسيري كهذا. فقد كان الضم والإلحاق الرئيسي لمملكة الأنباط ، المملكة الأسرونية، والمملكة التدمرية، بعد استقرار نظام حكم بومبي من الأهمية بمكان. إن ما حدث بين استقرار فترة نظام الحكم التي نسبت إلى بومبي وحكم تروجان لا يمكن اعتباره مهماً إذا ما نسبناه إلى ضم الممالك الثلاثة الذي سبق ذكره، ولذلك، فإن الإشارة إلى ما فعله يوليو كلوديان والفلافيين Julio - Claudians & the Flavians في القرن الأول الميلادي لم يأت إلا من باب المجاملة ليس إلا؛ انظر؛ أولاً - القسم الأول - الفصل الثاني - الجزء الأول من هذا الكتاب.

٢- لأهمية العمل التفصيلي في الكتاب الذي تم على إقليم / ولاية العربية في الدولة الرومانية بمشاركة الكثير من الدارسين الذين يمكن الرجوع إليهم في آخر ملاحظة في الفصل الخامس من الجزء الثاني من هذا الكتاب. كما يمكن الرجوع إلى مناقشة لائحة المقامات في القسم الثالث من الفصل الثاني، والملاحظات على الفصل الخامس من هذه المقدمة لمعرفة المزيد.

الفصل عن قوة الحضور العربي في القرن الثالث بعد الميلاد كما كشفه الفصل الأول في القرن الأول قبل الميلاد . والأهم من ذلك أن الفصل الثالث من الكتاب يثير الاهتمام إلى أن قوة الحضور العربي لم يكن فقط عنصراً ولكنه كان عاملاً من عوامل صناعة التاريخ الروماني. فكانت هذه العلاقات العربية الرومانية في ذروتها خلال هذه الفترة ، التي ربما تحمل في ذروتها المفتاح لفهم مشاعر العداء التي ظهرت ضد العرب في كتابات مؤرخي التاريخين اليوناني والروماني الذين كتبوا عن القرن الثالث الميلادي، إذ سنرى شرحه في فصل زوسيموس Zosimus الذي مثل برؤيته ذروة القدح والذم والتحامل العرقي على العرب.

٤- يناقش الفصل الرابع الروابط والاتصالات الثقافية والإسهامات التي بدأت مع هيرودس الأدومي. ولذلك، فإن الموضوع الرئيسي في هذا الفصل هو عن إسهامات العرب، خصوصاً الهيروديين والأنباط ، التي عملوا فيها على تمدين المشرق، ومن خلال هذا التمدين وصلوا إلى إسهامات ثقافية عالية. وتمت الإشارة إلى الانشغال الكثيف في الحياة الدينية في المنطقة، خصوصاً الوثنية والمسيحية. إذ انشغل الأباطرة السيفيرانيون من الملوك والملكات بالديانة الوثنية، في حين كان الإمبراطور فيليب وأبجر Abgar ملك أديسا (الرُها) أول من تبنى الديانة المسيحية. وقد تم لفت الاهتمام بالدور العربي في تطور مملكة أديسا كمركز مسيحي عظيم في المشرق السامي، وفي تطورها كمركز حضري أيضاً، والذي عرف بصورة أقل من قبل مؤرخي التاريخ الروماني، مثل مدينة الحيرة التي نسبت إلى دائرة النفوذ الساساني التي، مع ذلك، لعبت دوراً مهماً في تاريخ الرومان المشرقي.

غالباً ما كانت تتنكر الشخصيات العربية التاريخية في هذه الفترة خلف أسمائها اليونانية والرومانية، وقد أخفى هذا التبني للأسماء وراءه مشاركتهم ومساهمتهم التي نسبت إلى ما تعارف عليه بـ " الحصاد الهليني"[١] . فعلى سبيل المثال أصبح الاسم السامي مالك (Malik) بورفيري Porphyry، وهو الاسم الإغريقي البديل الذي ربما كان من يحمله عربياً . لكن اسماً من أسماء الأفلاطونيين الجدد New platonist كإيامبليكوس/إيامبليخوس Iamblichus الذي كتب رواية "بابل أو رودانيس وسينون "Babyloniaca or Rhodanis and Sinon كان من المؤكد

---

[١] ارجع إلى"الحصاد الهليني"(The Harvest of Hellenism)، لمؤلفه F.E. Peters، الذي صدر في نيويورك عام ١٩٧١ .

عربي الأصل، ولذلك فقد كان الراوي والفيلسوف عربيي الأصل. إذ كانت الأسماء العربية في هذه الفترة تتخذ من قبل العرب فقط ، وذلك على خلاف الفترة الإسلامية- مع هيبة الاسم العربي - التي اتخذ فيها غير العرب أسماءً عربية وإسلامية صريحة من المستحيل الجدال في معرفة الأصول العربية لحامليها . ويمكن للبحث المكثف أن يكشف عن الكثير من الأسماء الرومانية ذات الأصول العربية التي ساهم أصحابها في الثقافة اليونانية- الرومانية في المشرق السامي[1] .

تمثل الفصول الأربعة الأولى تعليلاً[2] يعتمد على أعمال المؤرخين الذين بحثوا في تاريخ حقبة القرون الأربعة، وقدموه من وجهة نظر رومانية . في حين اجتاز المؤلف هذا العائق بسرعة كبيرة، وقدم تاريخ هذه الحقبة من وجهة نظر مختلفة تختص بعرب المشرق. وبعمل ذلك، يكون قد حاول تقديم صورة تاريخية تعتمد على العرق والمنطقة، ولكن ضمن إطار التاريخ الروماني[3] .

١- لو تبين أن بورفيري كان عربياً، يكون العرب عندئذ قد ساهموا باثنين من الأفلاطونيين الجدد في هذه الفترة الرومانية، وكانوا منشغلين في هذه الفلسفة قبل مدة طويلة من انشغالهم المعروف في الفترة الإسلامية . لمعرفة المزيد عن ذلك، انظر" تاريخ الفلسفة الإسلامية" لمؤلفه M. Fakhry ، الذي صدر في نيويورك عام ١٩٧٠م، الصفحات ٣٢- ٤٤ ١٢٥- ١٨٣ .

قام الأستاذ باور سوك بتحويل ثلاثة صوفيين احتموا وراء أسماء يونانية وعاشوا في القرن الثالث في البتراء إلى أصولهم العربية، وهم: هليودورس، كالينيكوس، وجنيثليوس. واعتماداً على فيلوستراتوس، فقد ترك هليودورس انطباعاً قوياً على كراكلا . وكتب كالينيكوس بحثاً في فن الخطابة وقدمه إلى حاكم ولاية العربية فيريوس لوبس، ثم قدم في فترة لاحقة تاريخ مدينة الإسكندرية إلى زنوبيا . وقد كان كالينيكوس مميزاً بما فيه الكفاية في فن الخطابة في أثينا نفسها . أما جنيثليوس، فقد مارس الخطابة في أثينا وكان منافساً لمواطنه كالينيكوس . انظر باور سوك "عرابيا / ولاية العربية الرومانية"، الذي صدر في كامبريدج وماسَشوستس ١٩٨٣م، الصفحات ١٣٥- ١٣٦ .

٢- للاهتمام الضئيل الذي قدم لتعداد الحقائق عن الشخصيات العربية التاريخية الرئيسية كهيرودس، زنوبيا، وأذينة، قام المؤلف متوسعاً بالتعامل مع هذه الشخصيات، معتبراً أن القارئ على علم بهذه الحقائق، لكن تبقى فصول الكتاب محصورة بالتحليل وليس بالرواية .

٣- يبقى الكثير لإتمام إنجازه عن العرب كمكون في التاريخ الروماني في القرن الثالث الميلادي. ويزودنا علم الآثار بتحديات محتملة لفهم أفضل لأدوار التدمريين والأديسيين العرب. حول ما قيل، وبالتساوي مع الحقيقة، حول ولاية العربية، انظر الملاحظة رقم ٢ من أولا من القسم الأول في هذا الفصل، والملاحظة الأخيرة في الفصل الخامس من الجزء الثاني.

ثانياً

١- يحلل الفصل الأول من الجزء الثاني الوثيقة المهمة / لائحة المقامات Notitia Dignitatum، والتي نوقشت في الفصل الثاني من الجزء الأول، ولكن في سياق مختلف وبطريقة تمهيدية تعرض معالجة تفصيلية مكرسة بالكامل لها. إذ قد تثير السيرة الذاتية للوثيقة المهمة في الفصل الثاني القارئ وتمده بالمزيد عنها كونها وثيقة من مطلع القرن الخامس. وقد تم شرح محتواها في هذا الكتاب في فقرة من مقدمة هذا الفصل التي تكشف مناقشتها عن مدى الاسهام في دراسة الوحدات العرقية في الجيش الروماني[١].

٢- يقدم الفصل الثاني دراسة مكثفة عن مسيحية فيليب العربي التي جعلها الكاتب حقيقة لا ريب فيها ولم يتركها مجالاً للإمكانية أو الاحتمال. فالادعاء المفترض مقدماً بأن الإمبراطور قسطنطين Constantine كان أول إمبراطور روماني مسيحي قد فند في هذا الفصل، في حين أثيرت بعض الأسئلة أيضاً فيما يخص المنح الدراسية التي تهتم بما أنتجه أوسيبيوس.

كان فيليب هو الامبراطور الروماني العربي الوحيد وأول إمبراطور روماني مسيحي. وقد قدمت له كلتا الحالتين مكاناً في كتابي هذا الذي يحتوي على ثلاثة أفكار رئيسية: عسكرية وسياسية وثقافية. إذ مر العرب في مرحلة الوثنية ثم المسيحية وذلك قبل ظهورهم على مسرح التاريخ العالمي كمسلمين في القرن السابع. ويعالج الكتاب هاتين المرحلتين من خلال منظورهما الديني. فعندما يصبح رأس الدولة الرومانية ذو الأصول العربية مسيحياً،عندئذٍ لا يمكن ترك هذه الحقيقة وظروفها الملازمة خارج المناقشة التي مر بها العرب في رحلتهم الروحية الثانية بالإيمان بالمسيحية[٢].وبالمثل، فلا يمكن ترك تابع عربي من رعايا الدولة الرومانية عندما يتحول إلى المسيحية حوالي ٢٠٠م، ويمكن عاصمته أديسا Edessa كي تتطور إلى مركز مسيحي في المشرق السامي، خارج المناقشة في سياق كتاب "روما والعرب"؛

١- بعدما كتب الكثير عن "لائحة المقامات" منذ أيام E.Bocking and O. Seeck في القرن التاسع عشر، من المأمول أن يتم إصدار جديد لهذه الوثيقة وأن يكون جاهزاً مع تعليقات كاملة وخرائط توضع عليها مواقع ومراكز عسكرية متعددة.

٢- انظر آخر جملة من الملاحظات على الفصل السابع " أوسيبيوس والعرب" - القسم الأول - الفقرة د.

من أجل ذلك تم وضع ملحق خاص لأبجر الثامن Abgar VIII في الفصل التالي" أوسيبيوس والعرب" Euesbius and the Arabs[1].

٣- يفتح الفصل الثالث سلسلة من ثلاث معالجات في رؤية واحدة تعني بصورة العرب في مرآة مدوني التاريخ الروماني الكنسيين والمدنيين. وهذه المعالجات الثلاثة متصلة بالفصل السابق من هذا الجزء، وبالفصل الرابع في الجزء الأول، ولذلك فإن هذه المعالجات والفصلين تشكل مجموعة واحدة تعالج المسائل الثقافية.

يتضمن هذا الفصل "أوسيبيوس والعرب" دعوة للتفسير والشرح. فبالرغم من أن أوسيبيوس كان معاصراً لقسطنطين، فقد كتب حتى نهاية هذه الفترة الرومانية. لكن الأكثر أهمية في الحقيقة هو أن العرب الذين ظهروا على صفحات كتاب "التاريخ الكنسي" ينتمون جميعاً إلى هذه الفترة الرومانية التي يعالجها هذا الكتاب. وتبدو الصورة الكنسية مهمة على ضوء الحقيقة في أن العرب الذين قاموا بفتوحاتهم في القرن السابع كانوا سادة الإيمان الجديد، وقد كان مثل هذا الإيمان منسوباً في السابق إلى التقاليد الدينية اليهودية- المسيحية. لذلك فإن متابعة تاريخ المسيحية بين العرب يبدو وثيق الصلة للرد على السؤال التالي؛ لماذا ظهر العرب الفاتحون في القرن السابع كمسلمين عرباً على عكس ظهور الألمان في الغرب (كبرابرة متنصرين). وهذه حقيقة تثير سؤالاً مهماً فيما إذا كانت المهمة التبشيرية المسيحية إلى عرب ما قبل الإسلام تعتبر مهمة فاشلة.

٤- يناقش الفصل الرابع صورة العرب من خلال ما دونه مؤرخو التاريخ المدني الروماني (اللاكنسي) كما يعكسها تاريخ زوسيموس الحديث Historia Nova الذي قد يعود إلى ٥٠٠ م. إن حالة ما يتضمنه تاريخ زوسيموس الحديث يتكئ على حقيقة محتملة في كونه أفضل ممثل للتقاليد المدنية الرومانية وفهمها وإدراكها للعرب. والأكثر أهمية أن العرب الذين يظهرون في كتابه " التاريخ الحديث" في الفصول التي تناقش فترة الإمبراطور فيليب والتدمريون العرب الذين كانت غالبيتهم ممن عاش في هذه الفترة الرومانية خصوصاً في القرن الثالث. وعلاوة على ذلك، فإن مصادر زوسيموس عن هؤلاء العرب الرومان ترجع إلى الفترة الرومانية التي قد تعود في

١- انظر الملحق من الفصل السابع من هذا الكتاب.

الغالب إلى زمن ديكسيبوس Dexippus في القرن الثالث. وبالنهاية لم يكن زوسيموس عالم أجناس فحسب، بل محللاً لانحدار الدولة الرومانية أيضاً. وبما أن صورة العرب التي رسمها في كتابه تبدو مهمة من جانبها كصورة وكمثال توضيحي لوجهة نظره على هذا الانحدار. وبالإضافة إلى ظهور العرب في القرن الثالث، فقد ظهروا أيضاً في القرن الرابع كالملكة ماويا Mavia حسب استعراض زوسيموس الذي ناقش وجود هؤلاء ليدلل جزئياً على صحة نظريته على انحدار الدولة الرومانية، وجزئياً لأن هذا الكتاب "روما والعرب" يستهل موضوعه بالحديث عن بيزنطة والعرب في القرن الرابع[1].

٥- إن الفصل الخامس والأخير من الجزء الثاني هو الثالث الذي يناقش مسألة صورة العرب مناقشة تفصيلية لأكثر تسمية تاريخية شائعة تصف العرب في الأزمنة القديمة وفي القرون الوسطى، في العالمين المسيحيين اليوناني واللاتيني؛ بالسَرقينيين Saracens. إن مناقشة أصول وتاريخ هذه التسمية هو من الأهمية بمكان حيث أن ارتباطها يدل على التضمين الثقافي الذي يحمله المصطلح. كما نوقش أحدث معنى مقترح لأصول هذه التسمية الذي يبدو في نظر كاتب "روما والعرب"مستنداً لترجمة خاطئة للمصطلح في المخطوطات الثمودية التي عثر عليها في شمال الحجاز. كان تعبير سَرَقيني الذي كشف عنه في نهاية الفترة الرومانية، والذي وضع الأبعاد لخيال وصورة العرب كبدو قد حمل معنى التجريم مصادفة مع التفكيك الروماني للمؤسسة العسكرية العربية في القرن الثالث، والتي اعتمدت على المراكز المدنية العربية كأديسا وتدمر.

لم تنل دراسة صورة العرب في الأزمنة الرومانية إلا على القليل من الاهتمام من المؤرخين القدماء. إذ المأمول أن تحاول الفصول الثلاثة في هذا الكتاب ملء هذا الفراغ، وذلك بأن تعيد عدالة الحقيقة إلى هذه الصورة[2].

١- انظر الفصل الرابع من" بيزنطة والعرب في القرن الرابع" من أجل دراسة الفصل الجوهري الموجود عن الملكة ماويا/ماويه. (يرد اسمها مارية عند الطبري، وماوية عند الأصفهاني، وأصلها من الأزد. أصبحت ملكة العرب السرقينيين بعد موت زوجها- المترجم).

٢- يجب إضافة ملحق لهذه الفصول الثلاثة بالمادة ذات الصلة في الفصل السابع الطويل الذي يتحدث عن أميانوس مارقيلينوس Ammianus Marcellenius في كتاب المؤلف شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" .

ثالثاً

في إدراك حقيقي للجزء الثالث من هذا الكتاب الثلاثي الأبعاد يأتي العرض التركيبي كي يكون ذروته التي لا غنى عنها لاستيعاب محتواه. ويكشف الجزءان السابقان من الكتاب برشاقة عن وجوه الاختلاف بينهما كقيم تحليلية عامة، ودراسات مكثفة خاصة تمتد بعيداً وبشكل واسع عن بانوراما التاريخ الروماني خلال القرون الأربعة. ونتيجة لذلك، قد يجد بعض القراء صعوبة في متابعة خيوط الرواية المتقطعة بالملاحق التابعة لها وبالمناقشات المتخصصة الرفيعة المستوى في الجزء الثاني. وبطريقة أخرى، فإن العرض التركيبي يزود القارئ بتسلسل روائي يدور حول مواضيع العلاقات العربية – الرومانية التي تربط خلاصة النتائج والتضمينات التي قد يتم استنتاجها في كلٍ من الفصول السابقة. وتمثل طريقة العرض التركيبي الرواية النهائية أو الإدراك النهائي للأبعاد المختلفة من الحضور العربي خلال عصور السيطرة الرومانية على المشرق[1].

بما أن العرض التركيبي يتأسس على الفصول التسعة في الجزأين الأوليين، فإنه يقدم دعماً لكل رواية ورؤية ووثائق ضرورية في هذه الفصول التسعة. وعلى ذلك تم استبعاد الهوامش منه. إذ يضمن هذا عدم المقاطعة في تدفق التقديم ويضمن عدم تشتيت انتباه القارئ. ويتضمن العرض التركيبي ستة أقسام لا تتوافق مواد أجزائها بدقة مع الفصول التسعة التي أسست عليها، في حين أن بعض الأقسام تنسحب على المواد والمعلومات من فصول متعددة. لذلك ستساعد الملاحظات التالية كأدوات توجيه:

١- على القارئ ألا يتفاجئ بأن الملك أبجر الثامن، الذي أشير إليه في الملحق القصير في نهاية الفصل السابع، أعطي مساحة أكبر في العرض والتركيب- القسم الرابع، أكبر من المساحة التي أعطيت للإمبراطور فيليب الذي أعطي نصف المقطع فقط في المكان نفسه كونه نوقش بتوسع أكبر في الفصل السادس. فالطريقة التحليلية في الجزء الثاني من الكتاب هي ورشة عمل من كل الأنواع على أن طول الفصل ليس موجهاً فقط من خلال أهمية الموضوع ولكن أيضاً من خلال منزلته في الأدب. وعلى أية حال، فإن الأهمية التاريخية لكل فكرة تتحقق من خلال المساحة المخصصة لها في العرض التركيبي. فالعرض التركيبي في مجمله يكون متناسباً كي يعكس أهمية الأفكارالرئيسية بحيث تأخذ كل فكرة منها المساحة اللازمة المخصصة لها . ويعكس القسم الأخير (السادس) الخاص بدقلديانوس، من الجزء الثالث ذلك بشكل دقيق.

١- تتوافق الأقسام الثلاثة الأولى مع الفصول الثلاثة الأولى من الجزء الأول على التوالي.

٢- ينسحب القسم الرابع على الفصل الرابع من الجزء الأول، والفصلين السادس والسابع من الجزء الثاني.

٣- ينسحب القسم الرابع على الفصول السابع والثامن والتاسع من الجزء الثاني.

٤- ينهي القسم السادس مناقشة العرض التركيبي، وينسحب على معلومات ومواد في الفصل الثاني في الجزء الأول والفصل الخامس من الجزء الثاني.

القسم الثاني

تم شرح بنية هذا الكتاب وطريقة وضع أجزائه الثلاثة متصلة مع بعضها في القسم السابق. وبقي أن نشير إلى بعض الملاحظات على الكتاب ككل، أو بالأحرى التوسع فيما تم التطرق إليه باختصار في الاستهلال فيما يخص مجال وطبيعة البحث وصفته كمقدمة للعلاقات البيزنطية - العربية، وعلاقته بالأجزاء الأخرى من ثلاثية الكتاب. ويبدو هذا التوسع ضرورياً في رؤية الأفكار والمقاصد التي اعترضت أذهان بعض قراء هذا الكتاب[1] عندما كان لا يزال في صيغته كمخطوط بالرغم مما قيل في الاستهلال. لقد كان طبيعياً بالإجمال أن يثير المؤرخون الرومان مثل هذه الأسئلة. فكانت الطريقة الوحيدة للرد عليهم بما يكفي، أن نبدأ بتحديد التعابير والمصطلحات بوضوح وبشكل موسع، عما كانت عليه روما وعما كان عليه العرب، وعما لم يكونوا.

أولاً

كان يمكن أن يظهر هذا الكتاب كجزء أول من عمل أكبر عنوانه "بيزنطة والعرب قبل ظهور الإسلام"، وذلك بإيراد الخلفيات الرومانية لهذه العلاقات، لكن الانعكاسات الطويلة المدة أقنعتني أن ذلك قد يحجب من أهمة فكرة الكتاب "روما والعرب"؛ الأهمية التي تكمن في ضمان تقديم فكرة الكتاب كعمل منفصل. إن حسن معرفة الفترة الرومانية يعتبر أساسياً لفهم الكثير مما كان سيحدث فيما بعد في الدولة البيزنطية؛ كما تم في المواجهتين الاثنتين بين العرب والرومان، اللتين شكلتا مواجهتين

١- انظر "الإقرار بالعرفان".

عسكريتين رئيسيتين مهمتين، على الأقل عسكرياً، مقارنة بتلك الفترة البيزنطية خلال القرون الثلاثة أو نحوها التي تلت، ماعدا فترة حكم هرقل التي شهدت الفتوحات العربية.

وبالفعل، فإن بعض أجزاء هذا الكتاب قد شكلت جزءاً من كتابي "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" قبل أن تكون منفصلة عنه. وقد أضاف هذا الفصل فائدة لمصلحة الكتابين. وهذا ما قادني إلى الوضوح في مسائل معينة ربما بقيت بطريقة أو بأخرى غامضة أو غير معروفة بالكامل. كما أعطى هذا الفصل الكتاب هويته الخاصة؛ صغير الحجم وتمهيدي كما أتى. أصبحت المشكلات في الحقب الثلاثة: الرومانية في قرون أربعة، والبيزنطية في قرون ثلاثة، والبداية الإسلامية في القرن السابع، واضحة في مخيلة الكاتب كوحدة ذاتية لكل فترة من هذه الفترات التاريخية الحقيقية التي تكونت في تاريخ العلاقات العربية- الرومانية، وكخيوط من الاستمرارية مرت خلال هذه الفترات التاريخية الثلاث، والتي بالنتيجة أصبحت قابلة للإدراك.

بالرغم من الهوية الذاتية القوية لهذا الكتاب، فإن الاشتقاقات من هذه الهوية للفترة التي تدرسها تبقى في إنجاز مقدمة لتاريخ العلاقات العربية - البيزنطية في القرون الثلاثة التي انتهت من فترة حكم قسطنطين إلى فترة حكم هرقل. وتنسب خاصة كمقدمة إلى واحد من الكتب الثلاثة التي تناقش هذه الفترة البيزنطية؛ الأول: "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" التي كانت منفصلة عنها، لذلك يجب قراءة الكتابين معاً لشدة الصلة بينهما.

تبدو قوة الصلات جلية الوضوح في كل موضع من كتاب "روما والعرب". وهذه الصلات تبدو أكثر وضوحاً في الجزء الثاني حيث عناوين الفصول الأربعة الأولى تشكل شواهد على هذه الصلات:كـ"لائحة المقامات"؛ الإمبراطور الروماني المسيحي الأول: فيليب أو قسطنطين؛ أوسيبيوس والعرب، زوسيموس والعرب. فالفصل الخامس يناقش إلى حد ما صورة العرب، لاحتوائه على صلات قريبة من فكرة كتاب "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، خاصة في فصله الذي يتحدث عن آميانوس مارقيلينوس* Ammianus Marcellinus. في حين أن كتاب "روما والعرب" يقدم الأساس لهذه الصورة في كتاب "بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

---

* ولد أميانوس بأنطاكية (٣٣٠- ٣٩٥م). إذ يعد واحداً من آخر المؤرخين الرومان الكبار. فبعد فترة قضاها في الجندية، كتب كتاباً باللاتينية عن الحوليات من ٩٦ إلى ٣٧٨م بحيث ذيل به على تاريخ

يربط العرض التركيبي إلى أقرب نقطة بين كتابيَ"روما والعرب"و" بيزنطة والعرب في القرن الرابع" . وقد كتب هذا العرض كمخرج للكتاب الثاني. فهو يقرب تاريخ القرون الأربعة ويعد لأفضل قراءة مفيدة في تاريخ القرن أو نحوذلك، والذي يناقشه كتاب"بيزنطة والعرب في القرن الرابع" . لذلك، فهو يدفع القارئ إلى دراسته باهتمام قبل البدء بقراءة " بيزنطة والعرب في القرن الرابع" . وتنعكس كيفية ارتباط الكتابين ببعضهما بشكل أفضل خاصة في القسم السادس من العرض التركيبي، الذي يتحدث عن دقلديانوس الذي أنهى فترة واحدة من العلاقات العربية – الرومانية وافتتح أخرى، تلك التي شكلت الفيلارخيات* والحكومات الاتحادية.

ثانياً

شرح القسم السابق ما هو كتاب "روما والعرب" . وبقى أن يتم استعراض شرح العلاقات العربية – الرومانية.

إن الكاتب هو الوحيد الذي يعرف عمله بشكل شخصي حميم، والكاتب هو الأكثر ثقة من أي شخص آخر في كيف يكون هذا الكتاب أكثر شمولية وعمقاً في معالجة موضوعه. فروما والعرب كتاب تمهيدي وتحليلي حصراً. وقد كتب من وجهة نظر مستعرب ودارس للتاريخ البيزنطي- العربي كتقديم لكتاب "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" موجه بالدرجة الأولى إلى دارسي التاريخ البيزنطي- العربي، وثانياً ليكون مساهمة موجهة إلى دارسي التاريخ الروماني. ومن الطبيعي أن هؤلاء لن يجدوه شمولياً، ناهيك عن تعمقه، في دراسته للعلاقات العربية – الرومانية، وعن الحضور العربي في المشرق الذي حكمه الرومان في هذه الفترة. وعلى الرغم من أن المعالجة في الجزء الثاني تحتوي على دراسات موضوعية شاملة بشكل معمق مقبول. إذ ستؤكد المناقشة على المظاهر العسكرية والسياسية والثقافية للعلاقات العربية–الرومانية، وليس على المظاهرالاجتماعية والاقتصادية، ويكون هذا التأكيد، ضمن أشياء أخرى،

Tacitus تاسيتوس. وقد ضاعت الكتب الثلاثة عشر الأولى، أما الكتب من ١٤إلى ٣١ فتحتوي على سرد قيم للأحداث بين ٣٥٣- ٣٧٨ م. وقد رافق يوليان في غزوه لما وراء الفرات، وكتب عن مقتله – المترجم.

* تسمية يونانية لحكومة أو مشيخة قبلية أو عشائرية،ومنها فيلارخ رئيس القبيلة- المترجم.

مستخلص من حقيقة أن كتاب "روما والعرب" ما هو إلا مقدمة للمجلدين"بيزنطة والعرب"* التي تعالج تتابع مجموعات الاتحاديين الثلاث عبرالقرون الثلاثة،والتي شكلت درعاً بيزنطياً ضد شبه الجزيرة العربية في القرن السابع، حيث انبعث العرب كمسلمين، فكان الفتح الإسلامي في القرن السابع ذروة هذه الأبحاث، ولهذا يبدو التأكيد على التاريخ العسكري والسياسي مفهوماً. لذلك نترك الباب مفتوحاً لأولئك المهتمين لتناول التاريخ في هذه الفترة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، ونتطلع إلى ظهور مثل هذه المعالجة الدراسية المكملة[1].

ربما يثير تكرار الإشارة إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع توقعات القارئ من هذا الكتاب للبحث عن تفسير للانتصار العربي في هذا القرن. علماً أن كتاب "روما والعرب" هو الأول فقط من سلسلة الكتب التي تعالج مواضيع العلاقات العربية- الرومانية والعربية- البيزنطية في فترة ما قبل ظهور الإسلام. وبالإضافة إلى الإضاءة على تاريخ هذه العلاقات في هذه الفترة أردت من سلسلة هذه الكتب أن تخدم كخلفية لحل مسألة الفتوحات الإسلامية. ولذلك، أتى كتابي "روما والعرب" كي يعالج بجزء كبير منه هذه الخلفية دون أن يعني بحل مسألة الفتوحات في القرن السابع. لكن كتاب "روما والعرب" يقدم بعض المعلومات ذات الصلة، في حين سيتم تقديم معلومات حاسمة فيما سيصدر عن القرن السادس المنتهي إلى القرن السابع وفترة الفتوحات.

مع ذلك، وبالرغم من أن طبيعة كتاب "روما والعرب" محصورة في مجاله ومقدمته، فهو الكتاب الأول الذي يعالج الحضور العربي في منطقة المشرق التي حكمها الرومان في هذه الفترة التاريخية الواقعية من بومبي إلى دقلديانوس. مع ذلك، فقد تم تحييد المعلومات المهمة وذات الصلة بالموضوع من خلال الكتابة، ولكنني عللتها واكتشفت السياق التاريخي لإعادته إلى ما يخصه ضمن حزمة معلوماته، ووضعت بالنهاية العامل(المكون) العربي ضمن استمرارية تيار التاريخ الروماني. فيكون هذا

---

* المقصود كتابيَ المؤلف "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" و"بيزنطة والعرب في القرن الخامس" - المترجم.

١- لقلة المصادر عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعلاقات العربية الرومانية في القرن الرابع، انظر الملاحظة رقم ١٩ من مقدمة كتاب المؤلف " بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

مستوى مساهمتي في دراسة هذه الفترة من أجل كتابة تاريخها بشكل شمولي تام أوجب تبديل طبيعة ودرجة هذا الانشغال وهذه المساهمة . لكن فريق العمل في مثل هذا الموضوع يعتبر مسألة مهمة كحوار انضباطي مع زملاء يعملون في مجالات تعاونية وفروع للدراسات القديمة والقرون الوسطى. ويبقى عليّ أن أنشر الجزء الباقي من أبحاثي التي استغرقت سنوات عديدة من ثلاثية علاقات العرب والرومان والبيزنطيين. لذلك، اقترحتْ قاعدة العمل تاريخاً شمولياً معمقاً لفترة هذه القرون الأربعة من تاريخ العلاقات العربية - الرومانية يتولى إعدادها دارس آخر .

هذا ما يظهرعليه كتاب"روما والعرب"ككتاب منفصل ربما يشهد لنفسه بأكثر كجزء تمهيدي لكتاب "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" . آمل أن يثير الكتاب اهتمام دارسي التاريخ الروماني فيما تجاهله هذا الفرع من الدراسات الرومانية والقيود الشديدة التي فرضت عليها، والتي فُرضت عليَ في مجال ومعالجة الكتاب لجذب اهتمام دارسي التاريخ الروماني ونظرتهم الفاحصة، على خلاف ما احتواه كتابي "روما والعرب" الذي لم يتمحور حول دراسة الفترة البيزنطية، وإنما حول الفترة الرومانية، والذي اهتم بها بشكل أساسي وليس كمقدمة فقط لفترة أخرى. إن توفر مثل هذا الدارس المتخصص يجعله قادراً على أن يحقق استقامة هذه الفكرة ومعالجتها بشكل شامل وعميق، وبالنتيجة يقدم كتاباً أكثر استقلالاً وحيوية من "روما والعرب" . فلو أن كتاب "روما والعرب" أمكنه أن يقدم هذا، فإنه يكون قد أنجز عملاً آخر لاكتشاف آخر بإلهام تأليف موضوع لكتاب أعم وأشمل.

لا أستطيع التفكير بدارس متخصص أكثر أهلية لهذا الهدف المغري أكثر ممن هو متخصص في مؤسسة مدرسة مؤرخي التاريخ الروماني، وممن هو مميز فعلاً بموضوعاته، وهو الذي نذر نفسه لتزويدها بمعرفة التاريخ العربي، الآرامي، والعبراني بشمولية وفهم أفضل للمشرق السامي الذي سيطر عليه الرومان، وهو العالم غلين باور سوك Glen Bowersock.

تذييل: إن الآمال والتوقعات التي تم التعبير عنها في المقطع الأخير من هذه المقدمة أتت منجزة بشكل جزئي. فقد اصدر الأستاذ باور سوك كتاب "عرابيا / الولاية العربية الرومانية Roman Arabia" في صيف عام ١٩٨٣م. وآمل منه الآن

أن يوجه اهتمامه إلى الولايات العربية الأخرى* إلى المدى الأقصى والشامل لفكرة موضوع "روما والعرب". ظهر كتاب الأستاذ باور سوك "الولاية العربية الرومانية" بعد إنجاز تدقيق البروفات المطبعية لكتابيَ "روما والعرب" و"بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، ولهذا السبب لم أكن قادراً على الإفادة من الثراء المادي والثقافي الرفيع لكتاب الأستاذ باور سوك إلا بإضافة على الحاشية التاسعة من هذه المقدمة.

---

* كان يوجد ثلاثة أقاليم أو ولايات باسم العربية أو عرابيا في منطقة المشرق: ولاية العربية التي أنشأها الرومان بعد ما أنهى تروجان المملكة النبطية عام ١٠٦م بضمها إلى الإمبراطورية، وكانت عاصمتها بصرى، والثانية كانت فيما بين النهرين (ميزوبوتاميا)، والثالثة كانت في مصر - المترجم.



الجزء الأول

الاستقصاء والمسح (المعاينة) التفسيري

يتألف من أربعة فصول:

١- الفصل الأول: الحضور(المكون)العربي في المشرق خلال القرن الأول قبل الميلاد.

٢- الفصل الثاني: العلاقات العربية - الرومانية من بداية استقرار أوضاع الدولة الرومانية تحت سيطرة الإمبراطور بومبي حتى عهد سلطة دقلديانوس.

٣- الفصل الثالث: العامل العربي في التاريخ الروماني خلال القرن الثالث الميلادي.

٤- الفصل الرابع: الاتصالات والإسهامات الثقافية.



الفصل الأول

الحضور العربي في المشرق
خلال القرن الأول قبل الميلاد

القسم الأول

إن درجة الانصهار العربي في القرن الأول قبل الميلاد، حوالي ٦٣ ق.م بالضبط، وهي سنة استقرار سلطة بومبي، يجب أن تكون ظاهرة الوضوح من خلال تعداد المجموعات العربية التالية في المنطقة، مروراً من الشمال إلى الجنوب[1].

١- شهد المؤرخ الإغريقي الرئيسي سترابو بشكل واضح وصريح ومفصل في الكتاب السادس عشر من جغرافيته بالحضور العربي في المشرق في القرن الأول قبل الميلاد. ارجع إلى الكتاب "Geography, XVI.i.26-28;1,16,18;iii.1". وربما يكون الحضور العربي في المشرق أفضل وضوحاً في الأعمال الحديثة التي تعالج هذا الحضور على وجه الخصوص كما في كتاب ر. دوسو "التغلغل العربي في سوريا قبل الإسلام / R.Dusaud`s La penetration des Arabs en Syrie avant L`islam"، صدر في باريس ١٩٥٥م. للزيادة عن ذلك التغلغل العربي في كامل منطقة الهلال الخصيب يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

i- E.Merkel, Erste Festzetzungen im fruchtbaren Halbmond

ii-F.Altheim & R.stiehl, eds., Die Araber in alten Welt (Berlin, 1964), vol.1,pp.139-80,268-372

iii- Carlos Chad, Les dynastes d`Emese (Beirut,1972),pp.18-24

ومن الكتب الأكثر ملاءمة للفائدة في هذا المجال كتاب:
A.H.M. jones, Cities of the Eastern Roman provinces (مدن الولايات الرومانية الشرقية) لكاتبه إم. جونز، في تعديله الثاني الذي صدر في أوكسفورد ١٩٧١، والذي سيشار إليه مراراً بعنوان "المدن". كما أن كتاب "أقاليم أو ولايات الإمبراطورية الرومانية" لمومسن الذي ترجمه دبليو. بي. ديكنز، وصدر في نيويورك عام ١٨٨٧م، في المجلد رقم ٢، ما يزال مفيداً في دراسة الحضور العربي في الولايات الرومانية الشرقية.

إن هذا الفصل من الكتاب لا يطمح إلى تعداد كل المصادر التي تشير إلى العرب في المشرق، لكنه بالأحرى يبحث فقط بالإشارة إلى الحضور العربي بتجميع ما تفرق في المصادر وفي الأعمال الحديثة،وذلك من أجل أن ينعكس هذا الحضور الواسع والمكثف في المشرق ككل، وليس فيما بين النهرين أو في سوريا أو مصر فقط، ولكن في كل هذه المناطق الثلاثة التي ضمت مصر قبل فصلها عن هذا الإقليم عام ٣٨٠م، كذلك من خلال انتخاب مواد المراجع لهذه الفصول المقدمة عن الفترة الرومانية المنحصرة في الحضور المهم للمجموعات العربية كالأنباط والتدمريين.

١ ـ امتلكت الأسرة الأوسروينية[1] أديسا، بعد أن احتلتها وحكمتها منذ القرن الثاني قبل الميلاد واستمرت في حكمها حتى منتصف القرن الثالث الميلادي. وكانت من أهم المجموعات العربية التي نجحت في تأسيس الحضور العربي عبر الفرات في منطقة ميزوبوتاميا (أعالي بين النهرين) هم أوسروينيو[2] أديسا.

٢ ـ كان يوجد مجموعة عربية آخرى إلى الجنوب من سلسلة جبال طوروس وفي منطقة أنطاكية تحت حكم الحاكم المدعو عزيز، الذي لعب دوراً مهماً في شؤون آخر عائلتين من سلالة السلوقيين هما؛ أنتيوكس الثالث عشر ومدعي الملك: فيليب[3].

٣- إلى الشرق من هذه المجموعة العربية، حكم في خلقيس* أمراء عرب مختلفين، كـ ؛ ألخايدامنس في بلاد الرهامبي Rhambaei، وغامباروس، وثيميلا[4].

٤- إلى الشرق من ذلك أصبح عرب تدمر[5] عنصراً مسيطراً في تاريخ العلاقات العربية - الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

٥-حكمت في حمص والرستن في وادي العاصي مجموعة أخرى من العرب تحت سلطة سيمبسي غيراموس الذي تحالف مع جاره عزيز إلى الشمال بالتدخل في شؤون

١- الأبجريون Abgarids هم الاسم المعروف جيداً الذين حكموا أديسا، وعرفت معظم أسماء ملوكهم بأبجر أو أبقر أو أبغار Abgar .

٢- يبدو عرض سترابو/سترابون أكثر سرداً للمعلومات عن قوة المكون العربي، في كتاب "جغرافيا"، الكتاب السادس عشر، الصفحات ٢٧- ٢٨ من الفصل الأول، والصفحة ١ في كل من الفصلين الثاني والثالث، كذلك بليني / بلينوس في "التاريخ الطبيعي"، الكتاب الخامس، الصفحة ٨٧. انظر التغلغل أو الاختراق العربي قبل الإسلام في منطقة ما بين النهرين بكاملها، انظر الفصل الأول - القسم الأول - ثانياً، وأول ملاحظة تحت عنوان "أسروينة" في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٣- لمزيد من المعرفة عن عزيز، انظر داوني في "احتلال الرومان لسوريا"، دورية "تقارير وإجراءات الجمعية الأمريكية لفقه اللغة"، العدد ٨٢ الذي صدر في عام ١٩٥١م، في الصفحات ١٥٠- ١٥١.

* Chalcis خلقيس: التي تقع إلى الجنوب من حلب حالياً، وذلك حسب الخرائط في نهاية الكتاب، وكذلك Chalcis sub Lebanon خلقيس الأخرى التي تقع جنوب- شرق بعلبك، انظر الخرائط في نهاية الكتاب - المترجم.

٤- انظر"المدن"، الصفحة ٢٥٦ التي تتحدث عن غامباروس وثيميلا اللتين لم يرد ذكرهما حتى عصر القيصر. كما يمكن الرجوع إلى المصدر السابق نفسه في الملاحظة الهامشية ٤١، الصفحة ٤٥٥.

٥- تم ذكرهم لأول مرة في مصادر عصر مارك أنتوني. انظر نفس المصدر في الحاشية السابقة. للمزيد عن فترة ازدهارهم الأخيرة، ولمعرفة المزيد عن التدمريين انظر نفس المصدر السابق، الصفحات ٢٦٥- ٢٦٦؛ وللمزيد عن التدمريين، انظر الفصل الثاني- القسم الأول- ثانياً، تحت عنوان التدمريون في " روما والعرب ".

الأسرتين السلوقيتين الحاكمتين الأخيرتين[1] .

بالإضافة إلى المجموعات الخمسة التي ذكرت أعلاه، كان أربعة منهم يمتلكون قسماً كبيراً مما سمى سوريا السلوقية[2] . وكان يوجد أيضاً المجموعات العربية التالية التي امتلكت الكثير مما سمي سوريا البطليمية:

٦-الأتوريون:وهم من العرب القدماء المعروفين في المصادر الكلاسيكية منذ زمن الإسكندر الأكبر، إذ سكنوا وحكموا لبنان والبلاد المجاورة إلى الشرق ومنها توسعوا لاحتلال باتانَيا(البتنيه) واللجاة وحوران[3] .

٧- إلى الجنوب، بسط الأنباط في البتراء نفوذهم على أراضٍ شاسعة ضمت عبر الأردن وشبه جزيرة سيناء،واحتلوا دمشق نفسها في القرن الأول قبل الميلاد. وكانوا من أكثر المجموعات العربية أهمية في المنطقة، وربما الأقدم[4] .

٨- سكن الأدوميون جنوب فلسطين إلى الغرب من البحر الميت، حيث دفعهم الأنباط باتجاه الغرب في القرن الرابع قبل الميلاد . مع ذلك، لم يكن حتى سقوط

١- كان هذا من ضمن التعاون النادر بين الأسر العربية الحاكمة في المنطقة في هذا العصر: عن هذا الاتفاق الذي تم بين هاتين الأسرتين العربيتين الحاكمتين كي تقتسما بينهما بقايا مملكة السلوقيين، للمزيد. عد إلى " نهاية عصر السلوقيين" لمؤلفه ا. بيلنغر في "تقارير أكاديمية الفنون والعلوم في كونيكتيكت"، نيوهيفن، العدد ٣٨ الذي صدر عام ١٩٤٩، الصفحة ٨٣.

٢- ارجع إلى" المدن"، الصفحة ٤٥٥ ، الملاحظة ٤١ لمعرفة المزيد عن تفاصيل الوثائق عن الحضور العربي أيام الحكم السلوقي في سوريا .

٣- كان للأتوريين عاصمتين، أحدهما دينية، وهي بعلبك، وأخرى دنيوية هي خلقيس اللبنانية الفرعية، إذ وحد حكامهما بين السلطتين الدينية والدنيوية. وحسب ستيفانوس البيزنطي، فمونيكوس العربي هو من خلقيس. وقد يكون مونيكوس هذا هو نفس اسم ميناوس والد بطليموس الذي حكم إمارة الأتوريين في القرن الأول قبل الميلاد . للمزيد، انظر"المدن"، في الصفحة ٢٥٤، وفي ٤٥٤ الملاحظة ٣٧، وإلى مقالة جونز "تمدين إمارة الأتوريون" في JRS، العدد ٢١ الذي صدر عام ١٩٣١، الصفحات ٢٦٥- ٢٧٥ .

٤- انظر "المدن"، الصفحات ٢٥٥ و٤٥٤، الملاحظة ٣٨، عن المجموعات العربية في المشرق، إذ يشترك الأنباط مع الأتوريين في الأصل الإسماعيلي فقط ؛ أسماؤهم: نبي آوث أو نبي غوث ويوطر كولدين من أولاد إسماعيل الإثني عشر اللذين ذكرا في الكتاب الأول من الكتاب المقدس (أصل النشوء والتكوين/ سفر التكوين ١٣ :٢٥، ١٥).

الهاسمونيون في النصف الثاني من القرن أن حكم الأدوميون تحت سلطة هيرودس الكبير وتأييد القوة السياسية المسيطرة لروما على فلسطين وجنوب سوريا لأكثر من قرن من الزمان[١].

٩- أخيراً، كان العرب يسكنون في مصر، وذلك قبل الأزمنة المسيحية، بين النيل والبحر الأحمر في المنطقة البطليمية التي سميت ولاية العربية: على طريق النيل في أرسينواتيس (الفيوم)، وفي طيبه (الأقصر)[٢].

القسم الثاني

إن جميع المجموعات التي وردت في القسم السابق:الأوسروينيون والتدمريون والأتوريون..الخ، كانوا عرباً. وعلاوة على ذلك، فالحضور العربي الواسع الانتشار في المشرق كان مغموراً بشكل عرضي من خلال المصطلحات والتعابير والتسميات الجغرافية والدينية المسيحية.

أولاً

على الرغم من أن المؤرخين التقليديين[٣] الذين كتبوا عن تاريخ وجغرافية هذه المنطقة كانوا متأكدين من الاندماج العرقي لهذه المجموعات، إلا أنهم لم يشيروا عادة إلى هذه المجموعات بالمصطلح العام: العرب، ولكن بأسماء أو ألقاب مميزة تدل

١- انظر كتاب "الأرض المقدسة: جغرافيا تاريخية" لمؤلفه إم. آ في. يوناح، الذي صدر في ميتشيغان ١٩٦٦، الصفحات ٨٦-١٠٧. وترجع السلطة السياسية التي تمتع بها الأدوميين واتساع أراضيهم كما حدث مع التدمريين، إلى الرومان، فازدهرت دولتهم على وجه الخصوص بعد أن ألحق الرومان مملكة الأنباط، جيران الأدوميين إلى الجنوب، بالدولة الرومانية. انظر "المدن" في الصفحات ٢٦٥- ٢٦٦ لمعرفة المزيد عن ازدهار تدمر. انظر "المدن"، الصفحات ٢٥٦- ٢٦٠ لمعرفة المزيد عن تفاصيل استقرار نظام بومبي في سوريا السلوقية وسوريا البطليمية.

٢- انظر الفصل الخامس في هذا الكتاب للمزيد عن العرب في مصر، الملاحظة الثانية تحت عنوان "طيبة"، وإلى الملاحظات من الفصل الأول- القسم الثاني في الفقرة رقم (١). كما يمكن الرجوع إلى" المدن"، الصفحات ٢٩٨- ٢٩٩، والملاحظة رقم ٢، الصفحة ٤٧٠ لمعرفة المزيد عن الاسم الأصلي للعرب.

٣- خاصة سترابو / سترابون، انظر الملاحظات الأولى والثالثة من هذا الفصل.

عليهم[1]. وبعملهم هذا فقد بينوا حقيقة أن كل مجموعة من هذه المجموعات العربية طورت شخصيتها خلال الفترة الطويلة من التطور التاريخي. إلا أن هؤلاء المؤرخين لم يتأكدوا تماماً من معرفة أو اكتشاف الحقيقة المستفيضة الأخرى بأن جميع هذه المجموعات تعود إلى أصل عرقي واحد هو العرب[2]. وهذا ما جعل من دارس المشرق الروماني في هذه الفترة يسهو عن الوجود العربي الواسع الانتشار في القرن الأول قبل الميلاد، وهذه مسألة على جانب كبير من الأهمية لفهم تاريخ المنطقة في الفترتين الرومانية والبيزنطية[3]. استخدم المؤرخون المعاصرون تعابير متعددة إشارة لعرب المشرق في الفترة الرومانية؛ كالساميين، والآراميين، والسوريين. وقد يقال هذا عن استخدام هذه التعابير في ضوء الواقع الذي يقول بأن العرب هم ساميون، أصبحوا إلى حد ما آراميين، وقطنوا واقعياً في سوريا. غير أن هذا الترميز أخفى الشخصية العرقية والثقافية لهذه المجموعات العربية. ففي حين أن تعبير"سامي" يعد مصطلح عريض، فإن مصطلح الآراميين أو الآرامي ينحصر في نوع المجموعة العربية تحت هذا المسمى، في حين أن اسم سوريا هو تعبير جغرافي[4] ليس إلا.

١- على خلاف المؤرخين الإغريق واللاتين في الفترة البيزنطية خلال القرون الثلاثة، لم يشر المؤرخون التقليديون أبداً إلى العرب الاتحاديين بأسماء قبائلهم المندمجة ولكن فقط بالاسم العام سَرَقيني أو سَرَقينيين. استثني نونوسوس Nonnosus تعبير سَرَقيني من هذه التسمية العامة، لكنه أشار إلى الكنديين (من قبيلة كندا) الذين سكنوا في أطراف شبه الجزيرة العربية. وللمزيد عن نونوسوس وكندا، انظر دراسة د. عرفان شهيد " بيزنطة وكندا "، العدد ٥٣ من الدورية "المجلة البيزنطية/ BZ"، الذي صدر عام ١٩٦٠، الصفحات ٥٧- ٧٣ .

٢-كانوا في هذه النقطة مثلهم مثل القبائل الجرمانية التي عددها وناقشها بالدراسة تاسيتوس Tacitus. وبمعرفة القارئ باللائحة الطويلة للقبائل الجرمانية (باتافي، تشاتي، ... الخ) لنفس المؤلف أعلاه، ليس فقط لأن عنوان كتاب تاسيتوس / تاخيتوس هو "Germania"، ولكن لكونها توحي بذلك أيضاً، بغض النظر عن مقدمته التي تحتوي على أكثر من فصل. لكن من يدرس تاريخ المشرق في القرن الأول لن يستطيع استخلاص، أو بسهولة استخلاص أن القبائل التي مر ذكرها سابقاً في هذا الفصل جميعها عربية.

٣- انظر الملاحظتين الأخيرتين من هذا الفصل.

٤- يميل كتاب فيليب حتي "تاريخ سوريا " الذي صدر في لندن عام ١٩٥١م للتعامل مع مجموعات الأعراق المختلفة الموجودة في سوريا كسوريين. ورغم تضمين المؤلف في الفصل ٢٩ المعنون

ثانياً

انعكس الانصهار العربي في المشرق في الحقيقة التي طالما لم يتم التعرف عليها، والتي تقول أنه لم يكن في المشرق إلا ولاية عربية* واحدة فقط - مملكة الأنباط السابقة التي تحولت إلى إقليم/ ولاية العربية في ١٠٦م- ولكن وجد أيضاً ولايتين عربيتين أخريين بهذا الاسم: واحدة في منطقة ما بين النهرين والثانية في مصر.

١ـ أسس العرب أنفسهم في مصر في أوقات مبكرة جداً[١]، وانعكست هذه التسمية باستعمال تعبير "عرابيا" في زمن البطالمة العائد إلى تسمية ولاية مصرية في شرق الدلتا التي كانت عاصمتها ذلك الحين "فاقوس" أو"فاقوسا"، وانعكس كذلك في مؤسسة مكتب الأعراف العربية[٢]. و"عرابيا/ العربية" هي نفسها التي اعترضتها إيجيريا Egeria في رحلاتها بعد عدة قرون[٣].

بـ "الدول السورية العربية قبل الإسلام"، إلا أنه يبدو كما جاء فصلاً معلوماتياً للقارئ العادي، فهو يحتوي على بعض الأفكار الخاطئة كما ورد في المقطع الافتتاحي في الصفحة ٣٧٥، إذ يرى فيرغس ميللر أن سوريا كانت مقسمة بين ثقافتين؛ يونانية وآرامية، وربما يكون هذا التقسيم صحيحاً بشكل عام، لكنه يحجب العنصر العربي والمنطقة في سوريا بوضعهما تحت الثقافة الآرامية، حتى في الأطراف التي كانت فيه الهوية العربية واضحة القوة كما في تدمر. انظر ميللر في مقاله "بول الساموسطاطي؛زنوبيا وأورليان:الكنيسة،الثقافة المحلية والتحالف السياسي في القرن الثالث في سوريا"، في دورية JRS،العدد ٦١، الصفحات ١ - ١٧. وعما عُرف بالمنطقة العربية في المشرق انظر الفصل الأول،القسم الرابع، ثانياً من هذا الكتاب.

* أطلقت التسمية "عرابيا " على كل منطقة سكنها العرب في تلك الأزمنة، لذلك كان يوجد أكثر من منطقة بهذا الاسم - المترجم .

١- انظر الملاحظة الأولى تحت عنوان "طيبة" في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٢- انظر أر. ستيهل في "العرب في مصر" في "معجم المصريات" ١، ٣، الصفحة ٣٦٠ .

٣- لمعرفة المزيد عن رحلات إيجيريا** "Egeria`s Travels in "Arabia in Egypt العربية في مصر في القرن الرابع، انظر" بيزنطة والعرب في القرن الرابع" في الفصل الثامن، الجزء الثالث.

* إيجيريا، في الإسطورة اليونانية، هي عروس من عرائس البحر قدمت نصائح وقوانين للملك نوما ثاني ملك على روما - المترجم.

٢ـ كانت "عرابيا/ ولاية العربية ما بين النهرين" أعظم أهمية من الناحية الثقافية والنواحي الأخرى من تلك التي كانت في مصر. فقد أسس العرب في "عربية ما بين النهرين" حضوراً واسعاً وعميقاً في أوقات مبكرة تعود إلى عصر Xenophon اخسينوفون وانعكست باستعمال مصطلح "العربية" كتسمية لواحدة من مناطق ما بين النهرين، ودام استعمال التسمية في الأزمنة الرومانية والبيزنطية اللاحقة كما وردت في السريانية واللاتينية كبيت العرباية (Beth-Arabaye)، و"العربية" كتسمية في مناطق شرق وغرب الخابور على التوالي[1]. وعلى كل حال، فبعد تفكيك التوطيد العربي المؤسس في منطقة ما بين النهرين في القرن الثالث الميلادي من قبل الفرس والرومان الذين قضوا بالتوالي على استقلال حترا وأديسا Hatra & Edessa، تم التغطية على الحضور العربي في هذه المنطقة بتسمية الإدارة الجديدة التي أطلقت عليها. فقد قسمت منطقة ما بين النهرين الرومانية - في العصر البيزنطي - التي تقع إلى الغرب من نهر الخابور إلى ثلاث ولايات أوأقاليم:Mesopotamiaما بين النهرين، أوسروينه Osroene،والفراتية Euphratensis، ولم يظهر في أي من هذه التسميات الثلاثة أية واحدة تدل على الحضور العربي. فالطلاب المهتمون بمعرفة التاريخ الإقليمي والجغرافي لمنطقة المشرق هم فقط الذين يمكن أن يتذكروا أن تعبير أوسروينه اشتق من اسم القبيلة العربية أوسرُيني Osroeni.

١- إضافة إلى ما قيل أعلاه عن الحضور العربي فيما بين النهرين المتمثل بالأوسروينيين في أديسا إلى الغرب من الخابور، قد يذكر أن العرب نجحوا في تأسيس أنفسهم ليس فقط في سهول المنطقة بل أيضاً في كثير من مراكزها المدنية التي حكمتها السلالات العربية إلى الشرق من الخابور، فقد كانت حترا Hatra القلعة العربية العظيمة التي كانت توازي Edessa إلى الغرب من الخابور، وكذلك سينجارا Singara عاصمة قبيلة بريتافي Praetavi العربية.

لمزيد من المعرفة عما سبق وعن الأسر العربية الحاكمة والمدن في آسيا الصغرى ارجع إلى"المدن"، في الصفحات ٢١٦، ٢٢٠، وإلى الفصل الخامس من هذا الكتاب، انظر الملاحظة الأولى تحت عنوان"طيبة". وعن "العربية" شرقي الخابور انظر Anabasis,1.5.1 لاكسينوفون/ اخسينوفون.

* Anabasis، العمل الذي ألفه المؤرخ والجندي اليوناني إكسينوفون/ إخسينوفون، إذ يروي فيه تراجع جيش المرتزقة الذي قاده، كما يروي فيه أيضاً الرحلة التي قام بها سايروس الصغير إلى أواسط آسيا بين ٤٠٠ إلى ٤٠١ ق.م - المترجم.

وهكذا استنبطت الأسماء المحلية للمشرق إلا أنها أخفت عمق ودرجة الحضور العربي في المنطقة. وعلى الرغم من انعكاس هذه الأسماء جزئياً على التسميات الثلاث "عربية أوعرابيا"، إلا أن الـ"عربية" البطليمية كانت أقلها أهمية، بينما كانت "عربية" ما بين النهرين قد مرت رسمياً كاسم إداري. وكانت دولة الأنباط السابقة - الإقليم العربي التراجاني، الذي ضمه الإمبراطور تراجان إلى الإمبراطورية عام ١٠٦م- هي الوحيدة التي مثلت التسمية العربية للإقليم. فقد كان الحضور العربي واسع الانتشار في المشرق في القرن الأول الميلادي كما ورد في القسم السابق، واستمر خلال الفترات الرومانية والبيزنطية، وذلك بغض النظر عن الغموض الذي أضفيَ على هذه المصطلحات والمسميات التي أعطيت للأقاليم المنشأة حديثاً، خاصة في الأطراف، وبالأسماء اليونانية - الرومانية المنقولة التي اتخذها العرب الذين تأثروا بهاتين الثقافتين.

القسم الثالث

عندما ظهر الرومان في الشرق في القرن الأول قبل الميلاد كان قد مر على العرب ثلاثة قرون تقريباً من العلاقات مع السلوقيين والبطالمة، وحتى لفترة أطول من العلاقات التي تأثروا بها مع شعوب المنطقة السامية،خاصة الآراميين واليهود. فقد عرَّض السادة الجدد في المشرق العرب للتأثيرات الحديثة المنبعثة من مناطق الإدارات الإمبراطورية ومن مناطق تمركز الجيوش. ومع التوسع في المواطنة لجميع الأجانب عام ٢١٢م كانت عملية التطبيع الروماني على العرب قد وصلت إلى ذروتها[١]. وبالرغم من كل هذه التأثيرات التي تعرض لها العرب في المشرق خلال العديد من القرون فإنهم لم يفقدوا بالكامل هويتهم كعرب سواء خلال الفترة اليونانية أو الرومانية.

١- بالرغم من تأثرالعرب، كالأنباط بثقافة جيرانهم الماسدونيين/ المقدونيين الإغريق والبطالمة والسلوقيين والمتأثرين بالثقافة اليونانية كملوكهم،ظلوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وفوق كل ذلك على لغتهم العربية[٢].

١- عن بعض أوجه التطبيع اللاتيني، انظر إلى ما كتبه Fr. Cumont في"تاريخ كمبريدج القديم"، العدد ١١، الصفحات ٦٢٤-٦٢٥.

٢- انظر" تاريخ سوريا" لمؤلفه فيليب حتي، الصفحات ٢٨٨، ٢٨٣- ٢٨٤. لمعرفة المزيد عن استعمال اللغة العربية في احتفالات البتراء الدينية الوثنية في القرن الرابع الميلادي، انظر "سانت جيروم والعرب" في الفصل الثامن، القسم الثاني من كتاب المؤلف شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

استعمل العرب، مثلهم مثل بقية شعوب الشرق الأدنى السامية، اللغة الآرامية في الكتابة والمخطوطات والعلاقات الدولية، بينما بقيت اللغة العربية لغة التخاطب اليومية في الدولة النبطية[1]. وما كتبه Fr. Cumont عام ١٩٣٦ في وصف العرب في ذلك الوقت يبقى صحيحاً حتى يومنا هذا: "...كانت الحضارة الإغريقية قشرة سميكة تظهر على السطح الخارجي، في حين حافظ العرب تحت أمرائهم من أبناء جلدتهم على أبجديتهم وديانتهم الخاصة بهم وقوانينهم وعاداتهم المتوارثة، وظلوا أمناء لعادات وطقوس وشعائر أجدادهم الساميين"[2].

مما لاشك فيه أن الدرجة التي حافظت فيها المجموعات العربية المختلفة على هويتها قد اختلفت من واحدة لأخرى، غير أن ما تبقى من هذه الهوية، على الرغم من ضعفها، ظل موجوداً كما في حالة الأدوميين الذين تم امتصاصهم في النهاية في الكيان اليهودي[3].

١- لم يفقد اليهود هويتهم عندما تبنوا الآرامية كلغة تَخَاطب مثلهم مثل العرب الأنباط، لكن العرب الأنباط على عكس اليهود، استعملوا الآرامية على الخصوص في النقوش فقط وفي تعاملاتهم الخارجية مع العالم في المعاملات التجارية والدبلوماسية.

٢- انظر "تاريخ كمبريدج القديم"، العدد ١١، الصفحة ٦١٦.

٣- ارجع إلى Avi-Yonah في كتابه " الأرض المقدسة "، الصفحة ٦٥. بالرغم من بعض الإيماءات الهامة الموجهة إلى اليهود، بما فيها توسيع الهيكل، فقد كرهوا هيرودوس الأدومي، ولم يعتبروه واحداً منهم. وربما دفعته كراهيتهم إلى الابتعاد عنهم، كما أنها قد تكون أضعفت مشاعره بالانتساب إليهم.

من الجلي أن بطليموس ناقش الاختلاف بين اليهود والأدوميين؛ انظر M. Stern في كتابه "أراء المؤلفون اليونان واللاتين عن اليهود واليهودية" الذي صدر في القدس عام ١٩٧٦، المجلد الأول، الصفحة ٣٥٦. إذ يمكن استشارة هذا الكتاب عن أمثال هؤلاء الكتاب اليونان كـ Molon and Polyhistor بما كتبوه عن اليهود، كما يمكن أيضاً مراجعة الفصل "أوسيبيوس والعرب" في كتابنا هذا "روما والعرب"، الملاحظة الثانية من الفقرة رقم (٢)، البند (د)، كما يمكن الرجوع أيضاً في هذا الموضوع إلى E.Schurer في كتابه "تاريخ الشعب اليهودي زمن السيد المسيح"، المشار إليه أيضاً في الملاحظة السابقة نفسها من الفصل السابع.

٢- ما قيل عن الأنباط يكون صحيحاً تقريباً عن التدمريين في الفترة الرومانية[١] التي تأثرت بها المجموعات العربية المختلفة في المشرق بعملية التطبيع الرومانية بطرق مختلفة ودرجات متفاوتة. فربما تأثر العرب حول نهر العاصي- هؤلاء في حمص كمثال- أكثر مما تأثر به التدمريون لأن الظروف الجيدة مكنتهم من الاحتفاظ ببعض أو الكثير من هويتهم العربية[٢]. وهذا ينعكس من خلال إحياء الأسماء العربية الشخصية فيما بينهم، مثل: سوئيمياس وإلاغابالوس، والأبعد أثراً، هو استمرا رهم في تكريس طقوس وشعائر عاداتهم الدينية، حيث كان أمراء حمص أنفسهم قساوستها أيضاً. فعندما تكون الهوية مرتبطة بطائفة دينية تبقى هذه الهوية حية لصلاتها الشديدة بأعراف وقوانين مؤسستها المحافظة والمتماسكة.

لذلك، وبالرغم من معايشة العرب لليونان والرومان والتوسع في منح المواطنة كما حدث في المناطق المحلية الأخرى في ٢١٢م، فقد كان أغلبية العرب في المشرق مستوعبين للثقافة فقط. لكن بعضهم، كالأدوميين والأتوريين، استوعبوا الثقافة اليونانية - الرومانية، غير أن هذه الثقافة بقيت قشرة سطحية خادعة في الكثير من حياة العرب في المنطقة. ولا شك أن بعض النخبة منهم حققوا شهرة في التاريخ الروماني المحلي، كالهيروديين الذين تأثروا بشكل كامل بالثقافة اليونانية - الرومانية، لكن يبقى الشك قائماً في أن الغالبية العظمى من الأدوميين الذين سكنوا الأرياف لم يتأثروا بنفس الدرجة التي تأثر بها أسيادهم. ومع ذلك، وبالرغم من تبني الأسماء اليونانية والرومانية وسياسة التطبيع اليونانية والرومانية الكاملة، إذ المحتمل أن معظمها ظل غريباً وأجنبياً حتى على الساميين الذين كانوا ملتصقين بشدة بهم، وحتى

١- وكذلك الأنباط في الفترة الرومانية أيضاً؛ انظر الفصل الأول - القسم الرابع - ثانياً، ولمعرفة المزيد عن الأنباط والتدمريين، انظر" تاريخ كمبريدج القديم "، العدد ١١، الصفحة ٦٢٤ التي تتحدث عن استمرار " التنظيمات القبلية السامية القديمة " في تدمر.

٢- انظر تشاد Chad في" الأسر الحمصية الحاكمة"*، الصفحات ١٣، ٢٩، ٨٢.

* حكمت العائلة السلوقية معظم أجزاء آسيا الصغرى وسوريا وإيران وباكترا، إذ أسسها سلوقس أحد جنرالات الإسكندر المقدوني عام ٣١٢ ق . م بينما حكمت السلالة البطليمية المنحدرة من أصولها اليونانية - المصرية مصر من ٣٢٣ - ٣٠ ق.م - المترجم.

لليهود الذين تبنوا ديانتهم[1]. لهذا، فإن عرب المشرق ربما تأثروا بالانتقال الثقافي من الثقافتين اليونانية والرومانية، لكنهم لم يندمجوا جزئياً أو كلياً. وهذا واضح في مثال الأنباط الذين حافظوا على قوانينهم التقليدية وعادات أجدادهم وطقوسهم الدينية السامية وعلى لغتهم العربية.

ويمكن أن نستوحي الأسباب التالية لاحتفاظ عرب المشرق بهويتهم:

أ- كانوا موجودين في المشرق قبل ظهور الرومان على مسرح تاريخ الشرق الأدنى، ولذلك لم يكونوا من القادمين الجدد بل كانوا مستوطنين قدماء عرفوا كيف يمتصون موجات الفاتحين عسكرياً وثقافياً[2]، وكانوا، فوق ذلك، في موقع السيادة السياسية كسلالات حاكمة في مختلف المراكز والحاضرات المدنية عند ظهور الفاتحين الرومان.

ب- ساعدت السياسة الرومانية العرب على أن يحافظوا على هويتهم وذواتهم الشخصية وذلك بتركهم يحكمون المناطق التي كان أسيادهم من أبناء جلدتهم يحكمونها سياسياً، ولهذا كانت تجربة الوكالة السياسية الممنوحة لهم من الرومان، والتي استمرت لأزمان طويلة قد منحتهم المقدرة على الاستمرار في النمو داخل أطر البناء السياسي والاجتماعي التي كانت جاهزة قبل الوصول الروماني، وقد كان هذا حال الأنباط[3].

ج- بمقدار أهمية السببين السابقين أو ربما مساوياً لهما، لا شك أن الأكثر أهمية من تفرد الوجود العربي في المشرق واستمرار الهوية العربية هو تلاصق وتلاحم هذا المشرق، وتجاوره الفعلي على وقرب تخوم هذا المشرق في شبه الجزيرة العربية الذي يحتوي على خزان ثقافي واسع الطيف العرقي من الحضور العربي. فقد حافظ العرب - على عكس الآراميين واليهود في المشرق الذين فقدوا الارتباط بالأرض السامية -

---

١- انظر الملاحظة الأخير في الفقرة السابقة رقم ١. ربما كان نفس الشيء صحيحاً كي ينطبق على شخصيات مشهورة مثل ماركوس يوليوس فيليبوس، وهو المواطن والإمبراطور الروماني (٢٤٤-٢٤٩ م)، ومع ذلك بقي فيليب العربي كما رآه مؤرخو التاريخ الروماني.

٢- كالأخمينيون والماسدونيون/ المقدونيون.

٣- يجب أن يذكر أيضاً أن منح المواطنة لم يمتد إليهم حتى تاريخ متأخر(عام ٢١٢ م)، وترتبط هذه الحقيقة أيضاً بالنقاش الذي يقول: لماذا لم يتنازل العرب عن هويتهم الشخصية تحت الحكم الروماني؟ علماً أن العالم الروماني، ولفترة طويلة، لم يعتبرهم منتسبين إليه.

على ارتباطهم بالأرض وكان حضورهم يستكمل ويملئ المشرق والهلال الخصيب باستمرار بموجات موسمية وغير موسمية من الاختراق وموجات المهاجرين القادمين من الجزيرة العربية[1]. وقد كان هذا التدفق المستمر من شبه الجزيرة من أكثر الأسباب أهمية في تقوية وتعضيد الوجود العربي في المشرق سكانياً وبنفس الوقت المحافظة على هذا الوجود ثقافياً[2].

إن حقيقة هذا الحضور العربي في المشرق واحتفاظه ببعض الصور والأشكال الثقافية الشخصية[3] يبرر القول بحضور هذا العامل في تاريخ المشرق في هذه الفترة

١- وحتى بعد الوصول الروماني إلى المنطقة واستقرار نظام حكم بومبي، خصوصاً قبل إلحاق مملكة الأنباط ١٠٦م بالإمبراطورية وإنهاء مملكة تدمر في ٢٧٢. فقبل هذين التاريخين كانت أطراف المنطقة المحاذية لشبه الجزيرة العربية ما تزال تحت تأثير الأنباط ومملكة تدمر، ولم تبسط روما سيطرتها العسكرية المباشرة على هذه الأطراف حتى ذلك التاريخ، وبالتالي لم تتحكم بموجات المهاجرين والمتسللين إلى داخل الأراضي الإمبراطورية في المشرق.

٢- إضافة إلى ذلك،اعتمدت القوافل التجارية لكل من البتراء وتدمرعلى كونها بالدرجة الأولى على الأقل، كناقلات ثقافية في المنطقة التي يتكلم اهلها اللغة العربية، فاجتازت هذه القوافل شبه الجزيرة العربية، وكان من بينهم الأنباط والتدمريين الذين أجبروا على أن يتكلموا لغة أهل شبه الجزيرة لأسباب تجارية صرفة حتى ولو لم يكونوا راغبين باستعمالها في ديارهم، غير أن ما مر من المناقشة يبين أنها لم تكن كذلك.

١- على خلاف عرب الاتحاديين خلال القرون الثلاثة للفترة البيزنطية في المشرق، حافظ هؤلاء العرب في الفترة الرومانية على حسهم القوي بهويتهم العربية التي ساندها استخدام الرومان لتسمية العرب بالسَرقينين، وبإلغاء منح حق المواطنة . انعكست هويتهم العربية في توظيفهم اللغة العربية ليس فقط في لغة التخاطب كما فعل الأنباط ولكن بمجالات أكثر أهمية. لكن الأعظم أهمية كان في تسجيل مآثر ملوكهم الأموات، وتسجيل قصائد شعرهم التي امتدحوا فيها انتصاراتهم على الرومان. ونذكر منها التسجيل الشعري المكتوب في مخطوطة نمارا Namara الذي يحتفل بمآثر امرئ القيس، وبانتصارات الملكة ماويا: انظر الفصول (من الأول إلى الرابع) في كتاب شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" لمعرفة المزيد عن حكمي قسطنطين وفالينز. فلو وضعنا مقابل خلفية استعمال عرب المشرق للغة الآرامية كلغة مكتوبة لعدة قرون في فترات ما قبل البيزنطيين والهلليين والرومان، عندها ستبدو أهمية مخطوطة نمارا والكتابات الشعرية المنظومة في القرن الرابع التي تمتدح الملكة ماويا باللغة العربية، لتصبح جميعها شاهدة على حجم الحضور العربي . فقد أشارت هذه البنى المنظومة شعرياً إلى تحول في التوجهات الثقافية التي تأثرت بوصول المجموعات العربية

الرومانية، وربما أكد هذا الحضور نفسه بقوة في القرن الثالث من خلال ثلاثة أحداث متصلة التشابك فيما بينها[1]،كما أن الاعتراف بهذا الإنجاز الذي حققه العرب أنفسهم يساهم بفهم أفضل للتاريخ العربي والتاريخ الروماني والعلاقات العربية - الرومانية في هذه الفترة وما تلاها من القرون اللاحقة من العصر البيزنطي.

القسم الرابع

كانت المجموعات العربية حاضرة بشكل كامل ضمن حدود الشرق الواسع الامتداد، وقد تأثر هذا الوجود ولمدة طويلة بالعديد من الثقافات عند ظهور الرومان في الشرق في القرن الأول قبل الميلاد. ويتبين مما تمت مناقشته في القسم السابق، أن عرب المشرق حافظوا وبدرجات متفاوتة على هويتهم الثقافية. والسؤال المثير هو إلى أي حد كانت المجموعات العربية المختلفة قاطعة في تقرير درجات تحديد هذه الهوية[2]. والإجابة على ذلك ربما تكون محددة في مفهوم القرب والبعد عن شبه الجزيرة العربية: فكلما كانت هذه المجموعات قريبة من شبه الجزيرة كلما كان الحفاظ على هويتها أشد وضوحاً، وعلى العكس، كلما كانت نائية عن شبه الجزيرة وقريبة من البحر الأبيض المتوسط كلما كانت درجة الحفاظ على الهوية أقل. ويمكن توضيح هذا المبدأ العام بالعمل على الإشارة إلى بعض المجموعات الممثلة لذلك.

أولاً

كان الأدوميون على الأرجح من أكثر المجموعات العربية تمثلاً واستيعاباً للثقافات غير العربية في المشرق، علماً أن منطقة تواجدهم أدومية كانت إلى الغرب من البحر الميت لا تبعد كثيراً عن البحر الأبيض المتوسط. ولأن الأدوميين تعرضوا خلال

الجديدة التي هبطت من مناطق النصف الشرقي من الهلال الخصيب، والتي عمت فيها التقاليد الثقافية العربية (من المحتمل المكتوبة منها).

١- تم ذلك من خلال سلالة الإمبراطورات العربيات السيفيرانيات وأبنائهن، والإمبراطور فيليب العربي، وأذينة وزنوبيا من تدمر. ارجع إلى الفصل الثالث من هذا الكتاب.

٢- انظر الفصل الأول - القسمين الثاني والثالث من هذا الكتاب لمزيد من المعرفة عن الرغبة في تفكيك المنطقة أو الطبقات العربية من العرق السامي العام أو على الخصوص من الآراميين في المشرق.

قرون لعمليات التطبيع الآرامي واليهودي والهليني، فقد تعرضوا أيضاً لعملية تطبيع رومانية إلى أن أصبحوا، بعد قرن من الزمن أو أكثر، وكلاء للرومان في إدارة دفة حكم أراضي حكامهم الهيروديين التي ضمت ساحل البحر الأبيض المتوسط في فلسطين التي ضمها الرومان لإمبراطوريتهم وحكموها بشكل مباشر. مع ذلك حافظ الأدوميون على القليل من هويتهم العربية[1].

تعرض الأتوريون الذين كانوا بالقرب من المكان الذي تواجد به الأدوميين، إلى نفس التأثيرات التي تعرض لها الأدوميين عند ظهور الرومان، وكانت علاقاتهم مع الرومان قد مرت أيضاً بخطوط متشابهة. وكما بلغ الأدوميون سواحل البحر الأبيض المتوسط وتعرضوا لعملية تطبيع يهودي كذلك فعل وتعرض الأتوريون. وقد يقال أيضاً أن الأتوريين فقدوا الكثير من هويتهم العربية[2].

وبنفس التصنيف تقريباً،ولكن بدرجة أقل من التأثر الثقافي،كان عرب حوض العاصي الذين حكموا حمص والرستن وعاشوا بأسلوب وطريقة اليونان والرومان واتخذوا أسماء رومانية لكنهم مع ذلك لم يتأثروا ثقافياً كما تأثر الأدوميون العرب. وقد ظهرت أسماء عربية بينهم ، لكن الأكثر أهمية هو التزامهم بالديانة العربية ؛ إله - شمس حمص(إله الشمس الحمصي)، وبرهنوا على احتفاظهم بهويتهم العربية أكثر

---

١ - أوحى لي المرحوم الدكتور M.Ghul أن الأدوميين كانوا عرباً من قبيلة جُذام Judam من العصور البيزنطية المتأخرة والإسلامية: فإن كان الأمر كذلك، يكون الأدوميون، في غضون القرون التالية، قد عادوا إلى اندماجهم الثقافي العربي، وبالتناوب، لم يكونوا جميعاً مستوعبين ثقافياً في هذه الفترة الرومانية، وربما لم يتجه بعضهم نحو الغرب بل ظلوا في صحراء جنوب فلسطين قريباً من التأثير العربي في سيناء وشرق الأردن. للمزيد من المعرفة عن الأدوميين عد إلى الملاحظة الأخيرة في الفقرة رقم (١) من القسم الثالث في هذا الفصل.

٢- على الخصوص هؤلاء الذين لم يحتلوا منطقة لبنان الشرقية حيث تغلغلوا داخل حوران و Batanaea البتنية ومنطقة اللجاة القريبة جميعها من شبه الجزيرة العربية ومن تأثيراتها. كان الأدوميون يحتلون لبنان، وقد حكمت سلالة الأتوريين في أركا / عركا Arca في شمال لبنان، وكانت جبيل Byblus واحدة من قلاعهم، عد إلى "المدن"، الصفحة ٤٥٦، الملاحظة ٤٥. احتفظ سكان شرقي لبنان وحوران والبتنية واللجاة بالكثير من صفاتهم العربية كما فعل قسم من الأدوميين، كما ظهر الأتوريون في أركا/عركا على ساحل البحر الأبيض المتوسط كمحتفظين بهويتهم الأتورية. عن عركا الأتورية في ٢٣٠م، انظر تشاد Chad في "الأسر الحمصية في حمص"، الصفحة ٢٢.

مما فعل الأدوميون والأتوريون. وهذا ما ميزهم عن هؤلاء الأدوميون والأتوريون[1] الذين تهودوا.

ثانيًا

احتفظ العرب بهويتهم الثقافية القوية في أقاليم التخوم وعلى حدود وأطراف المشرق. وقد كانوا، على عكس عرب ساحل البحر الأبيض المتوسط ووادي نهر العاصي، قريبين من شبه الجزيرة العربية. وقد أمن هذا القرب تدفقاً مستمراً من الأصول المحلية إلى هذه الأقاليم المتاخمة وبصلة مستمرة مع اللغة العربية. وأفضل من يمثلون ذلك؛ الأنباط والتدمريون - عرب البتراء وتدمر- الذين سكنوا في منطقة الأطراف الشرقية من الفرات إلى البحر الأحمر في مواجهة شبه الجزيرة العربية. وبذلك أصبحت أراضيهم أقاليم المستقبل لولاية العربية، وفينيقيا اللبنانية، وسوريا الكبرى (and Syria Salutaris).

١- بقي العرب الأنباط مستقلين ولكن كوكلاء معتمدين للرومان لمدة قرنين من الزمان تقريباً بعد استقرار نظام الإمبراطور بومبي. وقد استتبع ضم بلاد الأنباط وتحويلها إلى إقليم أن تم إحراز روما لأراضٍ شاسعة يقطنها العرب، وقد ضمت هذه الأراضي، ليس فقط سيناء وشرق الأردن وعبر وادي عربه، وإنما أيضاً جزءاً كبيرًا من الحجاز في الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة العربية. وكان عرب هذا الإقليم الأنباط أقدم مجموعة عربية منظمة سياسياً وتجارياً، إذ شكلت على الأرجح غالبية تامة من العرب وإقليم معرب في منطقة المشرق الكاملة[2]. وحتى في القرن الرابع، فقد شهد التأريخ الكنسي استعمال اللغة العربية العامية في الإقليم للاحتفال بالشعائر

١- انظر االقسم الأول من هذا الفصل. للمزيد عن عرب حمص، وإلى القسم الثالث من هذا الفصل عن علاقة ديانتهم بهويتهم العربية. إن كتاب "الأسر الحاكمة في حمص" يحتوي على منجم من المعلومات عن حمص العربية وأمرائها العرب في الفترة الرومانية.

٢- في تعرض أقل للعالم الخارجي من عرب تدمر كانت التأثيرات الإيرانية على طول نهر الفرات لافتة للنظر.

العربية الوثنية[1]. فانعكست شخصية عرب الأنباط بما يدل عليه اسمهم بعدما ضمها الرومان عام ١٠٦م إلى أن صار الاسم الجديد: ولاية العربية. ولذا، فالاسم يذكر الطالب الدارس للتاريخ الإقليمي للمشرق بالشخصية العربية فيما كان يسمى سابقاً النبطية نسبة إلى الأنباط[2].

٢- تطور النصف الشمالي من أطراف الجزيرة العربية بشكل سريع[3]- وذلك بعد سقوط البتراء وضم الدولة النبطية عام ١٠٦م- من قبل عرب تدمر الذي استمر ما يقارب القرنين من الزمان. وعلى الرغم من تعرض التدمريين للتأثيرات الخارجية العميقة أكثر مما تعرض له الأنباط، فقد ظل التدمريون عرباً في عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وممارساتهم الدينية[4]. وقد كانت تدمر منطقة عربية بكل ما تعنيه الكلمة عندما دمرها الرومان عام ٢٧٢ م، ومن ثم حكموها مباشرة. وقد اختفت الشخصية العربية التدمرية وراء الأسماء التي تم إطلاقها على المنطقة التي شكلت جزءاً من فينيقيا اللبنانية وسوريا السالوتارية*. ولذلك، وعلى عكس الدولة النبطية التي سميت "بالعربية"، فقد كانت تسمية تدمر الجديدة لا تعكس شخصيتها العربية، إذ أن تعبير/

١- انظر الملاحظة الثانية من القسم الثاني من هذا الفصل؛ ولزيادة المعرفة عن قوانين الإمبراطور يوستنيان Justinian في القرن السادس، إذ كانت ولاية العربية هي" بلاد العرب". انظر:
The Prooimion to the novilla (102)on Arabia.

٢- انظر J. Starcky في "البتراء والأنباط"، في قاموس الكتاب المقدس، الملحق السابع، الذي صدر ١٩٦٦، المجموعات ٨٨٦ - ١٠١٧.

٣- كانت تدمر مزدهرة قبل عام ١٠٦ق.م، إلا أن ازدهارها تسارع بعد هذا التاريخ، انظر Chad في كتابه "الأسر الحاكمة في حمص"، الصفحة ١٠٥- ١٠٨ من أجل المزيد عن اختلاف التاريخ الذي تم فيه ضم تدمر إلى الإمبراطورية الرومانية.

٤- استمر أمراؤهم في الاحتفاظ بأسمائهم العربية، كحيران وآذينه جنباً إلى جنب مع عائلة سبتيميوس؛ ومن الجدير ذكره أن التدمريين عاشوا في وجدان المؤرخين العرب كعرب تكلموا اللغة العربية. انظر القسم الثالث من الفصل الثالث من هذا الكتاب لزيادة المناقشة عن التدمريين في القرن الثالث.

* الكبرى/ الكاملة أو التامة، حسب القاموس اللاتيني/ الإنكليزي - المترجم.

مصطلح بالميرا والباليريين[1] الكلاسيكي وغير العربي كان قد أطلق على المدينة والسكان، وذلك لزيادة فصل هذه المجموعة عن محيطها العربي[2].

٣- توجب ضم ولاية ميزوبوتاميا- وهي البلاد الواقعة بين نهري دجلة والفرات- إلى تعداد أقاليم حدود الإمبراطورية الرومانية التي تضم المنطقة العربية في المشرق. وعلى الرغم من كونها منفصلة عن شبه الجزيرة العربية، فقد كان العنصر العربي فيها قبل الإسلام قوياً جداً في السهوب والمراكز الحضرية التي حكمتها الأسر العربية[3]. لذلك فقد حقق الرومان حكماً مباشراً على المنطقة- وذلك بعد أن أنهى الرومان أخيراً الحكم الاستقلالي للعرب الأبجريين في إديسا (الرها) ٢٤٤م- التي كانت تحت حكم الأسر العربية الحاكمة لعدة قرون، وكان العنصر العربي هو المسيطر على ضفتي الخابور، ولكن الأسماء المستقبلية للوحدات الإدارية التي أعطيت للمناطق المحتلة حديثاً كأسروينه[4]، وميزوبوتاميا والفراتية، لم تعكس الحضور القوي في تلك المنطقة، كما لم تعكس تسمية فينيقيا اللبنانية وسوريا السالوتارية نفس الحضور الذي في المنطقة التي كانت سابقاً تسمى تدمر[5].

١- كان الاسم الذي أطلقه أورليان بعد احتلاله تدمر تدمرياً ولم يكن عربياً. لأن الاسم العربي في هذه الحالة يعكس فوزه على مجموعة من العرب في المنطقة وليس على التدمريين، إذ أنه ربما تحالف مع العرب. وللزيادة عن هاتين الكنيتين عد إلى القسم الثالث من" قسطنطين العربي الأكبر" في الفصل الأول عن قسطنطين في كتاب المؤلف "بيزنطة والعرب في القرن الرابع". وعن تشكيلات "العرب التدمريون" الموثق بالمكتشفات الأثرية، انظر H. Seyrig في مقالته "الساحات العامة في تدمر"عن الآثار السورية، العدد الثالث الذي صدر ١٩٤٦، الصفحة ١٧٥.

٢- انظر J. Starcky في "تدمر" الذي صدر في باريس عام ١٩٥٢، وإلى مقالته "تدمر" في الملحق السادس من قاموس الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٦٠، المجموعات ١٠٧٨- ١١٠٣.

٣- انظر الفصل الأول - القسم الثاني — ثانياً، من هذا الكتاب.

٤- انظر الفصل الأول- القسم الثاني- ثانياً، من هذا الكتاب.

٥- للزيادة عن ولاية أسروينه، انظر : A. von Gutschmid في كتابه:

(Untersuchungen Uber die Geschichte des Konigreichs Oserene)

(البحث في تاريخ مملكة أسروينه) في مذكرات سانت بطرسبورغ الأكاديمية الإمبراطورية، الصفحة ٣٥، الإصدار الأول ١٨٨٧م.

كانت المنطقة العربية في المشرق خلال العصرين الروماني والبيزنطي تشكل أطراف الأقاليم الحدودية التي كانت قبل الاحتلال الروماني المباشر ممالك عرب الأبجريين في الرها والتدمريين في تدمر والأنباط في البتراء. إن معرفة هوية المنطقة العربية المميزة قد جعلت من الضروري فهم الخريطة الثقافية للمشرق ليس فقط من خلال المصطلح الثنائي؛ الإغريقي- السرياني أو الإغريقي الروماني- الآرامي، ولكن أيضاً من خلال المصطلح الثلاثي الذي يضم العرب واللغة العربية الذي هيمن على الأقاليم الحدودية للإمبراطورية. إن معرفة هذه الحقيقة ستكشف لطالب دراسة تاريخ المناطق الرومانية والبيزنطية إلى أن ما كان تحت السطح الظاهري البراق للثقافة الإغريقية – الرومانية، هو أن هذه الأقاليم الحدودية بقيت عربية. وهذا يمثل أهمية كبرى لدراسة تأسيس الفيلارخيات[1] في العصر البيزنطي وعصر الفتوحات العربية في القرن السابع[2].

١- كان نجاح فكرة الفيلارخية* في صفتها الجديدة خلال القرون الثلاثة للفترة البيزنطية يعود في كونها منسوبة جزئياً إلى حقيقة أن عرب الاتحاديين الذين تجمعوا على أطراف الدولة البيزنطية كانوا وثيقي الصلة بسكان الفيلارخيات، ولم ينسوا قط أو يفقدوا هويتهم العربية. وهذا مغاير لما كان عليه الألمان الاتحاديين في نفس الفترة البيزنطية، الذين تجمعوا في مناطق لم يكن سكانها يتصلون بهم عرقياً، أو بأي صلة أخرى.

❖ الفيلارخ هو زعيم القبيلة أو العشيرة الحاكم في اللغة اليونانية، والفيلارخية هي اسم المنطقة التي يحكمها الفيلارخ – المترجم.

٢- يضيء التعرف على انتشار الحضور العربي في المشرق على مشكلات أخرى، كالخلفيات العرقية لكثير من الوحدات المستقرة في المشرق، التي تحدثت عنها الوثيقة المهمة / لائحة المقامات (انظر صفحات الفصل الخامس من هذا الكتاب)، وفي نظام الأجناد (أقسام أو تقسيمات الجيش المسلم في سوريا) في العصر الأموي.

الفصل الثاني

تطور العلاقات العربية- الرومانية
من استقرار نظام بومبي حتى حكم دقلديانوس

لم يكن العرب يشكلون معضلة روما الرئيسية عند تولى بومبي القيادة الشرقية للإمبراطورية،بل كان ميثريداتس ملك بونتوس على سواحل البحر الأسود في آسيا الصغرى، وإلى درجة أقل مملكة بارثيان عبر أعالي الفرات إلى جانب بقايا السلوقيين في سوريا . ومع ذلك، كان العرب يتحكمون بقسم كبير من المشرق في القرن الأول قبل الميلاد وفي القرون الأربعة التي تلته. وقد شكلوا معضلة جدية للعاصمة روما في القرن الثالث الميلادي، فاندفع التدمريون متحدين بذلك سلطة روما،ونجحوا باحتلال كامل النصف الشرقي من الإمبراطورية تقريباً. وبما أن أورليان قام بسحقهم، أصبح دقلديانوس قادراً على تسليم خلفائه في القرن الرابع جبهة مستقرة إلى حد ما في الولاية العربية. وبذلك، وضع الأساس لعلاقات عربية - بيزنطية جديدة. في حين أن العلاقات العربية - الرومانية في القرون الأربعة الماضية كانت قد شكلت الخلفية لما سيأتي من العلاقات العربية البيزنطية في القرن الرابع. لذا، من الضروري أن نحلل بإيجاز هذه القرون الأربعة في الفترة الرومانية[1] لصالح هذه الفترة ، وكمقدمة لفهم أفضل للعلاقات العربية - البيزنطية في القرن الرابع الميلادي وفي القرنين التاليين.

١- ينصح القارئ بالعودة إلى الأجزاء المتعلقة بالخلفيات التاريخية للمسألة العربية في هذه القرون الأربعة وفي المعلومات التي يعتمد عليها هذا الفصل في التحاليل والنتائج إلى مجلدات "تاريخ كمبريدج القديم": المجلد التاسع، الصفحات ٣٨١- ٣٨٣، ٣٩٠- ٣٩٦؛ والعاشر، في الصفحات ٢٤٧- ٢٥٤ ، ٢٥٦- ٢٥٧ ، ٢٧٩- ٢٨٣، ٧٥٠- ٧٥٣؛ وفي الحادي عشر، في الصفحات: ٦١٣- ٦٢٧، ٦٣٠-

القسم الأول

تنقسم القرون الأربعة من العلاقات العربية - الرومانية إلى فترتين تقريباً:

أولاً

تعاملت روما بشكل أساسي مع عرب المشرق وليس مع عرب شبه الجزيرة العربية في القرنين الأوليين من هذه الفترة:

١- كان قد وضع أسلوب العلاقات العربية- الرومانية خلال استقرار نظام بومبي عام ٦٤ ق.م. وبعد تأمين خضوع الأسر العربية الحاكمة في المشرق ترك بومبي إدارتها بأيدي العديد من الأسر المحلية الحاكمة، خاصة أن سياسة الضم أو الحكم المباشر من قبل الرومان لم يكن أي منهما مطلوباً لأسباب استراتيجية أو أية أسباب أخرى. لذلك، ففي الولايات الجديدة التي تشكلت في سوريا، تركت الأسر العربية الحاكمة هناك في الحكم معتمدة وتابعة لروما؛ كحكام سلالة سيمبسي- غيراموس Sempsi-geramus في حمص وبطليموس Ptolemy في خلقيس Chalcis* والأبجريين في (أديسا) (الرُها) عبر الفرات.

٢-استمرت السمات الرئيسية لاستقرار السلطة التي أرساها بومبي بشكل جيد حتى فترة حكم أوغستوس، وذلك بالرغم من التعديلات الطفيفة وبعض المغادرات الظاهرة[١] كالحملات الرومانية ضد الجزيرة العربية السعيدة** Arabia Felix التي

٦٣٤، ٨٥٩-٨٦٠؛ والثاني عشر، الصفحات ١٧٤- ١٨٠، ٣٠١- ٣٠٥، ٣٣٥- ٣٣٧، ٣٩٦- ٣٩٩. وتعتبر هذه المراجع في فصولها كافية بالرغم من كونها ليست تفصيلية.

❖ Chalcis أو خلقيس، تقع إلى الجنوب من حلب حالياً- من خلال قراءة الخريطة المرفقة في نهاية الكتاب، ومن خلال خرائط أخرى متعددة من مصادر أخرى- المترجم.

١- للمزيد عن السبئيين والحميريين في جنوب الجزيرة العربية كمجموعات عرقية سامية شقيقة للعرب، انظر عرفان شهيد في "الجزيرة العربية قبل الإسلام"، في "تاريخ كمبريدج للإسلام" في المجلد الأول، الصفحة ٦. انظر "تاريخ كمبريدج القديم"، المجلد ١٠، الصفحات: ٢٤٧- ٢٥٤. عن حملة إيليوس غالوس Aelius Gallus في ٢٥- ٢٤ ق.م، انظر المصدر السابق، الصفحات: ٢٥٣- ٢٥٤ من المجلد١٠، انظر باور سوك في الصفحات ٢٤٣- ٢٥٤ عن حملة غايوس سيزر المثيرة للجدل في القرن التالي، وإلى عمل أكثر حداثة عن هذه الحملة للإستاد باور سوك في مقاله " تقرير عن ولاية العربية"، في JRS ،العدد ٦١، الصفحة: ٢٢٧، الصادر عام ١٩٧١م، وإلى T.D. Barnes في مقاله "انتصارات أوغسطوس"،في JRS، العدد ٦٤، الصفحات ٢٢- ٢٣، الذي صدر في عام ١٩٧٤. للمزيد عن "السهم البارثيني Parthian Arrow" الذي قتل القيصر غايوس Gaius Caesar (ومعه الحملة العربية) حتى التغيير العظيم في القرن السابع، انظر ملاحظات مومسن الثاقبة

لم يطرأ عليها شيء آخر غير هذه التعديلات. إلا أن الدول العربية التي كانت تابعة للإمبراطورية كحمص وأتوريا بقيت مسؤولة عن الأمن الداخلي والدفاع عن سورية ضد الهجمات التي كان يشنها عرب شبه الجزيرة العربية الرحل.

٣-شهد القرن الأول الميلادي بداية سياسة الامتصاص، من"نهاية الجمهورية الرومانية"، كنتيجة لبداية اختفاء وزوال الأسر العربية المحلية الحاكمة. في حين استمر جوليو- كلوديان Julio-Claudians، في النصف الأول من القرن، بمتابعة سياسة تأسيس قوة الحاميات والكيانات العربية التابعة وتطبيقها على المجموعات العربية كالهيروديين، لكن، وبالقرب من نهاية القرن اندمجت الكثير من الكيانات العربية التابعة لسلطة الفلافيين***؛ إذ اندمجت أتوريا في عام ٩٣م. وعلى كل حال، كان مثل هذا الاندماج غير مهم بالمقارنة مع ما سيبدأ بالحدوث في القرن الثاني، على اعتبار أن روما استمرت في معاملة عرب المشرق على النحو الذي مر، في حين أن تعاملها مع عرب شبه الجزيرة كان غير مباشر، بشكل رئيسي من خلال عرب مستقلين لم يذوبوا رسمياً في الإمبراطورية الرومانية، إذ كان الأنباط خير مثال على ذلك.

ثانياً

انفتحت مرحلة جديدة من العلاقات العربية- الرومانية في القرن الثاني، وطبقت سياسة الامتصاص نسبياً في البداية على القليل من البلدان التابعة والخاضعة

والاستثنائية- ممن ليس عربياً أو موالياً للعرب - في كتابه "ولايات الإمبراطورية الرومانية"، المجلد الثاني، الصفحة ٣١٩. (السهم البارثيني هو السهم الذي أطلقه البارثينيون على القيصر غايوس خلال انسحابه من حملته على بارثيا- التي كانت تقع إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين- المترجم). إن تعبير مومسن في وصفه الشهير والمستشهد به عن الإسلام كـ" . جلاد نفذ حكم الإعدام بالهلينستية" يتردد كثيراً في سياق النص وفي تلك الفقرة؛ يشكل هذا الوصف نصف حقيقة التشويه الذي قد يصحح بالتماس القول المأثور" بدون الإسكندر لا يوجد حضارة إسلامية"، ومن أجل الزيادة على ذلك يمكنك الرجوع إلى د. عرفان شهيد "محمد والإسكندر" في المحاضرة عن أندرو دبليو ميلون الثالث (في واشنطن العاصمة، ١٩٧٩).

** فيلكس هي المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، وكانت تتمدد وتتقلص نحو الشمال حتى تصل فلسطين، وإلى الشرق الشمالي حتى تصل إلى الحدود الجنوبية من العراق، وذلك تبعاً للتقسيمات الإدارية والسياسية في الأزمنة القديمة، انظر كتاب "الجزيرة العربية في الخرائط المبكرة"، للمؤلف جي. ر. تيبيتز، دار نشر فالكون وأوليندر، الذي صدر في العام ١٩٧٨- المترجم.

*** الفلافيون: هم سلالة من الأباطرة الرومان حكموا بين ٦٩- ٩٦ م – المترجم .

للحماية الإمبراطورية كالأتوريين والأدوميين وأهل حمص، وأفسحت مكاناً لضم وحدات واسعة وعظيمة الأهمية من التركيبات السياسية العربية في المشرق في القرنين الثاني والثالث. وقد كان ذلك من أكثر المراحل جدية في نهاية الجمهورية استنفذت في ثلاث مراحل أو عمليات من الضم: ارتبطت الأولى منها بالعرب الأنباط عام ١٠٦م؛ والثانية بالعرب الأسروينيين في أديسا عام ٢٤٤ م؛ والثالثة بالعرب التدمريين في تدمرعام ٢٧٢م. وقد أثار هذا الضم والإلحاق العديد من المشكلات التي سيتم مناقشة ما له صلة حصرياً بهذا الفصل فقط.

الأنباط: كانت الأسباب المحركة وراء قرار تراجان بضم النبطية وأسلوب هذا الضم مثيرة للجدل[1]. لكن الأمور الأخرى الأكثر أهمية لموضوع هذا الفصل قد تأتي بناءً على الملاحظات التالية:

١- إن تحويل مملكة الأنباط إلى ولاية اسلتزم دمجها دمجاً مباشراً داخل السلطة الإمبراطورية التي شكل الكثير من العرب[2] جزءاً مهماً منها، والذين أصبحوا الآن تابعين لهذه الولايات أو الأقاليم، واستمروا بكونهم تابعين على مدى قرن قادم أو نحو ذلك عندما أمتد منح المواطنة عام ٢١٢م حتى شملهم بمرسوم أصدره نصف - العربي

١- إن أكثر المقالات التفصيلية حداثة عن هذا الموضوع وعن موضوع الولاية العربية / عرابيا هو "السَرقيينون والدفاع عن حدود ولاية العربية" لـ D.Graf (السَرقينيون Saracens هو الاسم الذي كان يطلق على العرب في ذلك الوقت من قبل الرومان- المترجم) الذي نشرها في "نشرة المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية"، العدد ٢٢٩، الذي صدر عام ١٩٧٩م، في الصفحات من ١- ٢١. يرتحل غراف مما قدمه سابقوه الذين كتبوا عن الموضوع نفسه فجعلوا من قضية الضم كباعث يأتي من الرغبة في السيطرة على قبائل الصحراء الذين عكروا أمن وسلامة الطرق التجارية المهمة، ولاستعادة السلام على الجبهة الشرقية. ارجع إلى الصفحات: ٦- ٧ والصفحات ١٩-٢٠ للإطلاع على النتائج عند غراف. وتعتبر مقالة غراف هذه وصفاً موسعاً للأعمال الموثقة بالمخطوطات حتى تاريخه، الصفحات ٢١- ٢٦. انظر أيضاً الأستاذ باور سوك B.W.Bowersock في مقالته "الضم والحامية الأولية في العربية / عرابيا"، في الدورية fur Papyrologie und Epigraphik Zeitschrift، العدد الخامس (مجلة علوم المخطوطات وأوراق البردي)، الصادر ١٩٧٠م، الصفحات ٣٧-٤٧، وفي مقالة M.Speidel "أزمة وانشغال العرب" في دورية Latomus، العدد ٣٣، الصادر في عام ١٩٧٤م، الصفحات ٩٣٤- ٩٣٩.

٢- من الأهمية بمكان دراسة كلا الحالتين من خلال الخلفية العرقية للمجموعات المتمركزة في ولاية عرابيا التي أوردتها الوثيقة المهمة / لائحة المقامات، وعرب الاتحاديين الذين كانوا يتمركزون في الولاية في الفترة البيزنطية.

كراكلا الحمصي. فاندمجت مع العرب في النبطية أيضاً مناطقها الحضرية المقامة في النقب وعبر الأردن وعبر عربا / عرابا، ومن المحتمل في شمال الحجاز.

٢-استلزم ضم النبطية إحراز روما لأراضٍ شاسعة جديدة من الصعب تحديد حدودها بدقة، لكنها كانت كبيرة جداً. وبذلك كان ضم روما لسيناء والنقب وعبر عرابا والأردن واضحاً، لكن درجة التوسع الإقليمي في الحجاز[١]لم تكن واضحة.

٣- أوجد إحداث ولاية العربية تطورات حدودية مهمة وبرر إقامة نظام تحصينات قوية على هذه الحدود، منها؛ بناء طريق تراجانا الجديد (via Nova Traiana) من العقبة حتى بصرى وعلى طوله سلسلة من القلاع والتحصينات، وبناء خط آخر من التحصينات إلى الشرق من الطريق الجديد يمتد من عمان إلى معان. ونتج عن إنشاء نظام التحصينات الرومانية على الحدود العربية الكثير من المشكلات[٢]،

١- خلقت حدود الولاية العربية الجديدة المحدثة مشكلة مهمة ومثيرة للجدل في آن معاً. فكان رأي من الآراء يرى أن الحدود الجنوبية للولاية يمتد حتى مدائن صالح (الحجر) في قلب الحجاز - انظر Starcky في "البتراء والأنباط"، المجموعات ٨٩٨ ، ٩٢١، وجي باور سوك Bowersock في "تقرير عن ولاية العربية"، في الصفحة ٢٣٠. رأي آخر يقول إن الحدود الجنوبية كانت عند سفوح سلاسل جبال الشراة؛ من أجل ذلك عد إلى غراف في "السَرقينيون والدفاع عن حدود ولاية العربية"، الصفحة ٤، الذي اتبع A.Musil في ذلك. إن المعلومات المنقوشة على الرقيم الذي وجد في دومة الجندل بالقرب من نهاية وادي السرحان وفي مدائن صالح قد تم تحليلها سابقاً باختلافات متعددة. ومن ذلك يمكن مناقشة أي من الرأيين السابقين؛ لكن من السهل الموافقة مع الرأي الأول والافتراض بأن الأزمنة الأخيرة كانت في رأي الرومان الاحتفاظ بحضور أو شكل من أشكال التأثير في الحجاز من خلال العرب المتحالفين معهم. انظر جي باور سوك عن شواهد المخطوطات والنقوش في مقالته "سوريا تحت حكم فيسباسيان" في دورية JRS، العدد ٦٣ الصادر عام ١٩٧٣، الصفحة ١٣٩، الملاحظة ٥٧، انظر المصدر نفسه "تقرير عن ولاية العربية"، الصفحة ٢٣٠. عن المراحل الأربعة، في رأي مؤلف هذا الكتاب، التي تحولت فيها النبطية إلى ولاية خلال حكم تروجان حتى اندماج بعض أجزاء منها في فلسطين خلال حكم قسطنطين، انظر القسم الأول، الفصل الأول في "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" الذي يتحدث عن رقيم نمارا.

٢- إن نظام التحصينات أو الدفاع عن ولاية العربية / عرابيا يطرح ثلاثة مسائل مرتبطة ببعضها في موضوع الدراسة والبحث الحي:

ا- لاحظ الأستاذ G.W. Bowersock أن مصطلح التخوم في تخوم ولاية العربية يجب ألا يفهم منه على أنه منطقة أو أراضٍ تحميها التحصينات.

لكن الحقيقة الكبرى التي انبثقت كانت في تحويل واستعمال فكرة التخوم[1] إلى الحدود العربية مع كل ما تضمنه ذلك من حدود ثابتة واضحة التمييز، وبالتالي دفاعية وليست هجومية الصفة، وذلك على الأقل، بالعلاقة مع ما تم عمله سابقاً.

الأسروينيون: بعد ثلاثة قرون من اعتراض الأسرونيين العرب لحملة بومبي تم امتصاصهم في النهاية من قبل الرومان. ونجحت حملة غورديان ضد الفرس بانتصاره بالقرب من ريزينا Resaina في عام ٢٤٣ م، والتي مكنت الرومان من السيطرة على كامل ما بين الرافدين وأديسا (الرُها) عاصمة الأبجريين العرب في أسروينه، وقد أصبح هذا الجانب من ضفاف نهر الخابور مستعمرة رومانية[2]. لكن ما بين الرافدين

ب- فكرة مومسن عن التخوم المزدوجة، داخلياً وخارجياً- التي ورثها من آخرين، كبروناو و دوماسزوسكي Brunnow و Domaszewski عن عرابيا وعن خلقيس ونظام الدفاع من حوران حتى الفرات- هي فكرة خاطئة ، للأسباب أ و ب؛ انظر باور سوك في "تخوم العربية" في دورية "دراسات في فقه اللغة الكلاسيكية"، العدد ٨٠، الذي صدر في ١٩٧٦م، الصفحات ٢١٩- ٢٢٩؛ انظر غراف أيضاً في "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ١.

ج- شكلت الفجوة في نظام التحصينات في المقطع الجنوبي من ثغور ولاية العربية من العقبة حتى صادَقة Sadaqa إلى الغرب من معان مشكلة، انظر الملاحظة الهامشية الخامسة من أجل المزيد عن الرأيين المتناقضين لهذه المشكلة. إن الجدل المتعلق بأهمية المجموعة القبلية لثمود الروافة Thamud of Ruwwafa in the Hisma في منطقة حِسمي من شمال الحجاز ربما تُرى من ضمن الإطار العام لهذه المشكلة؛ فقد كانت ثمود برأي G. Bowersock تتواجد داخل تخوم الولاية، بينما يراها غراف خارج هذه التخوم. وقد أرسل المسلمون طوابير عساكرهم ضد البيزنطيين ضمن هذه الفجوة في نظام التحصينات بأوامر من الخليفة أبو بكر الصديق في عام ٦٣٣م، متحركة من جنوب الأردن وفلسطين.

١- لا يعني تعبير التخوم في هذا الفصل خطاً دفاعياً واضحاً كما كانت تعنيه كلمة التخوم في أوربا حينها، انظر الملاحظة السابقة.

٢- كانت حترا Hatra (تقع إلى الغرب من دجلة مقابل الموصل - المترجم) مدينة محصنة في الجانب الفارسي بعدما سقطت بيد شابور عام ٢٤٠ م توازي تلك في أديسا (الرها) في الجانب البيزنطي.

بقيت رومانية مع آرمينيا الصغرى، وذلك حسبما تم في معاهدة السلام التي وقعها الإمبراطور فيليب مع الفرس بعد موت غورديان[1].

نتيجة لذلك، انتهت حملة غورديان ضد الفرس بإنهاء الدور الاستقلالي لمجموعة عربية مهمة في منطقة عبر-الفرات؛وهم العرب الأسروينيون في أديسا، كما أنهت دور الدفاع عن المقطع الحدودي الذي أخذه الأسروينيون على عاتقهم، وبذلك أصبحت المنطقة الآن تدار مباشرة من قبل الرومان. تأثر الاختراق والتسلل العميق بحملة دقلديانوس في منطقة عبر الفرات فيما بعد وذلك بالقرب من نهاية القرن في حملة بسطت نفوذ الرومان عبر نهر دجلة.

نتج عن هذا الضم - وإن كان بدرجة أقل من الأهمية في العلاقات العربية - الرومانية عن تلك مع الأنباط - أن استلزم الإمبراطورية الرومانية تحقيق ضم أعداد كبيرة من العرب وأراضيهم ، وأوجد معه بالتالي تطورات حدودية مهمة. وعلى عكس ضم دولة الأنباط ، فإن ضم عبر- الفرات لم يوسع الحدود الرومانية مع شبه الجزيرة العربية. وبالتخلص من الإمارة العربية التي كانت تقع بين الروم والفرس تم تقريب الحدود الرومانية الإمبراطورية إلى الحدود الفارسية مباشرة[2].

التدمريون: كانت أخر مدينة عربية، من مدن- الدولة الثلاث، تسقط في أيدي الرومان في المرحلة الثانية من تاريخ العلاقات العربية - الرومانية هي تدمر، والذي كان من نتائج تدميرها تغييرات مهمة في نظام الخطوط الدفاعية الرومانية أكثر مما كان من نتائج التغييرات التي حدثت بعد سقوط البتراء وأديسا العربيتين[3].

١- انظر "تاريخ كمبردج القديم" ، المجلد ١٢، الصفحات ٨٧- ٨٨، للمزيد عن حملة غورديان ضد الفرس وعن السلام الذي عقده الإمبراطور الروماني فيليب العربي .

٢- كما حدث في أعقاب حملة شابور الفارسي باحتلاله حترا العربية عام ٢٤٠ م بالتخلص من المدينة العربية الفاصلة بين الإمبراطوريتين، والتي بالنتيجة وضعت الساسانيين في مواجهة مباشرة مع الرومان.

٣- إن الظروف والأسباب التي قادت إلى تدمير تدمر لم تكن غامضة كتلك التي قادت إلى ضم النبطية. فقد أجبرت ثورة تدمر روما على تدميرها، ولم تكن ثورة تدمر نفسها تعد نموذجاً من العلاقات الرومانية مع وكلائها العرب؛ لأن هذه العلاقات كانت بالنتيجة تبادلية المنافع والتناغم بين الطرفين. وسواء كان تخلص روما من تدمر ، في أي حال من الأحوال، كمثال أخر على نهاية

كانت تدمر، كما كانت البتراء، مدينة قوافل وحصناً من حصون الخطوط الدفاعية، في حين أن البتراء كانت تحرس الصحراء وترد غزوات البدو الرحل من شبه الجزيرة العربية، وكانت وظيفة تدمر تمثل قدراً أكبر من التعقيد في نظام الدفاع الروماني. فإضافة إلى حراسة الحدود الرومانية من غزوات بدو الصحراء، كانت تدمر أيضاً تشكل تحصيناً ضد المقاتلين الساسانيين بقيادة شابور العدواني الذي أسر فاليريان، والذي بدوره تراجع منهزماً أمام أذينة التدمري.

كان أسر مدينة تدمر من قبل أورليان عام ٢٧٢ م وتحويلها إلى مجرد قرية في السنة التالية قد أحدث فراغاً هائلاً كان يملؤه الحضور التجاري والعسكري لقوة الدولة التي كانت متفرغة للتعاملات الدولية. وعلى ذلك يمكن قياس الاتساع والتعقيد الهائلين في هذا الفراغ الذي أعقب سقوط دولة تدمر إلى ما يلي:

١- تحكمت مدينة القوافل، الحصن والواحة الصحراوية العظيمة، من موقعها الاستراتيجي بالشرايين التجارية التي تبدأ من أراضي ما بين الرافدين وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي إلى البحر الأبيض المتوسط. كان كل ذلك مؤمناً تحت تصرف روما من خلال المجتمع التدمري التجاري الشديد النشاط. وقد كان من نتائج ذلك التخلص الروماني من تدمر نشوء مشكلة خطيرة لروما، وهي المحافظة على ازدهار تجارتها مع المشرق؛ لكن من غير الواضح جداً هو: كيف تعاملت روما مع هذه المشكلة؟ إذ أن صعود الساسانيين الذين كانوا أكثر عدوانية من البارثيين قد جعل من طريق التجارة في منطقة ما بين النهرين طريقاً غير آمن[1]،فكان من نتيجة ذلك أن أمكن التحول من منطقة ما بين الرافدين إلى الطريق الذي يقع إلى الغرب من الجزيرة

الجمهورية - سيبقي كي يتم عرضه - وأن الذي كان يجول بالضبط في عقل زنوبيا عندما قادت ثورة تدمر لم يكن واضحاً بشكل كامل.

١- بالرغم من أن هذا لم يبدو كعائق لتدمر من تأسيس محطات تجارية وعلاقات مع المناطق المجاورة شرقاً وجنوبًا. فقد كانت تدمر في الحقيقة مدينة عربية كان عليها أن تفسر نجاحها جزئياً، علماً أن العالم الذي تبادل التجارة مع تدمر كان إلى درجة كبيرة من العرب، سواء كانوا من شبه الجزيرة العربية أو من بلاد الرافدين أو من الخليج العربي. لذلك، وبالرغم من المدار الروماني الذي كانت تدور فيه تدمر، وصعود الساسانيين المعادي، بقيت تدمر في موقع فريد للمحافظة على هذه العلاقات التجارية.

العربية والبحر الأحمر الذي بدأ في القرن الثالث، وتسارع بسقوط تدمر، مشيراً إلى عودة نفس الطرق التجارية القديمة التي كان يترأس نشاطها الأنباط[1].

٢- قدمت تدمر الحماية أيضاً للنصف الشمالي من الحدود الرومانية المتاخمة لشبه الجزيرة العربية حتى الوصول إلى الفرات. وقد طافت القبائل العربية القوية على طول نهر الفرات وفي الصحراء إلى الجنوب، فشكلت مصدراً كامناً وخطراً حقيقياً للحدود الشرقية وللأقاليم.إذ تحكمت مملكة تدمر العربية بشكل مؤثر بالحدود الصحراوية بشغبها واضطرابها وهجراتها الإنسانية المتعددة العبور. فبدت هذه الحدود مفتوحة الآن محضرة معها مشكلات من طبيعة خاصة ومميزة لروما. إذ لم يكن رد روما شديد الوضوح على هذا الوضع الجديد الناشئ عن التخلص من مملكة تدمر، لكن الذي كان واضحاً الآن هو أن تخلص روما من تدمر قد وضع مسؤولية حماية الحدود ضد غزوات عرب شبه الجزيرة العربية على عاتقها نفسها،

١- يتبع D.Graf مايرسون Mayerson في الاعتقاد بأن تحويل الفرقة العسكرية العاشرة Legio X Fretensis* من القدس إلى أيلا Ayla (العقبة) قد مثلت محاولة أورليان لإحياء الطرق التجارية القديمة من الشرق، وذلك بعد ثورة التدمريين. كما أن غراف لحق بريترلينغ Ritterling في شرح ظهور الفرقة العسكرية الرابعة Legio IV Martia في بيتهورو (Betthoro (Lejjun، كما خطط أورليان لتعزيز نظام الدفاع الروماني الشرقي فاصلاً بذلك بين التحولين من إصلاحات دقلديانوس. انظر د.غراف في " السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ١٩ . وتبدو هذه الإيحاءات جذابة، غير أن ظلاً من الشك يبدو فيما إذا كان ذلك بعد سقوط تدمر وعشية رحيل أورليان عائداً إلى الغرب لسحق تيتريقيوس Tetricius، من هل كان لدى أورليان الوقت أو الميل ليفكر بموضوع الطرق التجارية. وعلى كل حال، فمن باب الصلة بالموضوع أن نذكر أن الجنوبيين من عرب ولاية العربية كانوا ممثلين في النصر الذي أحرزه أورليان عام ٢٧٤م، بالرغم من الإشارة إلى السفارة في "تاريخ أوغسطا"، أورليان، ٤ .٣٣؛ انظر أيضاً E.H.Warmington في "التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند" في طبعته الثانية الصادرة في لندن ١٩٧٤، الصفحة ١٣٨ .

* Fretensis: مضائق مسينا، ومسينا مدينة في جزيرة سيسيليا كان اسمها ميسانا، والآن مسينا. إذ أطلق الاسم على الفرقة - المترجم.

والأكثر من هذا، هو أن التخلص من مملكة تدمر قد وضع المواجهة بين روما وعرب شبه الجزيرة العربية وجهاً لوجه[1].

٣- ترك الدفاع عن المشرق في ستينيات القرن الثالث الميلادي إلى مملكة تدمر التي كانت حينذاك تحت قيادة أذينه التي أبلت بلاءً حسناً وبشكل مميز في فترة الأزمة الإمبراطورية المفاجئة. وقد أدى التخلص من تدمر إلى المواجهة ليس فقط مع عرب شبه الجزيرة العربية، وإنما أيضاً مع الفرس في مناطق ما بين النهرين، الذين كانوا منتشرين على طول الضفة الأخرى من الفرات. وكان الفراغ الذي أعقب سقوط تدمر خطيراً إذ أنه لم يورط عرب شبه الجزيرة العربية فقط، بل الإيرانيين الذين كانوا أكثر أهمية لكونهم كانوا يشكلون قوة عالمية.

١- إن الإشارة الواردة في "لائحة المقامات" إلى وحدتين عربيتين من saraceni equites الفرسان الخيالة السرقينيين في فينيقيا هي إشارة مقربة ومبعدة بنفس الوقت، فهي تحاول أن تربط ظهور هاتين الوحدتين في ذلك الإقليم بميول ونيات أورليان العسكرية بعد تدمير مملكة تدمر، ورغبته في حماية الحدود الرومانية بهاتين الوحدتين العربيتين من الفرسان، وهما على أية حال كسرقينيين كانوا يعرفون مشكلات المنطقة ومتآلفين مع أبناء جلدتهم من عرب شبه الجزيرة العربية. عن التمركز الإستراتيجي لهاتين الوحدتين على الطرق من دمشق وحمص، انظر مؤلف غراف "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية" الذي يستشهد بالمؤلف van Berchem في الصفحة ١٩ . حارب العرب الذين كانوا يدعون بالأتوريين والسرقينيين تحت قيادة أورليان، هذا إذا كانت رواية تاريخ أوغسطا حقيقية، انظر "أورليان" ٣ .١١ . وقد كان من الصعب القول من كانت هاتين الوحدتين من الفرسان السرقيينين. لكن المغري حقاً هو الاعتقاد أنهما الوحدتان اللتان حاربتا معه ضد التدمريين (إلى جانب أورليان)، والذين لم يكونوا إلا عرب Tanukhids التنوخيين الذين كانوا على عداء متأصل مع التدمريين، وذلك حسب المصادر العربية.انظر" لائحة المقامات" لمعرفة المزيد عن هاتين الوحدتين؛انظر أيضاً تفاصيل العنوانين طيبة وفينيقيا في الفصل الخامس من هذا الكتاب.وعن التنوخيين في المصادر العربية، انظر الفصول ذات الصلة في كتاب المؤلف "بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

* إن ما يقصده المؤلف هو تحطيم أورليان لدولة تدمر التي كانت تشكل حصناً منيعاً من حصون الإمبراطورية الرومانية ضد عرب شبه الجزيرة العربية وساساني إيران - المترجم.

القسم الثاني

لم يبق أورليان بما فيه الكفاية في الشرق كي يكون قادراً على التأثير في إعادة تنظيم الحدود الواسعة، ولم يعش بما يكفي كي يعود إلى الشرق لقيادة حملته الفارسية، لأنه قتل مبكراً بالقرب من بيزنطة عام ٢٧٥م. فلو طال العمر بأورليان لكان من المؤكد على الغالب بأنه سيقوم برسم كامل للثغور المشرقية. وعلى أية حال، فبعد تحطيمه حصن روما المنيع* ضد عرب شبه الجزيرة والساسانيين، لم يكن ممكناً تصور أن بصيرة أورليان الاستراتيجية ستقوده على الأقل لتغييرات[1] إقليمية مؤقتة في الدفاع عن الحدود. فقد كان أورليان مدعواً بالفراغ الذي صنعه بنفسه بهزيمة تدمر التي تركت لذلك قسماً كبيراً مكشوفاً في المشرق. إذ كان عليه أن يسرع عائداً إلى الغرب ليتعامل مع تيتريقيوس Tetricius وإمبراطوريته في بلاد الغال.إذ أن من الصعب الإجابة على؛ كيف كان يمكن لأورليان أن يعيد رسم الخطوط الدفاعية في المشرق وينفذ خطة الحملة المرسومة على إيران لو أنه لم يقتل. فربما كانت هذه الحملة نفسها غير مرتبطة بحملته العربية ضد تدمر، إلا أنه يمكن أن يكون قد رآها كضرورة من الاستمرار الطبيعي للتوسع الإمبراطوري.

لذلك، تركت التخوم المشرقية لدقلديانوس لإعادة رسمها[2]. فبقي في المشرق بما فيه الكفاية، وحكم فترة طويلة تكفي للتأثير على إعادة هذا الرسم. حتى قبل حملته على السرقينيين عام ٢٩٠م، وقبل حملة قيصره غاليريوس Galerius على الفرس

١- انظر الملاحظتين السابقتين في الصفحتين السابقتين، وإلى مؤلف غراف "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ١٧.

٢- الدراسة الأساسية لدبليو إنسلين "إلى السياسة المشرقية للإمبراطور دقلديانوس" في الكراس الأول من تقارير جمعية العلوم الفلسفية التاريخية لأكاديمية بافاريا التي صدرت عام ١٩٤٢م:

W.Ennslin`s"Zur Ostpolitik des Kaisers Diokletian",Sitzungsherichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-historische Abeilung

الصفحات ٧- ٨٣، من الكراس رقم ١، الذي صدر في ميونخ ١٩٤٢. عن مشكلات هذه التخوم الداخلية والخارجية، انظر" التخوم المشرقية " في الجزء الثالث من كتاب عرفان شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

عامي ٢٩٧- ٢٩٨م، قد ورث من سابقيه في القرن الثالث مشكلة عربية وفارسية تسببت بالتتالي بالتخلص من أديسا العربية ومملكة تدمر وصعود الساسانيين المعادين والتوسعيين. لذا، فقد كان الأكثر صواباً أن نقول أن إعادته لرسم التخوم المشرقية جاء رداً على كلا المشكلتين الإيرانية والعربية معاً أكثر مما كانت فقط رداً على الإيرانية أو العربية[1]؛ فالمشكلتان متصلتان ببعضهما[2]. وتنحصر بعض مظاهر رسم إعادة التخوم المشرقية بالملاحظات التالية التي رُد بها على التحدي من جانب العرب:

١- من كان هؤلاء السرقينيون الذين اعترضوا طريق دقلديانوس، وضد من قاد حملته، وعلى من انتصر؟ هل وضعهم في السلاسل ونقلهم إلى ثريس Thrace* ، كل ذلك لم يكن واضحاً. لكن الإشارة الأهم عنهم تشير بوضوح إلى أن الدول التي هزمت أمام دقلديانوس تعيش في سوريا. ومن الممكن أن هذا الاضطراب بين عرب سوريا أوحى ببعض علاقات الإمتعاض في العلاقات العربية الرومانية نتيجة تخريب تدمر من قبل أورليان[3].

٢- أوردت حوليات ملالة Malalas أن دقلديانوس قام ببناء مصانع للسلاح في أنطاكية، أديسا، وفي دمشق[4]. وقد تحدث ملالة في حولياته عن غارات السرقينيين في حديثه عن مصنع بني في دمشق، وهذا يعني أن فينيقيا كانت، على الأقل، معرضة للغارات التي كان يشنها السرقينيين.

١- ناقش إنسلين وغراف في "Zur Ostpolitich des Kaiser Diokletian/ السياسة الشرقية للإمبراطور دقلديانوس"، وفي "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية" على التوالي، إذ كان في ذهن غراف عرب الصحراء وقبائل شمال العربية، عد إلى الصفحة ٢٠ من كتاب غراف. إلا أن مشكلة العرب كانت أكثر اتساعاً ، وكانت مرتبطة بالبنيان السياسي العربي في المشرق.

٢- ما عدا قضية العرب الأنباط ، الذين لم يكونوا كالتدمريين، بل كانوا بعيدين عن هيمنة المنطقة الفارسية.

* ثريس Thrace: مملكة أو منطقة قديمة تقع في شرق شبه جزيرة البلقان - المترجم

٣ - انظر Ensslin، الصفحات ١٥، ١٩. للمزيد عن حملة دقلديانوس ضد هؤلاء العرب .

٤- انظر حوليات ملالة التاريخية لدندورف التي صدرت في بون عام ١٨٣١م، الصفحات ٣٠٧-٣٠٨، وإلى إنسلين في الصفحة ٦٥.

٣- كان من نتيجة حملة غاليريوس Galerius الإيرانية معاهدة السلام في ٢٩٨م التي قضت بتسليم خمسة من مسؤولي الحكم الإيرانيين المحليين عابرين دجلة إلى روما[1]. مما جعل الرومان يمسكون بقوة على منطقة ما بين الرافدين بكاملها على الأقل حتى سلام جوفيان Jovian في عام ٣٦٣م، ومعها الكثير من أعداد عرب[2] ما بين الرافدين الذين كانوا يقيمون على طريق الخابور. وبذلك انتهت المواجهة الآن بين القوتين العالميتين العظميين، والتي أنهى خلالها غورديان مبكراً استقلال مملكة أديسا والعرب الأديسيين[3].

٤- وإلى حد بعيد، فقد كانت أكثر السمات أهمية في إعادة التنظيم الذي أدخله دقلديانوس على سياسة الثغور في المشرق، وخاصةً ما يعني العرب منها، كان بلا شك طريق دقلديانوس؛ الطريق العسكري المحصن الذي يمر من دمشق عبر تدمر إلى صورا Sura على الفرات، وامتداد نظام التحصينات على أبراج المراقبة والقلاع الموجودة على الطريق الذي يمر من البتراء جنوباً إلى قرقيسيوم Circesium(دير الزور)على الفرات شمالاً عابراً من تدمر.وهكذا قدم دقلديانوس حله الفريد للمشكلة التي نتجت عن التخلص من تدمر كحصن صحراوي روماني، فأتم العمل الذي بدأه تراجان بعد تخلصه من دولة الأنباط كمملكة تابعة لروما، وذلك بعد أن بنى طريق "عبر تريانا الجديد/ الطريق التراجاني الجديد" في ولاية العربية الجديدة.

القسم الثالث

وفرالتعامل الطويل الأمد للحضور العربي في المشرق في المراحل المختلفة، بعد أن امتصت روما في النهاية عربها خلال القرون الأربعة من فترة بومبي إلى

١- تجد ما قيل عن حملة أورليان المرسومة على إيران في الصفحة السابقة من هذا الكتاب، وكذا عما قيل في هذه المعاهدة. فربما اعتبرت هذه المعاهدة نتيجة وضرورة للتخلص من تدمر عاكسة الرغبة في الحصول على مكاسب استراتيجية على إيران بامتلاك كامل منطقة ما بين الرافدين من أجل التحكم بأراضي الساسانيين على نهري دجلة والفرات. ومن الجدير ذكره أن الملك الفارسي نارس Narse كان قد قام بأعمال عدائية بغزو سوريا وذلك قبل هزيمته.

٢- بما فيها ولاية "العربية /عرابيا" فيما بين النهرين على ضفة نهر الخابور الأخرى.

٣- انعكست في زيادة دقلديانوس لعدد الفرق من ثمان إلى اثني عشرة.

دقلديانوس،خلفية واضحة لإعادة فحص ودراسة مشكلة الوحدات العربية العسكرية في لائحة المقامات[1] وتشكيل ملاحظات أخرى من خلال هذه القرينة الجديدة.

تعكس لائحة المقامات، كوثيقة رئيسية، بدقة طبيعة ودرجة ما يمكن تسميته بقوة العمل العربية في خدمة روما . فعلى الرغم من أن الفترة التي تمدنا بهذه المعلومات هي الفترة البيزنطية في القرن الرابع وأوائل الخامس، والتي تحتوي على الأسس الرومانية الواحدة فوق الأخرى وتعود في بداياتها إلى ما قبل العصر البيزنطي.حاولت الأقسام السابقة من هذا الكتاب أن تلقي بعض الضوء على درجة الانصهار العربي في المشرق بعد أن وضعه الرومان تحت سيطرتهم. وقد أضفى تطبيق التسميات المتعددة على المجموعات العربية المختلفة نوعاً من الغموض على هذا الانصهار، وبالتماثل مع

١- انظر كامل الفصل الخامس"لائحة المقامات" من هذا الكتاب، الذي يتحدث عن الوحدات العسكرية العربية . إلى جانب السيرة الذاتية لهذه اللائحة في ذلك الفصل، يمكن إضافة ما يلي:

أ ـ E. Demougeot فيما كتبه بعنوان" لائحة المقامات وتاريخ الإمبراطورية في الغرب مستهل القرن الرابع" المنشور في دورية Latomus، العدد ٣٤ الذي صدر عام ١٩٧٥، في الصفحات ١٠٧٩ - ١١٣٤؛

ب- موضوع "سمات لائحة المقامات" الذي حرره R.Goodburn و P Bartholomew المنشور في دورية "تقارير الآثار البريطانية"، الملحق المتسلسل، العدد ١٥، الذي صدر في عام ١٩٧٥ :

British Archeological Reports, Supplementary Series, 15, 1975؛

وبالرغم من حقيقة تعاملها بشكل رئيسي مع الغرب الروماني، فإن العمل الأخير يحتوي على بعض الدراسات الإقليمية ذات الصلة بالوحدات العسكرية العربية في المشرق. والأكثر صلة وأهمية بدرجة خاصة هو ما كتبه M speidel "نشوء الوحدات العرقية في الجيش الإمبراطوري الروماني" من دراسة:

Aufstieg und Niedergang der Romischen Welt "

(استشراف انحدار العالم الروماني) الذي حرره أش. تمبوريني، المجلد الثاني، الفصل الثالث، الصفحات ٢٠٢ - ٢٣٠، من الفصل الثالث الصادر في برلين ونيويورك عام ١٩٧٥م، انظر أيضاً السيرة في الصفحات ٢٣٠ - ٢٣١؛ انظر أيضاً إلى ما كتبه M G Jarrett في "الوحدات العسكرية الثرايسينية في الجيش الروماني" (من ثريس التي تقع شرق شبه جزيرة البلقان-المترجم) المنشور بالعدد ١٩ من جورنال Israel Exploration Journal مجلة الاستشراق الإسرائيلي، الصفحات ٢١٥- ٢٢٤، الذي صدر عام ١٩٦٩ .

درجة الإسهام العربي في الجيوش الرومانية في المشرق والمغرب، الذي شكل إسهاماً عظيماً بحق. إن القيمة الأساسية التي تقدمها هذه الوثيقة المهمة لدارس العلاقات العربية- الرومانية هي أنها تكشف عن كيفية تعامل روما مع هذه المشكلة المشرقية،وعن كيفية تجنيدهم لخدمتها في تنفيذ مآرب حروبها ضد عرب شبه الجزيرة العربية وضد أعدائها الآخرين، وذلك بعد أن أنهكتهم وروضتهم واستوعبتهم ضمن إمبراطوريتها . لذلك تدعم هذه الوثيقة المهمة نجاح التجربة الرومانية في تعاملها مع المسألة العربية[1] .

يمثل الفحص التفصيلي للوحدات العربية في اللائحة العديد من المشكلات[2] التي تهم دارس العلاقات العربية - الرومانية والدارس العام للائحة الوثيقة. إلا أن الكثير من عدم الوضوح يلازم هذه المشكلات. إذ تناقش الفقرات التالية هذه المشكلات بإيجاز وتقدم على الأقل هيكلاً من الداخل يمكن متابعة مناقشتها من خلاله.

١- لم تكن الغالبية العظمى من الوحدات العربية العسكرية الواردة في "لائحة المقامات" من عرب شبه الجزيرة العربية الذين يعيشون على أطراف الحدود، ولكنهم كانوا ينتمون إلى العرب الذين وجدهم الرومان يعيشون في المشرق عند ظهور بومبي في ستينات القرن الأول قبل الميلاد، وهم الذين استوعبهم الرومان على مدى القرون الأربعة التي تلت في تاريخ الإمبراطورية. وقد كانت معظم هذه الوحدات تنتمي إلى

١- كما يوثق السجل الاستراتيجي بالضبط بطريقته السلبية نجاح بيزنطة في تعاملها مع العرب، الذين لا يوجد أي إشارة عنهم في الدليل العسكري البيزنطي في نهاية القرن السادس الميلادي كما يوجد لشعوب أخرى معادية للإمبراطورية. في هذه الحال يؤول صمت السجل الاستراتيجي كشهادة بليغة على نجاح التجربة البيزنطية في تعاملها مع عرب شبه الجزيرة. لهذا كانت التجربة ناجحة جداً إلى الحد الذي لم يكن من الضروري الإشارة فيه إلى أن العرب قد شكلوا أي تهديد واقعي أو كامن للإمبراطورية.

يتغاير بشكل حاد نجاح التجربة الرومانية والبيزنطية (حتى حكم موريس) مع الفشل البيزنطي في التعامل مع عرب القرن السابع، ولذلك فهو يقدم خلفية لفهم أفضل لنجاحهم من منظور العلاقات العربية - الرومانية خلال ثمانية قرون.

٢- من الجدير أن نذكر- مسجل تأريخ خدمة الوحدات العربية المختلفة- سواء جندت هذه الوحدات أو أي وحدات خاصة منها وتمركزت في موقع خاص، وفيما إذا دخلت في الخدمة العسكرية قبل أو بعد سقوط تدمر أو أتوريا .

فئة Equites Indigenae؛ (الفرسان الخيالة من أهل البلاد الأصليين)؛ الذين كان القليل منهم معروفين بأسمائهم وتشكيلاتهم الوثنية، أمثال التدمريين والأتوريين والثموديين (آل ثمود). وقد حارب عرب هذه المجموعات الثلاثة إلى جانب الجيش الروماني في المشرق وفي أماكن أخرى في أوربا وأفريقيا[1].

٢- ربما يكون الوضع القانوني لهذه الوحدات في المشرق استدلالياً، ولكن من شبه المؤكد أنهم كانوا مواطنين في الدولة. وكعرب محليين يعيشون داخل الإمبراطورية كان عليهم أن يحصلوا على المواطنة الرومانية إما بفضل خدمتهم في الجيش الروماني أو بعد أن تم تمديد النص الدستوري الذي صدر عام ٢١٢م (Constitutio Antoniniana) كي يشمل سكان الأقاليم.

٣- وصفت ثلاث وحدات من العرب في الوثيقة المهمة كسرقينيين[2]؛ كان اثنتان منهما في فينيقيا: الأولى وحدة الفرسان الخيالة السرقينيين من أهل البلاد الأصليين، والثانية وحدة الفرسان الخيالة السرقينيين، والثالثة وحدة الفرسان الخيالة السرقينيين الثموديين على تخوم مصر. وتعد هذه الإشارات إلى السرقينيين من أكثرها معاناة ومن أكثرها إثارة للجدل من كل ما ورد عن الوحدات العربية العسكرية في الوثيقة المهمة.وكحل لمشكلة هذه الوحدات الثلاثة المسماة سَرَقينيين، يمكن إلقاء الكثير من الضوء على العلاقات العربية-الرومانية وعلى مشكلة الوثيقة المهمة/لائحة المقامات بشكل عام.وتشكل هذه المجموعات الثلاثة المسائل الرئيسية التالية:

١- انظر مقالة Hurbert van de Weerd & Pieter Lambrechts هربرت فان دويرد وبيير لامبرخت المهمة تحت عنوان Note sur les corps d`archers au Haut Empire / مميزات فيالق رماة السهام في الإمبراطورية العظمى"، المنشورة في المجلد الأول، الصفحات ٦٦١-٦٧٧ من"العرب في العالم القديم/ Die Araber in der alten Welt" الذي يصف في القسم الأخير، الصفحات ٦٧٢- ٦٧٧، الصعود المهم للخيالة في الجيش الروماني، وذلك بعد معركة Carrhae والمتغيرات البالغة الأثر في تسليح الدروع والتكتيكات التي طبقت بعد تلك الكارثة؛ فخدمت الوحدات العربية العسكرية المسجلة في قوائم الوثيقة المهمة / لائحة المقامات في الجيش الروماني كخيالة مدرعة Clibanarii.

٢- انظر الفصل الخامس "لائحة المقامات"، الملاحظتين الرابعة والسابعة من القسم الأول- ثالثاً، والملاحظة الأولى من نفس القسم الأول - ثالثاً من الفصل نفسه، لمعرفة المزيد عن هذه الوحدات التي عولجت في سياقات مختلفة من هذا الكتاب.

ا- وضعها القانوني؛ هل كانوا مواطنين جندوا من داخل الإمبراطورية كالوحدات العربية الأخرى؟ أم هل كانوا من عرب شبه الجزيرة؟.

ب- هل كان استعمال مصطلح / تعبير سرَقيني يلمح إلى أنهم كانوا بدواً ؟ وذلك في ضوء ما قاله آميانوس عن معادلة أو تسوية السرقيني مع السكيناتي Scenitae[1] (سكان- الخيام).

ج- هل كان السرقينيون، وخصوصاً الذين كانوا منهم فينيقيون، يمثلون النوع الحديث من الاتحاديين الذين ظهروا في القرن الرابع الميلادي في الفترة البيزنطية ، والذين أشير إليهم بانتظام بالسرقينيين؟ هذه أسئلة كبيرة لا يوجد أجوبة محددة لها حتى الآن. إذ كان من الواضح أن مصطلح سرقيني نفسه الحديث نسبياً لم يكن معروفاً في الفترة اليونانية، لكنه بدأ يرمز إلى العرب أو إلى بعضهم في الفترة الرومانية، غير أنه لسوء الحظ ما زال يرتبط بالكثير من المشكلات التي تنتظر الحل[2]. وعلى كل حال، فقد تم بعض التقدم في هذا الاتجاه، إذ يمكن لأحدهم أن يدفع دراسة هذه المشكلات التي تخص هذه الوحدات الثلاثة نحو الأمام، على الأقل بإثارة الأسئلة ذات الصلة، وبطريقة منهجية، بحل مسألة الوحدة الثالثة؛ الفرسان الخيالة السرقينيين الثموديين التي كانت في مصر من الوحدتين الأخريين اللتين كانتا متمركزتين في فينيقيا :

أ- وحدتي الفرسان الخيالة السرقينيين الثمودية : تشير الوثيقة المهمة إلى وحدتين من الثموديين؛ واحدة كانت تتمركز في فلسطين والأخرى في مصر، لكن التي كانت في مصر كان يشار إليها فقط كسرقيني، في حين أشير إلى الأخرى كوحدة الفرسان الخيالة الثمودية – الإليريشيانية*. وهذا يدعو إلى إثارة السؤال التالي، لماذا وصفت وحدة واحدة منها بهذا الاسم ولم توصف الأخرى؟. فمنذ أن اعتبر تعبير سرقيني قيد الاستخدام المتأخر كان استعماله مع واحدة من الوحدتين يوحي بأن التي بدأ استعمال التسمية معها أولاً قد تم تجنيدها قبل الأخرى، لكن ذلك لا يعني الحقيقة بالتأكيد، لأن بداية نشوء هذا التعبير ربما يكون قد سبق تاريخ مصداقية وجوده المبكر. ويعادل مصطلح سرقيني مصطلح أو تعبير سكيناتي حسب ما أورده

١- مصنف آميانوس مارقيلينوس التاريخي Res Gestae, XXII.15.2; XXIII.6.13.

٢- انظر مجمل الفصل التاسع للمزيد عن مصطلح سرقيني.

* إيليريا؛ بلاد كانت بهذا الاسم تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأدرياتيكي – المترجم.

آميانوس. ولذلك، فربما أطلق استعماله على الوحدة التي كانت في مصر وذلك من أجل تمييزها عن الأخرى التي لم تكن بدوية النسب. فإن كان ذلك صحيحاً، سيكون هذا انعكاساً لحقائق الحياة الاجتماعية القبلية في الجزيرة العربية، حيث أن قسماً من القبيلة الواحدة نفسها قد يكون بدوياً مرتحلاً والقسم الأخر مقيماً، وهذا ربما ينطبق على قبائل ثمود الذين كان بعضهم مقيمين وبعضهم الأخر رحلاً ، وذلك حسب ما ورد في الرقيم التي اكتشفت في روافا Ruwwafa[1].

ب- مهمة هي الدلائل التي تشير إلى الثموديين والسرقينيين الثموديين، إلا أن هذه الإشارات تبدو أنها أقل أهمية في الفترة البيزنطية بالقياس مع الإشارة إلى الوحدتين السرقينيتين المقيمتين في فينيقيا؛ لكن الإجابات على الأسئلة المتعلقة بهم غير واضحة كما هو الحال بالنسبة إلى الثموديين والسرقينيين الثموديين. وإضافة إلى ما قيل فيما يخص إمكانية عودة وجودهم إلى عصر أورليان الذي قاتلوا إلى جانبه ضد التدمريين، والذي وضعهم في فينيقيا ليملئوا الفراغ السياسي والعسكري الذي نشأ بعد سقوط تدمر[2]. إذ تكون الإمكانية التالية معللة بأن تستمد من كون حقيقة لائحة المقامات كوثيقة تعكس الحقائق العسكرية في القرن الرابع وفي بداية القرن الخامس؛ بأن تمركز هاتين المجموعتين في فينيقيا قد لا يعود إلى القرن الثالث ولكن إلى أحد القرنين الرابع أو الخامس[3]، كونهما تمثلان الاتحاديين في هذه القرون، وهم النمط الجديد من الحلفاء العرب الذي شهده العصر البيزنطي. فإن كان الأمر كذلك، فربما يكونون هم تنوخي القرن الرابع أو قوم صالح في القرن الخامس، فإذا كانت

١- من المغري التفكير أن استعمال مصطلح سرقيني على الثموديين في مصر يعني أن هذه الوحدة قد تم تجنيدها بعد سقوط ثمود ونكوصها إلى حياة البداوة، وذلك بعيداً عن استعمال تعبير/ مصطلح سرقيني في معنى سكيناتي Scenitae (سكان- الخيام). عن فكرة الإعادة إلى حياة البداوة، انظر مقالة W Caskel "بدونة الجزيرة العربية"، في "تاريخ الدراسات الثقافية الإسلامية" لفون غرونباوم G.E.von Grunebaum، الصفحات ٣٦- ٤٦، خاصة الصفحات ٤٠-٤١. وعلى أي حال، يجب قراءة هذه المقالة والاستفادة منها بحذر شديد.

٢- انظر الملاحظة الهامشية الرابعة من القسم الثاني من هذا الفصل.

٣- إن توظيف مصطلح السرقينيين لوصفهم فقط، دون الأخذ بمؤهلاتهم الدينية الوثنية كالثموديين، يمكن أن يدعم هذه الرؤية بقوة. وعلى الغالب لم يُشر أبداً إلى عرب الاتحاديين في الفترة البيزنطية بألقاب وثنية مميزة، ولكن بالتعبير العام البسيط : السرقينيون.

الوحدتان المذكورتان تعودان إلى النمط الجديد من الحلفاء العرب الاتحاديين، سواء كانوا من بني تنوخ أو من قوم صالح، تكون الاحتمالات الغالبة هي أنهم لم يكونوا مواطنين في الإمبراطورية الرومانية[1].

القسم الرابع

وأيما تكن الحقيقة الدقيقة عن هاتين الوحدتين المتعارف عليهما بالمصطلح سرقيني،فإنهما تبقيان مجموعتين مهمتين من الوحدات العسكرية العربية في لائحة المقامات،على اعتبارأن المرجع إليهم إما أن يعكس وقائع القرنين الرابع والخامس من الفترة البيزنطية أو الفترة الانتقالية إليها من العصر الروماني. فقد أصبح تعبير سرقيني تعبيراً نظامياً مألوفاً يرمز للعرب في الفترة البيزنطية، والتي تم خلالها تطوير نظامي السيماخوSymmacho والفيلارخية، والاتحاد والفيلارخية. لكن هذا النظام لم ينشأ فجأة في الفترة البيزنطية، بل إن جذوره ممتدة في الفترة الرومانية. إذ يبقى أن يتم إنجاز القليل من الملاحظات على هذه الجذور كمقدمة لدراسة النظام في الفترة البيزنطية[2].

١- استبق نظام توظيف رؤساء القبائل العربية في خدمة روما الفترة البيزنطية، استعمال تعبيرات متنوعة لترمز لرؤساء القبائل المتحالفة مع روما؛ كسينديكوس، إثنارخس، وستراتيغوس،syndikos ,ethnarches &strategos[3]. تم إزاحة كل هذه المصطلحات والتعابير في الفترة البيزنطية والاستعاضة عنها بتعبير فيلارخ أو فيلارخوس[4]، الذي أصبح بنهاية القرن الرابع المصطلح / التعبير الشائع كلقب لزعماء وشيوخ القبائل العربية المتحالفة مع روما.

١- انظر د. غراف في الصفحات ١٧ - ١٨ من "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية" للمزيد عن الآراء المختلفة فيهم.

٢- عد إلى الفصول المرتبطة بنظام الفيلارخية والاتحادية في العصر البيزنطي في كتاب المؤلف عرفان شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع".

٣- ارجع إلى غراف في "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ٣٢.

٤- استعمل أيضاً في وقت متأخر من العصر الهليني وفي العصر الروماني: انظرغيشنتزر F.Geschnitzer في "الفيلارخات"، في دورية RE ، الملحق، العدد ١١ الذي صدر عام ١٩٦٨م. المجموعات ١٠٧٢ - ١٠٧٤.

٢- تحالف هؤلاء الزعماء القبليون وقبائلهم مع روما في الفترة الرومانية، وتعايشوا مع مجموعات عربية كثيرة أخرى أكثر أهمية كان على روما أن تتعامل معها، كوكلاء مقيمين: كالأنباط والتدمريين. ولذلك، لم يكونوا مهمين نسبياً، إلا في مجالات محددة النشاط كوحدات حرس صحراوية لتدعيم القانون والتحكم في تحول قبائل شبه الجزيرة العربية من الطواف والتجوال ورعي الأنعام على أراضي الدولة الرومانية[١]. ولكن، وبعد التخلص من الممالك العربية القوية التابعة، واحدة تلوالأخرى في العصر الروماني،تولى عرب الاتحاديين في الفترة البيزنطية دوراً أكبر أهمية بكثير.

٣- بالرغم من قوة الحضور العسكري الروماني، فقد مثلت مناطق الصحراء في المشرق وشبه الجزيرة العربية مشكلات دفاعية وأمنية كان من الأفضل لو أن العرب كلفوا بمسؤوليتها على اعتبار أنهم متآلفون مع الأوضاع الجغرافية للمنطقة وإلى تقنيات الصراع والقتال المناسبة للصحراء التي تعتمد على الحركة السريعة؛ والتي كانت مرتبطة بدورها بالحيوانين الصحراويين، الحصان والجمل، واستعمال الأقواس والسهام[٢]. لذلك، كان محارب الصحراء العربي، حليف روما،على الغالب فارس سهام

١- ربما تمثل سافيتك عويد Safaitic Awid* هذا النوع من القبائل العربية في العصر الروماني. ويمكن استعادة تاريخ العلاقات المختلفة، الذي يشبه لعبة مربعات الداما، مع روما بمساعدة المخطوطات والرقم اليونانية والعربية، انظر غراف في "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ١٦. ومن المحتمل أن ملكها (mlk) لم يكن أكثر من زعيم محلي، ولذلك فإن "السيد / Lord" قد يكون أكثر ملائمة للاستعاضة عن لقب الملك. دفن امرؤ القيس في نمارا، المكان التي طافت به عويد، وكان ملكاً أيضاً، ولكنه كان يعد مميزاً عن ملك قبيلة عويد في كل معنى. للمزيد عن امرئ القيس، انظر كتاب المؤلف "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، الفصل الأول: عن حكم قسطنطين. إن صعوبة تأسيس تأريخ لنشاطات وعلاقات قبيلة عويد Awid مع الرومان يدعو إلى صعوبة أكبر في سحب نتائج عن هذه القبيلة. لذلك، يجب أن تبقى قبيلة ثمود - مثالاً للدراسة عن العلاقات العربية - الرومانية، بتاريخها الموثق بشكل محكم من خلال المخطوطات والرقم اليونانية والنبطية في القرن الثاني، وكذلك من خلال الإشارات المتوفرة في لائحة المقامات.

* هكذا ورد الاسم في النص الأصلي، إذ لم أستطع التعرف على الاسم المكون من الكلمتين من المصادر، في حين تم التعرف على قبيلة عويد - المترجم.

٢- عن تعديل سروج الهجن (الإبل) كي تتوافق مع استعمال الرماة للأقواس خلال المعارك، انظر W. Dostel في "نشوء وتطور الحياة البدوية" المنشور في دورية "الدراسات السامية": تحت عنون "المجتمع البدوي القديم"، العدد الثاني، الصفحات ١٥- ٢٨، الصادر ١٩٥٩.

بارع وهو يمتطي صهوة جواده. استمرت اضطرابات الحدود، في الفترة البيزنطية، وكونها واحدة من أهم اهتمامات العرب الاتحاديين، خاصة في المنطقة التي تقابل شبه الجزيرة العربية، فقد كان على هؤلاء الاتحاديين أن يحملوا على عواتقهم مسؤوليات أكثر أهمية مرتبطة بالصراع الإيراني - البيزنطي.

حاشية: ناقش ريترلينغ Ritterling في دورية RE،عدد ١٢ ،الصفحة١٣٤٧، الذي صدر عام ١٩٢٥م، تركيبة الجيش المكونة من قوى الفيالق والاحتياط، الذي قاده أورليان ضد التدمريين، بتحليل المقطع الحاسم الذي تحدث عنه المؤرخ زوسيموس في "التاريخ الحديث" 1.52.3-4 . فقد جادل كنيث هولم Kenneth Holum قائلاً بأن تقدير أفراد جيش أورليان من خمسين إلى ستين ألفاً يعد تقديراً منطقياً، آخذاً بالاعتبار ما أورده زوسيموس من أن حجمه كان أقل من حجم جيش تدمر الذي بلغ سبعين ألفاً.

عليَّ أن أوجه شكري للأستاذ هولوم Holum على ما قدمه من خلال بعض الحوارات عن جيش أورليان وعن رسم السهام على الخريطة الخامسة، في نهاية الكتاب، والتي توضح تقدم الجيوش التدمرية في عمق آسيا الصغرى ومصر خلال ثورة تدمر.



الفصل الثالث

العامل العربي في التاريخ الروماني في القرن الثالث الميلادي

شهد القرن الثالث الميلادي فوراناً عربياً عظيماً من أجل تأكيد الذات، فصار العرب عاملاً مهماً في التاريخ الروماني على مدى هذا القرن. وتمثل هذا العامل، خلال النصف الأول من هذا القرن بأعضاء الأسرة السيفيرانية Severan العربية، وبفيليب العربي بالقرب من منتصفه، وبأذينة وزنوبيا التدمريين في النصف الثاني من هذا القرن[1] .

القسم الأول

لم يكن سيبتيميوس عربياً وإنما فينيقياً من ليبتيس ماغنا[2]Leptis Magna، فقد انحدرت زوجته في أصولها من سلالة النسب العربي للملوك الكهنة[3] التي حكمت

١- يقدم المجلد الثاني عشر من "تاريخ كامبريدج القديم "خلفية مادية كافية لترتيب مناقشة العامل العربي في القرن الثالث. ويمكن العودة إلى الفصول التي تتحدث عن العرب في القرن الثالث إلى المرجع أعلاه مع السير المصاحبة في الصفحات من ١ إلى ٧٢ عن الأسرة، وفي الصفحات ٨٧- ٩٥ عن فيليب العربي، وفي ١٦٩- ١٨٠، ٣٠٦ عن تدمر. وعلى الرغم من كتابة الكثير عن القرن الثالث الميلادي منذ إصدار المجلد الثاني عشر من تاريخ كامبريدج القديم ، فإن هذا المجلد مع السير الواردة فيه يعد من أنسب الأعمال تفرداً حيث يمكن للقارئ أن يشير فيه إلى معظم المعلومات التي يتضمنها هذا الفصل عن العرب .

٢- يعد تعبير "سامي" أكثر دقة وملائمة لوصف الأسرة السيفيرانية، بينما تعبير"مشرقي" تعبير عام جداً ولا علاقة له بالخلفية العرقية للسيفيرانيين.

٣- كانت جوليا دومنا ابنة ليوليوس باسيانوس J. Bassianus كاهن الإله بعل في حمص.

حمص في العصور الرومانية ولمدة طويلة بعد استقرار فترة بومبي[1]. كانت جوليا دومنا هي من أعطت العنصر العربي مباشرة إلى الأسرة السيفيرانية بعد أن أصبحت زوجة سيبتيميوس سيفيروس وأم كاراكلا الذي أصبح لذلك نصف - عربي، وبشكل غير مباشر كأخت لجوليا ميَسا وكخالة لابنتي مَيسا؛ جوليا سوميَاس وجوليا ماميَا والدتي الإمبراطورين؛ إلاغابالوس وسيفيروس الإسكندر على التوالي[2].

والسؤال؛ ماذا كان تأثير العاصمة ومجلس الشيوخ المجيد والمركز العسكري على سيد العالم الروماني من ١٩٢ إلى ٢١١ م. فقد بدل- سيبتيميوس- زوج جوليا دومنا شخصية الحاكم الأعلى ومعها الدولة الرومانية، وهذه مسألة لا يمكن البت فيها بدقة. فقد كان تأثير جوليا كبيراً بالنظر إلى عطاياها ومنحها وطموحاتها. إذ من الممكن أنها قد بذلت جهدها أيضاً بشكل غير مباشر من خلال مواطنيها من أمثال: ألبيان وبابينيانUlpian &Papinian اللذين أحاطت زوجها بهما. وإضافة إلى انشغالها بمسائل إمبراطورية، فقد كانت مركزاً لدائرة أدبية مشهورة ومتعددة الأفكار والاهتمامات، وتابعت نضالها بالدفاع عن الوثنية ضد المسيحية بتفويض الصوفي فيلوستراتوس Philostratus لكتابة سيرة أبولونيوس الطاياني[3].

١- انظر Chad في "الأسر الحاكمة في حمص" ،الصفحات ١٠٣-١٠٥، ١٠٩-١١٣؛ عن ضم الرومان لمملكة حمص بعد زمن طويل من الاستقلال. إذ أن هذه العائلة العربية من الملوك - الكهنة حكمت حمص لبعض الوقت قبل استقرار نظام بومبي.

٢- لذلك كانت إمبراطورات الأسرة السيفيرانية عربية بالكامل، بينما كان غالبية أباطرتها من العرب، إلا أن مؤسس الأسرة سيبتيميوس لم يكن عربياً، لكن جميع الباقين كانوا عرباً إما بشكل جزئي أو كلي. فقد كان كرا كلا نصف - عربي، إلاغابالوس وسيفيروس الإسكندر كانا على الأقل نصف - عربيين وربما عربيين بالكامل.

كانت أعداد الإمبراطورات والأباطرة من أصول عربية سورية لافتة للنظر، كما كانت متوازية بشكل لافت أيضاً مع تساوي أعداد البابوات في روما من أصول سورية خلال القرنين السابع والثامن: جون الخامس (٦٨٥- ٦٨٦)، سيرغيوس (٦٨٧- ٧٠١)، سيسينيوس (٧٠٨)، قسطنطين (٧٠٨- ٧١٥)، وغريغوري الثالث (٧٣١- ٧٤١). وقد انضم البابا سيرغيوس والبابا غريغوري إلى قائمة القديسين البابوية .

٣- قد تكون واحدة من السمات المهمة بخلفية جوليا دومنا العربية الحمصية باتخاذها موقفاً جدياً إلى جانب الوثنية ضد المسيحية. وقد كانت الديانة الوثنية المعروفة في ذلك الوقت ممثلة بإله

صارت جوليا دومنا أكثر نفوذاً وقوة بعد وفاة زوجها سيفيروس وخلال فترة حكم ابنها كاراكلا. ومن المهم في هذه الفترة أن تم إجازة وثيقة أنتونينيانا الدستورية[1] ٢١٢م constitutio Antoniniana في اشتمال حق المواطنة لتضم كافة السكان الأحرار في الإمبراطورية وتلغي التمييز بين الرومان وسكان المناطق التي كانت خاضعة لحكم الإمبراطورية الرومانية. من الصعب الاعتقاد أن محرر هذه الوثيقة كان الجندي البسيط كاراكلا لوحده، كما أن من الصعب الاعتقاد أن الأم الموهوبة ومستشاريها آلبيان وبابينيان[2] لم يكونوا خلف المرسوم الشهير. فعلى الرغم من وجود دوافع مختلفة خلف إصدار الوثيقة المرسوم، فليس من المستحيل القول أن الأصل العرقي لجوليا وابنها وحقيقة أن العائلة هي من إحدى أقاليم الشرق؛ كانت كلها عوامل مؤثرة[3].

لعب هؤلاء الحكام العرب من حمص دوراً مهماً في التاريخ الديني بالإضافة إلى الدور الذي لعبوه في التاريخ المدني الروماني بإصدار المرسوم الدستوري. فخلال حكم الاغابالوس الذي امتد من ٢١٨ إلى ٢٢٢م أصبح اسمه العائلي بعد باسيانوس؛

- الشمس الحمصي؛ بعل، إذ كان والدها يوليوس باسيانوس كاهنه. في حين اختلفت خلفية فيليب العربي عن خلفية جوليا دومنا، إذ خرج من منطقة المشرق، من ولاية العربية التي انتشرت فيها الديانة المسيحية. للمزيد، انظر الفصل السادس - القسم الثاني - الفقرات ٤، ٥ من هذا الكتاب.

١- انظر وثيقة Constitutio Antoniniana أنتونينيانا الدستورية في كتاب شيروين وايت "المواطنة الرومانية" الذي صدر في أوكسفورد ١٩٧٣، الصفحات ٢٧٩- ٢٨٧؛ ٣٨٠- ٣٩٣.

٢- إذا كان الاقتراح بأن الأصل المشرقي الحمصي لبابينيان صحيحاً، فسيبقى من غير الواضح لأي مجموعة عرقية سامية ينتمي.

٣- قد تستمد هذه الرؤية بعض التأييد مما يقوله ديو كاسيوس Dio Casius عن الدوافع التي كانت وراء المرسوم، بما يعني اسمياً؛ أنه كان من المُشَرف أن يكون وراء هذا المرسوم أحد رعايا الإمبراطورية من غير الرومان؛ انظر ديو في "التاريخ الروماني"، الذي صدر في ١٩٢٧، تحقيق لويب. ربما تأثرت جوليا دومنا وكراكلا أيضاً بالوعي الشخصي لسيبتيميوس من أنه لم يكن ينتمي إلى المؤسسة الرومانية وذلك من خلال عدائه المعروف للطبقة الأرستقراطية الرومانية ومجلس الشيوخ. إذ يمكن العودة إلى ديو في .LXXVIII.6.1;10.2، من "التاريخ الروماني" لمعرفة فكرة ديو عن كاراكلا ودومنا "كسوريين" ماكرين. انظر المجلد ١٢ من "تاريخ كامبريدج القديم"، في الصفحة ٤٦ عن العلاقة بين المرسوم والسوريين أو الساميين وصياغة العبادة الشمسية. انظر أيضاً الصفحة السادسة، إذ ربما استعمل اسم العربي بدلاً من السوري أو السامي.

الإغابالوس كاهن إله - الشمس الحمصي الذي نصب في روما[1]. لكن الأبعد أثراً كان انخراط إمبراطورتين عربيتين: جوليا دومنا وقريبتها جوليا ماميا، في النشاطات الدينية في ذلك الوقت. وكما ذكر سابقاً، فقد كتبت جوليا دومنا فصلاً في تاريخ الصراع بين الوثنية والمسيحية بأن ناصرت الوثنية ضد المسيحية، بينما كانت على عكسها جوليا ماميا إذ مالت إلى جانب الديانة المسيحية، لذلك أعدّ لها هيبوليتوس Hippolytus مجلداً، واعتبرها أوسيبيوس على الغالب - الذي سجل التماسها كي تتحدث مع أوريجين* حين ارتحاله إلى أنطاكية حيث كانت تقيم ماميا- مسيحية. إلا أن الكتاب الكنسيون اعتبروا ابنها سيفيروس الإسكندر مسيحياً،لذلك لم يكن من شك بأن إيمانه المسيحي كان يعود حتماً بدرجة كبيرة إلى تأثره بوالدته[2].

يمكن بكل تأكيد ربط الاهتمام العميق للإمبراطورات وأبنائهن بالديانتين الوثنية والمسيحية بالعبادة الدينية لمدنهم الأصلية، وإلى أنهم ينحدرون من سلالة الكهنة العرب في خدمة إله- الشمس في حمص باسمه العربي الصريح: القَبال[3] El-Gabal. ومن الطبيعي لذلك أن يبدأوا كأنصار متحمسين لإله- الشمس: إلههم الوطني الخاص، غير أنهم انتهوا بالانجذاب نحو الديانة المسيحية. وبانجذابهم هذا مثلوا التقدم الذي أنجزته المسيحية على أعلى مستويات الحياة الرومانية المعروفة ، المحكمة[4].

١- إذا كانت الإمبراطورتين جوليا دومنا وجوليا ميسا ابنتين لكاهن إله - الشمس الحمصي، عندها يكون الإغابالوس نفسه كاهن ذلك الإله؛ لذلك فقد شهد العام ٢١٨م ارتقاء كاهن عربي إلى أعلى سلطة دينية لديانة إله - الشمس الحمصي .

* أوريجين Origen: تعود معتقدات أوريجين من الاسكندرية إلى الفترة بين ١٨٥ - ٢٣٥م، إذ كان هو الأب الإغريقي الذي قام بتوحيد الفلسفة بين المدرسة الاختيارية للأفلاطونية الجديدة والمعتقدات المسيحية، مؤمناً بأن هذه الأرواح الإنسانية كانت موجودة قبل اتحادها مع أجسادها، وأنها كانت مقدسة بالأساس، لكنها أصبحت خاطئة في حالة ما قبل الوجود المادي - المترجم.

٢- عن جوليا ماميا والإسكندر، انظر آخر ملاحظة في الفقرة رقم (٣) من القسم الثاني في الفصل السادس من هذا الكتاب.

٣- استمر الملوك الكهنة في حمص بممارسة وظائف طقوسهم الكهنوتية حتى بعدما انتهوا من كونهم ملوكاً، وذلك بعد أن ضم الرومان حمصاً: انظر Chad في"الأسر الحاكمة في حمص"، الصفحة ١٢١.

٤- عن ذلك، انظر A. Harnack في "البعثات التبشيرية والتوسع في الديانة المسيحية في القرون الثلاثة الأولى"، ترجمة وإصدار جيمس موفات التي تمت في لندن ونيويورك ١٩٠٨م، في المجلد الثاني،

القسم الثاني

كان فيليب على خلاف سابقه الحاكم الأعلى المميز سيبتيميوس المنحدر من أصول سامية، فهو لم يترك أثراً عظيماً في تاريخ روما الإمبراطوري، إذ قد يحكم عليه من خلال أحداث متعددة[١]. وعلى كل حال، تعود الأهمية في تاريخ العلاقات العربية – الرومانية إلى العوامل العربية وإلى انتشار المسيحية في القرن الثالث. وفي هذا الإطار يمكن أن نجمل الملاحظات التالية على حكم فيليب[٢]:

١– لقد كانت عبادة إله – الشمس في حمص– بالضبط – ديانة العرب الوثنية، فارتبطت بسمات أساسية كانت في مصلحة الأسرة السيفيرانية في الديانة، وفي قضية الإغابالوس لتنصيب إله – الشمس العربي في روما نفسها. فقد كان انتشار المسيحية في ولاية العربية مرتبطاً بسمات أساسية جاءت لصالح اعتناق فيليب العربي المسيحية[٣]. وكان ينظر إلى بلاد العرب كما صورتها روايات المؤرخين الكنسيين بأنها بلاد البدع المستمرة Arab haeresium ferax، لكنها بالمقابل، كانت أيضاً واحدة من الولايات التي شهدت انتشار المسيحية المبكر. لذا، ولأسباب جغرافية وأسباب أخرى، كان عربها من ضمن من تحولوا إلى المسيحية مبكراً. لذلك، يجب أن يعد فيليب أعظم شخصية عربية مشهورة في تاريخ روما الإمبراطوري. فإذا كان سيفيروس الإسكندر جزئياً عربياً وجزئياً مسيحياً، فقد كان فيليب عربياً ومسيحياً بالكامل، ولذا فقد كان يمثل كلا النصرين؛المسيحي في أعلى درجاته، والارتقاء إلى مستوى القادة لابسي الأرواب الأرجوانية من علية القوم الذين لم يكونوا ينتمون إلى المؤسسة الرومانية، ل قدموا من عالم المشرق السامي؛ من ولاية / إقليم العربية.

الصفحات ٤٢– ٥٢؛ وكذلك في الصفحات ٦٤– ٨٤ عن انتشار المسيحية بين النساء، ومن كانت المشهورات منهن.

١– قد يعود السبب إلى فترته القصيرة التي لم تمكنه من ترك بصمة مميزة في مجرى التاريخ الروماني كما فعل سلفه السامي سيبتيميوس، وكما سيفعل لاحقه المسيحي قسطنطين.

٢– تمت دراسة مسيحية فيليب بالتفصيل في كامل الفصل السادس من هذا الكتاب.

٣– انظر R. Aigrain في "العربية" من "المعجم التاريخي الجغرافي الكنسي"، المجموعة 1167.

٢- لم يكن الإمبراطور فقط بل زوجته أيضاً مارشيا أوتاشيليا سيفيرا Marcia[1] Otacilia Severa: من يذكرنا بالإمبراطورات العربيات الأربعة من الأسرة السيفيرانية. وبما أن سبب شهرتها كان على الخصوص إيمانها بالمسيحية ورسالة أوريجين إليها، كان أيضاً قربها من جوليا ماميا. فإذا كانت جوليا ماميا على الأغلب مسيحية فإن مارشيا أوتاشيليا سيفيرا تكون كزوجها مسيحية بشكل كامل، لذلك كانت مارشيا وفيليب يمثلان تقدماً على جوليا ماميا والإسكندر في علاقتهم مع المسيحية[2]. فقد رافقت مارشيا فيليب إلى روما، وربما أضيفت إلى لائحة الإمبراطورات الأربعة من الأسرة السيفرانية التي أقامت في البلاط الإمبراطوري في روما نفسها.

٣-أخيراً،يمكن توقع العلاقة العامة بين صعود فيليب إلى قمة السلطة وصعود سلالة السيفيرانيين. فقد ولد فيليب في حوران Aurantitis التي أصبحت فيما بعد Philippolis (مدينة شهبا حالياً)، والتي لا تبعد كثيراً عن حمص. إذ من الصعب الاعتقاد أن مشهد زميل عربي كإلاغابالوس الحمصي،وقد بلغ سدة الرئاسة، مضى دون أن يلاحظه فيليب الذي كان ضابطاً مميزاً في الجيش الروماني وكان لذلك قريباً جداً من مركز السلطة كضابط حماية للإمبراطور وليس ككاهن لإله- الشمس في حمص، وذلك بالرغم من ارتباطات إلاغابالوس الجيدة المتمثلة بجدته جوليا ميسا. ترك مشهد الأباطرة العرب وأنصاف الأباطرة العرب من حمص المجاورة انطباعاً عميقاً على ماركوس يوليوس فيليبوس، ولذلك، توجب اعتبار الصعود إلى المنزلة الإمبراطورية الرفيعة التي وصل إليها السيفيرانيين عاملاً مهماً في ارتقاء فيليب نفسه. وليس واضحاً فيما إذا كان سقوط الأسرة العربية الأخرى؛ آخر أبجريي أديسا، يعتبر أيضاً عاملاً من عوامل الصعود العربي في الدولة الرومانية. إلا أن من الجدير ملاحظته هو أن الشخصية المهمة التي تواطأ فيليب على قتلها لم تكن سوى غورديان الذي أسقط آخر ملك عربي في أديسا، كان مثل فيليب عربياً ومسيحياً.

١- انظر الفصل السادس- القسم الثاني- الفقرات من ٤ إلى ٧ من هذا الكتاب عن افتراض من أنها كانت عربية تبنت اسماً لاتينياً كما فعلت إمبراطورات الأسرة السيفيرانية.

٢- يعد الارتباط بين كلا الإمبراطورتين وأوريجين نقطة أخرى من المقارنة بين الاثنتين، انظر المصدر السابق نفسه.

القسم الثالث

يعد فصل التدمريين العرب في تاريخ العلاقات العربية - الرومانية في القرن الثالث الميلادي فصلاً فريداً.

١- على خلاف مدن أخرى احتلها العرب في المشرق، كأديسا المَقدونية، كانت تدمر مؤسسة سامية قديمة قريبة من الصحراء ومن شبه الجزيرة العربية، احتلها العرب فنشأت في التاريخ الروماني بمظهر عربي قوي منذ البداية، واستمر هذا المظهر بالوجود بالرغم من التأثيرات الخارجية القوية التي تعرضت لها من إيران ومن العالمين اليوناني والروماني[١]، فقد حافظ التدمريون، على عكس العرب اليونان والعرب الرومان، على أسمائهم العربية حتى عند إضافة اسم روماني إليها،مثلما أضاف حيران اسم سيبتميوس إلى اسمه. لذا كانت شخصية عرب تدمر أقوى من شخصية عرب حمص السيفيرانية[٢].

٢- كانت تدمر بمثابة إسبارطة بين مدن المشرق العربية وغير العربية، وحتى أن آلهتها كانت ممثلة باللباس العسكري الرسمي. ولم تبلغ أي مجموعة عربية قبل ظهور الإسلام الدرجة العسكرية الفعالة والقوة التي بلغها التدمريون في القرن الثالث، وهذا واضح من الوظيفة العسكرية التي تمتع بها أميرهم المميز أذينة، وذلك بالرغم من أنهم كانوا في الحقيقة مجتمعاً تجارياً وأن عاصمتهم كانت مدينة قوافل[٣].

ألقت الحقائق المذكورة أعلاه ضوءاً على محاولات تدمر العسكرية المميزة في النصف الثاني من القرن الثالث، وبذلك اضطلعت تدمر بمجابهة القوتين العظميين:إيران وروما[٤] في ذلك الوقت. وقد أهلتها قوتها العسكرية أن تكون قادرة على هزيمة شابور الساساني هزيمة منكرة، وبالتالي انعكس التيار لصالح روما. ومن

١- من المحتمل وجود المواد ذات الصلة بالموضوع في كتاب M. Rostovtzeff "مدن القوافل"، الذي صدر في أكسفورد عام ١٩٣٢م، الصفحات ٩٠- ١٥٢، وفي العمل الأكثر حداثة للكاتب H J.W.Drijvers. في "ديانة تدمر"، الذي صدر في ليدن عام ١٩٧٦.

٢- عن شخصية تدمرالعربية القوية، وعن مكانتها في المنطقة العربية، انظرالفصل الأول، القسم الرابع، الفقرة رقم ٢ من ثانياً، من هذا الكتاب.

٣- قارن وباين مع مكة كمدينة قوافل أيضاً، ومع سكانها، قريش، كمجتمع تجاري أيضاً.

٤- اضطلعت الجزيرة العربية المسلمة بمجابهة القوى العالمية بوقت واحد.

المحتمل أن شخصيتها العربية القوية المقترنة بوعيها بقوتها الذاتية يمكن أن تفسر سبب حربها ضد روما؛ إما كحرب انفصالية عن روما، أو أنها كانت قد صممت أن تساوي بين السلالة التدمرية الحاكمة والإمبراطورية.

يمكن قياس حجم العامل العربي التدمري في تاريخ القرن الثالث الميلادي من خلال مناقشة موجزة لمرحلتين من مراحل التاريخ التدمري المتمثلين بأذينة وزنوبيا على التوالي.

أذينة Odenathus: كانت الهجمتان المعاكستان اللتان شنهما أذينة، خلال الستينات من القرن الثالث،ضد شابور ملك الساسانيين المحارب في إيران فاصلتين في عكس أقدار الحرب الرومانية - الفارسية، حيث شهدت خلفيتها الكئيبة أسر الإمبراطور الروماني فاليريان Valerian في الخمسينات من نفس القرن. وقد كانت الدلالات والانعكاسات المعبرة عن التقدير العالي الذي أظهره الرومان لأذينه بمنحه أرفع الألقاب؛ القائد المنتصر وحامي جميع المشرق[1]، بالإضافة إلى منحه لقب ملك؛ وهو أقل من لقب شابور(ملك الملوك:rex regum) بقليل.

بالرغم من أن أذينة أتقن كيف يحارب بالطريقتين الرومانية والفارسية، وكان لديه كتائب من حملة الأقواس والسهام،فقد كان يرسل الخيالة مع الوحدات التكتيكية المحاربة، إذ أنه كان محارباً عربياً من مدينة صحراوية عربية، وكانت الصحراء ساحة عملياته ضد شابور.لذا تجلت مقدرته وكفاءته في القيادة العسكرية في سرعة تحركاته[2]، التي تضمنت أساليب المحارب الصحراوي.

كما غيرت انتصارات أذينه مجرى التاريخ الروماني في الشرق كذلك غير موته مجرى تاريخ تدمر ومجرى العلاقات العربية - الرومانية. فجعلت انتصاراته المطلقة الرومان يتوجسون منه ومن بروز قوة تدمر، لذلك، فقد كمن وراء فكرة اغتياله في حمص إيحاءات سياسية يجب أن يقال عنها شيء ما[3]. وعلى أي حال، فقد تلا موته،

---

١ - مهما كان الحسد أو الضغينة أو الإنكار، فمن غير الواضح إذا ما تم منحه لقب ملك أو أنه هو من منح نفسه هذا اللقب.

٢- اقترب الملك الغساني المنذر بن الحارث من أذينه في اسلوب وطريقة هجماته الخاطفة ضد الفرس والعرب اللخميين المتحالفين معهم.

٣ - اعتبر قائداً قادراً، وبالنتيجة جشعاً.

بروز المستقبل السياسي لأرملته زنوبيا، فتتالت الحوادث الاستثنائية بعد موته إلى أن تم تدمير المدينة في ٢٧٣ م. لذلك غيب موته أعظم شخصية في تاريخ العلاقات العربية - الرومانية. فقد كان الأقرب إليه في الأهمية الأدومي هيرودس الكبير الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد.

خلال سيرته وبعد أن أوقف محادثاته مع شابور كان أذينه موالياً لروما. ومن الصعب أن نذكر ماذا كانت الطموحات التي أضمرها أذينه، ولم تبرهن النوايا الإمبراطورية لزوجته زنوبيا بالضرورة على مثل ذلك. وعلى كلٍ، لم يكن من المستحيل أن يكون مشهد السلالة السيفيرانية من حمص[1] والجار الأقرب تاريخياً؛ فيليب العربي من حوران الذي حاز على الوشاح الأرجواني الروماني، هي التي ربما شحذت شهية أذينه الإمبراطورية. في حين يمكن بسهولة تأكيد نوايا زنوبيا في هذا الصدد إذا كان من الصعب تأكيد نوايا أذينه.

زنوبيا: جعل موت أذينة من زنوبيا حاكمة تدمر والوصية على العرش خلال فترة قصور ابنها وهب اللات wahballat، كما أن منجزاته جعلت من الممكن تحقيق طموحاتها وخططها الإمبراطورية. فكان من ضمن طموحاتها تطوير الأحداث المميزة التي كانت تمر بها تدمر كل خمس سنوات، وذلك خلال سقوط كامل النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية تقريباً تحت حكم زنوبيا، ونتيجة لذلك استتبعت حملتي أورليان المثيرتين ضد تدمرإلى أن تم تدمير المدينة[2]. إلا أن من الممكن القول أن بروز المنزلة الإمبراطورية الرفيعة التي حظي بها فيليب والعرب من أهل حمص يجب اعتبارها من الحوافز القوية في قرار زنوبيا إعلان الثورة ضد روما، إذ كانت إمبراطورات السلالة السيفيرانية أمثلتها الطبيعية في طموحاتها الإمبراطورية، خاصة

١- كان اسمه: سيبتيميوس أذيناتوس (أذينة).

٢- من المهم تأمل نتائج الصراع لو كان عدو أورليان هو أذينه بدلاً من زابداس Zabdas المتوسط المؤهلات. إذ يمكن مقارنة إخفاق تدمر في نواياها الإمبراطورية ضد روما في القرن الثالث بالنجاح الذي حققته مدينة القوافل العربية الأخرى بعد أربعة قرون - المدينة المنورة المسلمة - تحت قيادة النبي محمد.

الأولى منهن؛ جوليا دومنا[1]. كانت زنوبيا تلقب بأوغسطا* مثلما كانت جوليا،ولم تكن علاقتها بابنها وهب اللات[2] تشبه علاقة جوليا بابنها كراكلا، وذلك بعد موت زوجيهما. وعلى كل حال، فقد حاولت زنوبيا أن تقلد سابقها العربي في الكثير من المسائل الثقافية؛ فقد كان لونجينوس في تدمر نظيراً لما كانه فيلوستراتوس في دائرة جوليا دومنا في حمص، فازدهرت المدرسة الأفلاطونية - الجديدة خلال حكمي جوليا وزنوبيا[3]. وكما كانت جوليا دومنا بقيت زنوبيا على وثنيتها[4].

لم تلعب تدمر دوراً عظيماً مهماً في التاريخ الروماني الشرقي تحت حكمي أذينه وزنوبيا فقط ، ولكن أيضاً بعد احتلالها وتخريبهاعام ٢٧٣م. فقد تلا التخلص من مملكة تدمر مباشرة تقريباً تغيرات واسعة في نظام الدفاع الإمبراطوري في المشرق، والتي كانت مرتبطة بشكل مباشر بسقوط المدينة العربية[5]؛ تدمر.

١- من الجدير بالملاحظة أن زنوبيا قد نظرت في طموحاتها إلى كليوبترا، وهذا ربما يقود إلى الاعتقاد أنها استوحت ثورتها ضد روما من مثال ملكة البطالمة المصريين. وفي جميع الأحوال، فقد كانت طموحاتها الإمبراطورية مرتبطة بتلك الشخصيات التاريخية القريبة منها تاريخياً وجغرافياً؛ كمواطنيها السوريين وتقريباً معاصريها؛ عرب حمص. فماذا قال ديو كاسيوس في " التاريخ الروماني؛ ٧٩، ٢٣، ٣" عن طموحات جوليا دومنا المهمة كي تصبح الحاكم الوحيد وتجعل من نفسها موازية لسمير أميس ونيتوكريس Nitocris، نظراً لأنها أصلاً من نفس المكان الذي جاءوا منه. فلو أرادت جوليا، حسب رأي المؤرخين الذين يعرفون جيداً أعضاء السلالة السيفيرانية، أن تباهي جاراتها الملكات الآشوريات والمصريات، فسيبدو من الطبيعي الاعتقاد بأن زنوبيا تدمر أرادت أن تضاهي جوليا دومنا الحمصية القريبة منها في الزمان والمكان وفي الأساس العرقي، أكثر مما ضاهت جوليا أي من الملكتين الأخريين.

* أوغسطا في اللاتينية هو لقب زوجة الإمبراطور أو والدته أو ابنته أو أخته أو العظيمة - المترجم.

٢- بعد موت الابن الآخر: هيروديانوس.

٣- أسس أميليوس المدرسة الأفلاطونية- الجديدة في آفاميا تحت حكم زنوبيا.

٤- يعتقد أن زنوبيا قدمت يد العون لمساعدة بول الساموطاطي/الساموساتي بمحاولته ليكون أسقفاً لأنطاكية، ليقوم بكسب دعم السكان المسيحيين.

٥- من أجل ذلك، ارجع إلى الفصل الثاني - القسم الثاني.

ملحق

إن أسماء إمبراطورات الأسرة السيفيرانية- جوليا دومنا، جوليا ميسا، وجوليا سوئيمياس/ صوهيميا/ صهيمة/ سهيمة، وجوليا ماميا- هي أسماء جديرة بالاهتمام. فالاسم الأول لكل واحدة منهن هو اسم لاتيني؛جوليا، في حين لم يكن الاسم العائلي كذلك. وباعتبارهن نساء عربيات من حمص فمن المؤكد، بل على الغالب أن تكون أسماؤهن العائلية عربية:

١- قد يكون اسم التصغير من الاسم العربي دُميَنا هو دمنه، دُمنه،أو دامنا،هو الاسم العربي الأقرب إلى دومنا[1]. فالاسم العربي الشخصي القديم يشهد بشكل تام على اسم الشاعر العربي العباسي الذي كان معروفاً جيداً باسم أمه- ابن الدمينة[2].

٢- من المحتمل جداً أن اسم ميسا الأنثوي هو اسم الأداة الأولى من الاسم العربي ماسَ، من الفعل يميسُ، يمشي بغنج ودلال، أو ماست بقدها وهي تمشي. وهو اسم مؤنث على وجه الخصوص، وأن هذا الفعل مشتق من الفعل الذي يستعمله الشعراء العرب الذين يثنون على جمال قدود النساء عادة.

٣- يمكن تمييز صوهيميا Sohaemia بالاسم العربي صُهيمة / صُحيمة أو سُهيمة، المرتبط أيضاً باللون الأسود. فصُحيم هو الاسم العربي المصغر المعروف وصُحيمة صيغته الأنثوية[3].

١- من المتفق عليه بشكل عام أنه لا يوجد أي علاقة البتة بين اسم دومنا واسم دومينا اللاتيني. انظر E.W.Lane في القاموس العربي - الإنجليزي، الكتاب الأول، الجزء الثالث، الصفحة ٩١٦عن المضامين المختلفة للاسم العربي دمنه ذو الصلة باللون الأسود. إذ إن الصيغة غير المصغرة من هذا الاسم العربي البائد: دُمَينة، هو في الحقيقة غير واضح.

٢- انظر أحمد راتب النفاخ في "ديوان ابن الدمينة " الذي صدر في القاهرة عن مجموعة قصائد ابن الدمينة، لتجد مناقشة الاسم الأنثوي للشاعر في الصفحة ١١ من الديوان.

٣- انظر Lane في الكتاب الأول، القسم الرابع، الصفحة ١٣٢١، عن المضامين المتعددة لاسم: أصهم، صهيم. فمن الجدير ملاحظته أن اثنين من الأسماء العائلية للإمبراطورتين؛ دومنا

٤- من المحتمل جداً أن اسم ماميا هو مامة/ماما (بمد الألف الأولى)، وهو الأقرب إلى ما يدل عليه معناه العربي. وهو قديم يشهد بالاسم الكامل للشخصية العربية قبل الإسلامية، كعب بن مامة الذي تنسبه كنيته إلى أمه على غرار اسم ابن الدمينة العائد إلى أمه أيضاً في ابن الدمينة[1] .

من الطبيعي أن يكون احتفاظ هذه الإمبراطورات بالأسماء العربية مهماً لأنها مرتبطة بمناقشة مشكلة الهوية العربية لهذه الأمومية العربية المفخمة في القرن الثالث الميلادي.

إن الجذور والأسماء المرتبطة بالإمبراطورات السيفيرانيات الثلاثة: دومنا / دومنة، ميسا / ميسة، وسوأيمياس/ سمية، معروفة بالعربية كـ: دمن، ميس، صحم وصهم أو سهم على التوالي. وتظهر هذه الأسماء ضمن كتاب لانكستر هاردنغ "فهرس وتوافق الأسماء العربية والمخطوطات قبل الإسلام"، صدر في تورنتو عام ١٩٧٠م، الصفحات ٢٤٣، ٥٧٦، ٣١٢، ٣٢٤.

وسوأيمياس/ سومياس، تكون أو قد تكون مرتبطة باللون الأسود، وهذا يعيد إلى الذاكرة الحجارة الحمصية السوداء (الحجارة البازلتية السوداء).

١- عن كعب بن مامة، انظر "المفضليات" تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الذي صدر في القاهرة عام ١٩٦٣م، المجلد الأول، الصفحة ٢١٧ .

الفصل الرابع

الاتصالات والإسهامات الثقافية

ربما ألقت الفصول الثلاثة السابقة ضوءاً كافياً على المظاهر السياسية والعسكرية للعلاقات العربية الرومانية في القرون الأربعة أو نحو تلك التي مضت من تاريخ استقرار نظام بومبي وحتى حكم دقلديانوس.

تهدف المناقشة، بإيجاز شديد، التعرف على مشكلات العلاقات العربية - الرومانية في هذه القرون وقياس آفاقها كمقدمة لفهم أفضل لهذه العلاقات في الفترة البيزنطية[1] . كما ركزت الفصول الثلاثة السابقة على السمات والمظاهر السياسية والعسكرية لتلك العلاقات. ويبقى القليل من الملاحظات الموجزة لإلقاء الضوء على بعض المظاهر غير السياسية وغير العسكرية التي كانت موجودة آنذاك.

١- اجتازت الشخصيات العربية التاريخية خلال هذه القرون الأربعة المسالك الرومانية[2]،إذ تخفى الكثير منها وراء أسماء يونانية ورومانية، لكنهم مع ذلك كانوا معروفين كعرب. وكان أكثرهم بروزاً وشهرة، مع افتتاح الفترة الرومانية، هو بدون شك الأدومي هيرودس الكبير الذي كان معروفاً للغالبية بسبب ترافقه في الأناجيل الأربعة

١- هدفت هذه الفترة إلى بناء هيكل من الداخل أيضاً. وقد يتم مناقشة مشاكل وتفرعات هذه القرون الأربعة بشكل تفصيلي أوسع مستقبلاً.

٢- انظر مانفريد واز Manfred Waas في "الخدمة في الجيش الروماني" لمعرفة المزيد عن
Germanen im röischen Dienst, Habelts Dissertaiondrucke, Reihe Alte ،Geschichte, Heft 3, ed.H. and J. Straub. Bonn, 1971.
الألمان الذين اجتازوا المسالك الرومانية في القرن الرابع. إذ يوجد متسع لعمل مماثل عن العرب في خدمة روما.

الأولى مع الميلاد ومذبحة الأبرياء.ولو لم يكشف عنه جوزيفوس لبقي مكفناً بسوء السمعة التي ترويها قصة الإنجيل، إلا أن هذا المؤرخ اليهودي حافظ على سجل السيرة الاستثنائية لهذا الأدومي العربي[1]، الذي إضافة إلى حصافته السياسية وكفاءته العسكرية كان واحداً من القوى الثقافية لمدة طويلة من الزمن في تاريخ المشرق. وقد انخرط فيلهلين وفيلورهومايوس Philorhomaios ،Philhellene ، خاصة الأول، في الثقافة اليونانية وحاول أن ينشرها في قصره وفي الشرق بطرق شتى من خلال الدائرة الأدبية اليونانية التي أحاط نفسه بها، ومن خلال بناء ملاعب سباقات الخيل والمسارح والمدرجات. وكانت هباته كثيرة في اليونان والمشرق اليوناني، كما أنه كان مميزاً في تمثيل رئاسة الألعاب في أولمبيا، خاصة أن هذا التمثيل كان مناسباً لواحد كان نفسه رياضياً عظيماً. لقد كانت مساهمته البارزة في فلسطين نفسها كونه كان بناء مدن عظيماً ترافق اسمه مع مدن؛ كقيصرية وسيباستي Caesarea and Sebaste، وفوق كل ذلك، إعادة بناء وتوسيع وتجميل بناء الهيكل العظيم في القدس.

استمرت الشخصيات العربية البارزة في مساهماتها في التاريخ الروماني خلال القرون الثلاثة التي انتهت بعد هيرودس. وقد كتب عن هذه الشخصيات التي عاشت في القرن الثالث عندما أصبح العرب يشكلون عاملاً مهماً في التاريخ الروماني. لكن، وبالرغم من أهمية السلالة السيفيرانية الحاكمة، سواء كانوا عرباً أو أنصاف عرب، وماركوس جوليوس فيليبوس الذي نال الوشاح الأرجواني الروماني، تبقى أهم شخصية تاريخية أغلقت بها الفترة الرومانية ليست لأحد غير أذينه حاكم تدمر، الذي ساوى هيرودس الكبير عند استهلال الفترة الرومانية، إلا أنه لم يكن- في بعض صفات النشاط والطاقة والقوة البدنية والقسوة- يضاهي سابقه ونظيره الآدومي. ولسوء الحظ لم يحظ أذينه بمؤرخ مثل المؤرخ اليهودي جوزيفوس الذي أرخ لهيرودس، ليؤرخ

١- يمكن فهم اشمئزاز المؤمنين بالعهدين القديم والجديد من هيرودس الذي لم يقدم هدفاً سهلاً لمؤرخه، انظر فصل موميغليانو Momigliano المتوازن في "تاريخ كمبريدج القديم"، المجلد العاشر، الصفحات ٣١٦- ٣٣٩، وكذلك في A. M. Jones في "هيروديو يهودا"، الذي صدر في أكسفورد ١٩٣٨م، الصفحة 28 ff.

له منجزاته ومآثره التي استخلصت من مصادر متواضعة. ومع ذلك، ومن خلال سياق صفحات "تاريخ أوغسطا"، في الفصول التي تتحدث عن الطاغيتين تريغينتا وأورليان Tyranni Triginta & Aurelian تتشكل صورة جندي عظيم في خدمة روما، محارب صحراوي صلب وشديد المراس والاحتمال يذكرنا بهيرودس العظيم، لكنه يبزه بشكل كبير في مجال واجباته العسكرية ومآثره. وكما يبدو، فقد كان حصراً جندياً استحوذت عليه فكرة الحروب والحملات الحربية على عكس هيرودس الذي كان واحداً من أعظم رسل الحضارة الهلينية في المشرق. إلا أن ما أغفله أذينه، أو لم يقم به، قامت بإنجازه زوجته وأرملته زنوبيا التي نجحت في تحرير تدمر من كونها حصناً ومدينة للقوافل فقط، فجعلت منها واحدة من أكثر المراكز الثقافية ازدهاراً في المشرق.

٢- تنوعت إسهامات عرب المشرق في مصالح ومنافع روما الإمبراطورية في هذه القرون. وأوجز الفصل السابق إسهاماتهم في المجال العسكري بالدفاع عن التخوم المشرقية ضد عرب شبه الجزيرة العربية وفي حروب روما ضد البارثيين والساسانيين. كما أن الإسهامات العربية لامست مجالاً آخر أيضاً، وهو الحياة التجارية في الإمبراطورية،التي عززها المجتمعان العربيان:الأنباط والتدمريون[١].

يبقى أن نقدم بعض التعريف للدور الذي لعبه العرب في دائرتين مهمتين أخريين معروفتين، وهما: تمدين المنطقة وجعلها حضرية، والحياة الدينية في الإمبراطورية[٢]. فقد حجب تفرق المراجع عن هذا الدور الكشف عن أهميته. لذا، تقتضي الضرورة وضع الحقائق الأساسية، مهما كانت موجزة، والتي تتعلق بكل دائرة من هاتين الدائرتين من أجل فهم وشمولية أفضل للدور العربي[٣].

١- انظرعرفان شهيد في "الجزيرة العربية قبل الإسلام" في "تاريخ كمبريدج قبل الإسلام"، المجلد الأول، الصفحات ٩- ١٢، ١٦- ١٨ عن إسهامات العرب الحميريين في الثورة التجارية في العصور القديمة.

٢- انظر الفصل الثالث- القسم الأول من هذا الكتاب عن إسهامات العرب المحتملة في السمات المهمة من التاريخ الروماني المدني، منها: تمديد قانون المواطنة إلى المناطق المحتلة من قبل الرومان.

٣- تهدف المعالجة أن تكون وصفاً سريعاً، وتهدف أيضاً إلى بناء هيكل لمناقشة مستقبلية تفصيلية كالحال بالنسبة لقضية العلاقات العربية- الرومانية السياسية والعسكرية. انظر الملاحظة رقم ١ من هذا الفصل.

أ- كانت المجموعات العربية المتعددة التي وجدها الرومان في المشرق في القرن الأول مجموعات مستقرة؛ فإما أنهم احتلوا وطوروا المراكز الحضرية التي أسسها السكان الساميون أو الهلينيون، أو أنهم هم من أسسوا هذه المدن التي وجدها الرومان قائمة[1]. وهذه المدن العربية أو التي عربت وجدت في كل مكان على البحر الأبيض المتوسط، ليس بعيداً عن شواطئه، وفي وديان الأنهار كالخابور والعاصي ونهر الأردن[2]. وإضافة إلى هذه المراكز الحضرية القائمة في الأجزاء الغربية من المشرق، فقد كانت مراكز العرب الحضرية القائمة للأنباط والتدمريين الذين ساهموا بشكل أساسي في تمدين وتحضير الأطراف العربية[3]؛ لكن الشعبين العربيين اللذين ساهما أكثر من غيرهما في تمدين وتحضير المنطقة كانا الأنباط[4] والهيروديين[1]. ولو افترضنا مع ذلك

١- لذلك شكل التأسيس الحضري العربي القائم في المشرق جزءاً من التأسيس السامي العريض الذي ساهمت به المجموعات الأصلية كالكنعانيين والآراميين والعبرانيين، والذي يجب التعرف عليه كذلك. وعلى الرغم من ظلال الشك الطبيعية على التأثيرات السامية واليونانية، استطاعت المدينة العربية أن تطور شخصيتها الذاتية الغريزية في الأشكال المعمارية وفي أشكال أخرى، كما فعلت البتراء.

٢- يمثل كتاب جونز"المدن" العمل القياسي عن المدن المشرقية، والذي قد نجد فيه الكثير من المعلومات والمواد عن المدن العربية في المنطقة في الفترتين الرومانية والبيزنطية. ويعد كتاب جونزهذا ثميناً، على وجه الخصوص، لمؤرخ محتمل لدراسة هذا الموضوع، على اعتبار أنه قد تمت مناقشة المدن العربية ليس في كونها معزولة ولكن ضمن سياق أوسع من المراكز الحضرية الأخرى، سواء كانت سامية أو هلينية.

٣- عن مدن القوافل العربية، انظر Rostovetzeff في "مدن القوافل". إذ ربما لا يزال هذا المصدر مفيداً في استعمالاته.

٤- يتوجب الاعتراف هنا بإنجازات الأنباط بتثويرالعلوم التطبيقية في منطقتهم الجافة وشبه الجافة في المشرق. فقد ميزوا أنفسهم كمزارعين ومهندسين في استخدامات المياه، مما أهلهم لتعمير مثل هذه المناطق بشكل كثيف كحوران والنقب الجافة. ألقي الكثير من الضوء حديثاً على إنجازات الأنباط في النقب: انظر، السيرة الذاتية المفيدة لأفراهام نجيف Avraham Nagev في مؤلف د.غراف "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ٢٤. عن وجهة النظر المؤيدة للأنباط، ارجع إلى "الجغرافيا" لسترابو، المجلد السادس عشر،٤ ، ٢١، ٢٦، وكذلك إلى "مكتبة التاريخ"، المجلد التاسع عشر، الصفحات ٩٤- ٩٧ لديودورس/ ثيودور الصقلي.

من أحدهم أن يشير إلى مدينة طورها العرب إلى مركز ثقافي رئيسي في المشرق، لما كانت البتراء أو بصرى، أو تدمر، بل (الرُها) أديسا[2]؛المدينة التي لم يؤسسوها، بل طوروها تحت حكم الأبجريين كمركز ثقافي عظيم[3] للساميين في المشرق نافس المركز الثقافي اليوناني في أنطاكية.

ب- كان الإسهام العربي مهماً بما يكفي خلال التاريخ الوثني في الفترة الرومانية، إذ بلغ هذا الإسهام ذروته خلال حكم إلاغابالوس السيفيراني الذي نصب إله - الشمس العربي في روما نفسها. وبالرغم من أن عبادة هذا الإله لم تدم لفترة طويلة، إلا أنها شهدت انبعاثاً فيما بعد في نفس القرن خلال فترة حكم أورليان.

شهد القرن الثالث نفسه إسهامات أكثر أهمية من العرب لمصلحة ذلك الدين الذي بدأ بتأسيس نفسه كدين دولة للإمبراطورية في القرن الرابع. فأيدت جوليا مامية الإمبراطورة السيفيرانية الديانة المسيحية، وكذلك فعل ابنها الإسكندر سيفيروس. لكن الديانة المسيحية بلغت شأناً أعلى في القرن الثالث خلال حكم سيد

١- عن منجزات هيرودس الكبير، انظر موميغليانو في "تاريخ كمبريدج القديم"، المجلد العاشر، الصفحة ٣٢٨، وعن منجزات ابنه انظر آي. يوناح Avi-Yonah في "الأرض المقدسة"، الصفحات ١٠٤- ١٠٥.

٢- من أجل العمل القياسي، انظر J.B. Segal في "أديسا، المدينة المباركة"، الذي صدر في أكسفورد عام ١٩٧٠م.

٣- كانت المراكز الحضرية المهمة التي أنشأها العرب في الأزمنة الرومانية مغايرة بشكل حاد مقارنة مع المراكز الحضرية التي أنشؤوها في الفترة البيزنطية؛ فكانت غالبيتها محصورة بمجموعة واحدة من العرب "الاتحاديين foederati"، وشكلت الحيراس/ الحيرة hiras أمكنة للمخيمات العسكرية لهؤلاء، فتطورت المدن العربية الصغيرة في القرن الرابع وفي القرنين التاليين. انظر عرفان شهيد في "أصل كلمة حيرة" في "الدراسات اللغوية التي ألقاها بمناسبة ذكرى ريتشارد سليد هاريل"، التي صدرت في واشنطن العاصمة عام ١٩٦٧م، في الصفحات ١٦٣- ١٧٣. من أجل فائدة القارئ نذكر أن مقال شهيد هذا أعيد طبعه في "السرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، القسم الثالث. من الجدير بالذكر أن العرب في العصر الإسلامي بنوا مدينة واحدة مهمة فقط في المنطقة؛ الرملة في فلسطين؛ التي بناها الخليفة الأموي سليمان بين عامي ٧١٥- ٧١٧م؛ وجعلها عاصمته.

العالم؛الإمبراطور فيليب العربي، وزوجته مارشيا أوتاشيليا سيفيرا. فقد كان فيليب سابقاً لقسطنطين[1].

وعلى الرغم من أن إسهامات هؤلاء الحكام منحدري السلالات كانت في صالح المسيحية، إلا أن هذه الإسهامات كانت قصيرة الأجل،وبالتالي كانت أهميتها محدودة خاصة عند مقارنتها بمثيلاتها في فترة حكم قسطنطين في القرن الرابع. لكن الذي لم يكن محدود الزمن والأهمية كان إسهام السلالة الإقليمية الحاكمة للأبجريين العرب في الرها[2]. وقد كان تحول أبجر الثامن[3] عام ٢٠٠ م إلى الإيمان المسيحي من أكثر المسائل أهمية لمصلحة الديانة المسيحية، خاصة في المشرق المسيحي، إذ استمرت آثار هذا التحول على مدى العصور. وجعل هذا التحول من مدينة أديسا مباشرة عاصمة للأسرة العربية الحاكمة من الأبجريين،فصارت حصن الإيمان المسيحي الحصين في المشرق السامي ومركزاً عظيماً لانتشارها فيما بين النهرين[4]. واستمر هذا المركز

١- أسهم العرب بنصيبهم من الشهداء في هذه الفترة الرومانية. وكان الشهيدان المعروفين كوزماس وداميان، الأطباء النصراء اللافضيين، المدفونين في أديسا من أكثرهم شهرة. عن هؤلاء الشهداء وعن الثنائيات الشعرية الإغريقية في Menaea التي تدل عليهم وعلى إخوانهم من أصل عربي، انظر المجلد الأول، الصفحة ٦٩١ من "قاموس السيرة المسيحية"، تحقيق وتحرير W. Smith & H. Wace، صدر في نيويورك ١٩٧٤م.

٢ - انظر Segal في " أديسا / الرها" ، الصفحات ١٧- ٣٥ عن الأبجريين والأوسروينين.

٣- لقب أبجر التاسع بأبجر الكبير حسبما أورده A.R. Bellinger and C.B Welles . إلا أن Segal حققه في مؤلفه "أديسا"، الصفحة ١٤، الملاحظة الهامشية الأولى، من أنه كان الأبجر الثامن وليس التاسع .

٤- لهذا تساوت مع مدينة أنطاكية اليونانية المركز المسيحي الأخر في المشرق. وينعكس ترافق أديسا كمدينة مسيحية مع الأبجريين عند يعقوب الساروجي في "عظة دينية عن الشهيد حبيب"، حيث يشير إلى أديسا "كابنة الأبجر"؛ عن ذلك عد إلى "ما قبل أباء نيقين"* إصدار غراند رابدز في ميتشيغان، المجلد الثامن، الصفحة ٧١٢.

* نيقين Nicene نسبة إلى مدينة نيقيا Nicaea في آسيا الصغرى، ونسبة إلى المجمع الكنسي الأول الذي انعقد فيها عام ٣٢٥م. وقد انعقد هذا المجلس مرتين؛الأولى عام ٣٢٥م تحت رعاية البابا سيلفستر الأول لمناقشة الهرطقة الأريانية (وهي معتقدات أريوس من الإسكندرية في القرن الرابع الذي درّسَ أن السيد المسيح لم يكن من نفس المادة الإلهية، ولكن من أفضل المخلوقات

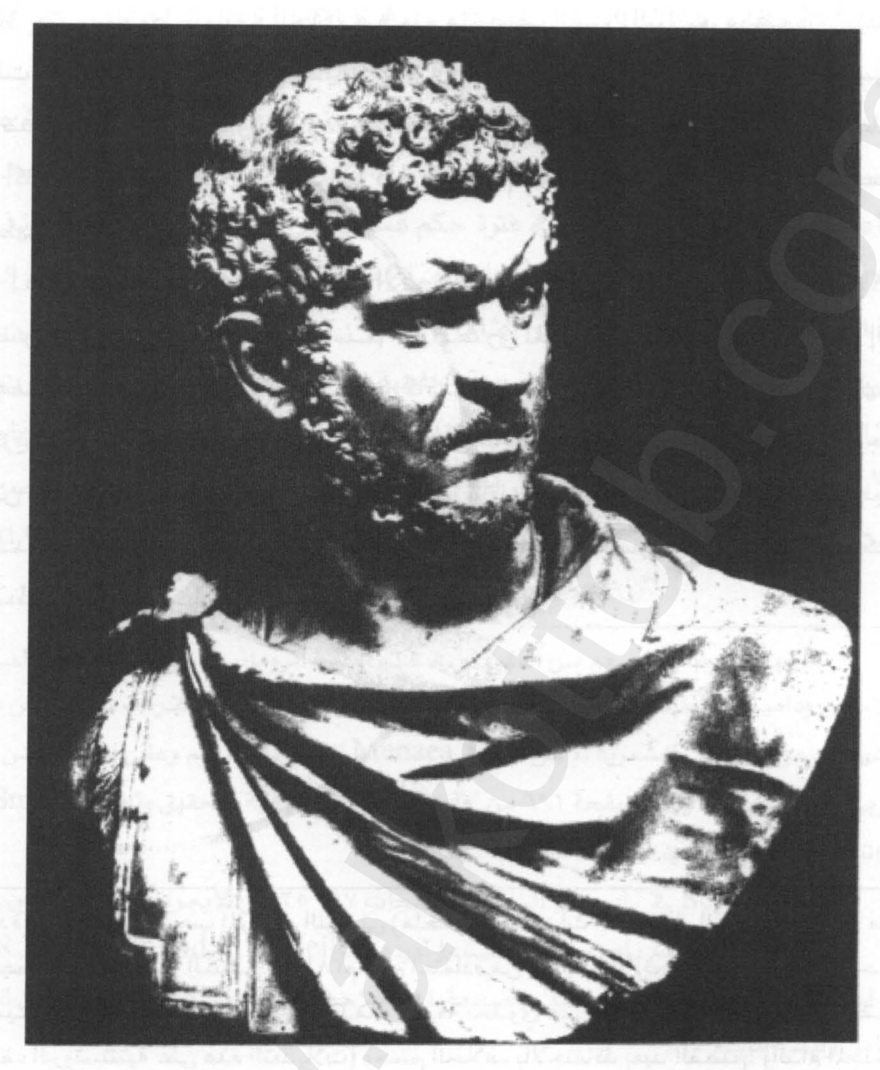
طويلاً حتى سقوط العائلة الحاكمة قرب منتصف القرن الثالث. ورغم أن أديسا سقطت كمدينة مستقلة، إلا أن مدينة عربية أخرى بدأت بالصعود بعد مدة قصيرة على ضفاف الفرات الأسفل، ألا وهي الحيرة[1]، التي مارست وظيفة مماثلة لأديسا على مدى أكثر من ثلاثة قرون بين عرب ما قبل الإسلام[2]، وأصبحت ملاذاً لرجال الكنيسة المضطهدين في إيران.

لذلك،كانت أديسا والحيرة قبل الإسلام مركزين رئيسيين عربيين من المراكز الحضرية اللذين مارسا تأثيراً واسعاً في المشرق المسيحي السامي، بالإضافة إلى تأثيرهما على العرب. وفي كلا الحالتين كانت المسيحية عاملاً حاسماً في فعاليتهما كمركزين من مراكز الإشعاع الثقافي. ورغم أن الحيرة لم تكن في المشرق، بل خارجه وضمن مدى التأثير الفارسي، إلا أنها مارست تأثيراً قوياً في مجرى الأحداث الدينية والأحداث الأخرى، فقد أثرت في العرب الاتحاديين المسيحيين في فترة الحكم البيزنطي في المشرق على مر القرون الثلاثة لوجودهم.

الموجودة)، وخلص إلى سحب المرسوم النيقيني (ملخص للمعتقدات المسيحية، الذي عدل وأكد من قبل مجمع القسطنطينية الكنسي عام ٣٨١م، وتم اعتماده من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في حين أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية استخدمت صيغة تحتوي على فقرة إضافية،... وقد وافقت الطوائف البروتستنتية على هذه التعديلات) وحسم الخلاف بالاحتفاظ بعيد الفصح؛ والتأم المجلس في المرة الثانية في عام ٧٨٧م تحت رعاية البابا أدريان الأول لمناقشة استعادة الأيقونات – المترجم.

١- انظر مقالة عرفان شهيد؛ الحيرة في "الموسوعة الإسلامية "،المجلد الثالث، الصفحات ٤٦٢- ٤٦٣.

٢- استمرت حتى الفترة الإسلامية التي كان من أكثر شخصياتها العربية المسيحية تميزاً: حنين بن إسحاق العبادي في القرن التاسع؛ فقد كان من أهم ناقلي العلوم الإغريقية القديمة إلى العرب. من أجل ذلك، انظر G.Strohmaier في "حنين بن إسحاق العبادي". في الموسوعة الإسلامية، المجلد الثالث، الصفحات ٥٧٨- ٥٨١. وللزيادة عن أديسا والحيرة، انظر الملاحظة الهامشية رقم (٢) من الفقرة (هـ) في القسم الأول تحت عنوان (حوليات التاريخ) في الفصل السابع من هذا الكتاب.



Alinari/Editorial Photocolor Archives, Inc

Bust of Emperor Caracalla
Naples, National Museum, Farnese Collection

صورة نصف رأسية للإمبراطور كراكلا
الموجودة منحوتتها في المتحف الوطني في نابولي – مجموعة فارنيس

الجزء الثاني

الدراسات
المتعلقة بمواضيع الكتاب



الفصل الخامس

لائحة المقامات/ الوظائف المهمة

(الوثيقة المهمة)

Notitia Dignitatum = ND

القسم الأول

تعد لائحة المقامات[1] وثيقة ثمينة لتقييم الإسهامات العربية في الجيوش البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس. لكن تراكب تأسيس هذه الإسهامات فوق بعضها في الفترة الرومانية أمكن تمييزه وتمت مناقشته، "ولا يوجد سبب جيد للاعتقاد بأن جيوش ولايات الحدود الشرقية من طيبة* إلى أرمينيا ... بقيت كما ذكرتها الوثيقة وكما تركها دقلديانوس[2]. لهذا، وبالرغم من تاريخ تأليفها، وكونها تعكس الأوضاع التي تم الحصول عليها بعد قرن أو نحوه من موت دقلديانوس، يمكن استخلاص المعلومات الكافية من الوثيقة لتشكيل صورة واضحة مقبولة لطبيعة ودرجة الإسهام العربي في الفترة الرومانية وفي مستهل الفترة البيزنطية، والذي يجعل

١- حقق O. Seek لائحة المقامات،فصدرت في برلين عام ١٨٧٦م.انظر G. clemente في "لائحة المقامات" التي صدرت في Cagliari عام ١٩٦٨ . انظر أيضاً دراسة الوثيقة في كتاب A.H.M.Jones"الإمبراطورية الرومانية المتأخرة"،التي صدرت في نورمان- أوكلاهوما عام ١٩٦٤م، في المجلد الثاني، الصفحات ١٤١٧- ١٤٥٠ . انظر أيضاً مدخل الدورية RE، العدد ٧٧ الذي صدر عام ١٩٣٩، المجموعات ١٠٧٧- ١١١٦من لائحة المقامات. من أجل توجيه السرد الوثائقي للائحة ND، انظر كليمنت، الصفحات ٣٨٥- ٣٩٧،انظر كذلك الملاحظة الأولى في القسم الثالث في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

* طيبة اسم لمدينتين قديمتين:واحدة منهما كانت في مصر القديمة،والثانية في دولة بوئيوشيا Boeotia في اليونان القديمة. والمقصود هنا مدينة طيبة (الأقصر حالياً) المصرية على اعتبار أن النص يتحدث عن الحدود الشرقية للإمبراطورية – المترجم.

٢- انظر جونز في "الإمبراطورية الرومانية المتأخرة"، في المجلد الثاني،الصفحة ١٤٢٧ .

من هذا الكتاب "روما والعرب" بجزء منه مقدمة استهلالية[1]. وسيتبين من خلال هذا الفصل أن تاريخ غالبية الوحدات العربية (العسكرية) المذكورة في هذه الوثيقة يعود إلى العصور الرومانية.

أولاً

من المفهوم أن الوحدات العربية في جيش الحدود البيزنطي تمركزت ليس بعيداً من شبه الجزيرة العربية التابعة لمنطقة المشرق وفي مصر[2] إذ لا يشار دائماً لهذه الوحدات العربية بوضوح بالوحدات الحدودية، وتعد هذه واحدة من المشكلات التي تقدمها الوثيقة/ لائحة المقامات. إذ تقع الإشارات إلى العرب في الفئات التالية:

أولاً- أشير إلى بعض الوحدات بشكل واضح بمصطلح أو تعبير: العرب:

أ- الجناح العربي الثالث في التخوم المصرية (انظر المشرق*، الفصل ٢٨. ٢٤ من اللائحة).

١- يبقى العمل المعياري للحديث عن جيش الإمبراطورية الرومانية المتأخرة هو:

R.Grosse, Römische Militärgeschichte von Gallienus biz zum Beginn der byzantinischen Themenverfass Themenverfasungs

(التاريخ العسكري الروماني من غالينيوس حتى بداية الحقبة البيزنطية) الذي صدر في برلين ١٩٢٠م - والذي سيطلق عليه تسمية الجيش الروماني من هنا حتى نهاية العرض في الكتاب. انظر المجلد الأول في " الإمبراطورية الرومانية المتأخرة"، الفصل السابع عشر، الصفحات ٦٠٧- ٦٨٦ لمعالجة أحدث لنفس الموضوع. عن الجيش الروماني في القرن الرابع انظر كتاب د. هوفمان "تحركات الجيش الروماني في تاريخ متأخر، لائحة المقامات، ودراسة المخطوطات"، الذي صدر في

Das spätrömische Bewegungsheer und die Notitia Dignitatum, Epigraphische Studien

دوسلدورف عام ١٩٦٩م، في المجلدين الأول والثاني، مع سرد في المجلد الثاني، الصفحات ٢٢٧- ٢٣٨. انظر "الجيش الروماني" لمؤلفه R. Grosse الذي مر ذكره للتو في الصفحات ٢٢١- ٢٥٨، ٢٥٩- ٢٧١، وفي "الإمبراطورية الرومانية المتأخرة" لمؤلفه جونز، الصفحات ٩٧ - ١٠١، ١٩٩- ٢٠٤ لمعرفة المزيد عن الجيش الروماني في القرنين الرابع والخامس.

٢- انفصلت مصر عن المنطقة المشرقية حوالي ٣٨٠- ٣٨٢م، وشكلت منطقة مستقلة تلقى حاكمها لقب العظيم Augustalis .

* يشير المشرق بين الأقواس إلى عنوان المشرق في "لائحة المقامات" - المترجم.

ب- الكتائب العربية الخمسينية بين النهرين/ ميزوبوتاميا (انظر المشرق، الفصل ٣٦. ٣٥ من اللائحة).

ج- كتائب العربية الخصيبة الثلاثية في الجزيرة العربية (انظر المشرق، الفصل ٣٧. ٣٤ من اللائحة).

ثانياً- وحدات أخرى عرفت بمصطلح؛ السرقيني/ السرقينيون (Saracens):

أ- الفرسان السرقينيون الوطنيون في فينيقيا (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٧ من اللائحة).

ب- الفرسان السرقينيون في فينيقيا (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٨ من اللائحة).

ثالثاً- أشير إلى بعض الوحدات بأسماء قبائلها التي اندمجت بها :

أ- الفرسان السرقينيون الثموديون[١] في الثغور المصرية (انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ١٧ من اللائحة).

ب- كتائب الأتوريون الثانية في الثغور المصرية (انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ٤٤ من اللائحة).

ج- الفرسان الثموديون الإليريشيون في فلسطين (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٢ من اللائحة).

رابعاً- عرفت بعض الوحدات بأسماء مدنها :

أ- وحدة الفرسان المدرعة التدمرية الاحتياطية تحت قيادة آمر الجيش في المشرق (انظر المشرق، الفصل السابع . ٣٤ من اللائحة).

ب- جناح الفرسان التدمري الثامن في طيبة (الأقصر)، (انظر المشرق، الفصل٣١. ٤٩ من اللائحة). ويمكن الاستدلال على الشخصية العربية لوحدات أخرى في اللائحة حيث تتراوح من الممكن إلى المحتمل إلى الغالب المؤكد :

١- الوحدات العربية المحددة الموصوفة بالوحدات الوطنية من أهل البلاد الأصليين؛ ومثال على ذلك، هؤلاء في ولاية العربية (انظر المشرق، الفصل ٣٧، ١٨-

---

١- من أكثر المصادر المحددة لمجموعة عربية في الوثيقة المهمة، لأنها تذكر الاسم العام، سرقيني، والقبيلة المحددة، ثموديني/ ثمود.

٢٠). إذ يمكن أن يكون هؤلاء عرباً فقط، وذلك على خلاف بعض الوحدات التي وصفت بالوطنية من أهل البلاد الأصليين والتي ليس بالضرورة أن تكون عربية[1].

٢- توصيف وحدات من خلال وظائفها، كـ:

(أ) الفرسان الخيالة.

(ب) الرماة.

وعادة يكون الرماة والخيالة مشتركين معاً[2] في المهمات القتالية، وفي بعض الأحيان يكونون وطنيين من أهل البلاد الأصليين[3]، ومن المحتمل أن هذا أعطى الشخصية العربية لبعضٍ من هذه الوحدات. وقد أسست هذه الاحتمالية بناء على ملازمة الحصان في الجزيرة العربية، وملازمته لهم في المناطق المتاخمة لشبه الجزيرة العربية وفي مناطق داخل الحدود ممن كانت سحناتهم العرقية عربية. وقد توسعت هذه الملازمة إلى استعمال القوس من قبل حملة الأقواس الفرسان الذين كان التدمريون من أشهرهم[4]. وأخيراً: (ج) راكبي الجمال (الهجانة) من المحاربين العرب، إذ يعد الجمل حيواناً عربياً مميز الوضوح[5]. ومن المحتمل أن الوحدة التي كانت في

١- كمثال على ذلك: هؤلاء تحت قيادة أمير طيبة(الأقصر)،(انظرالمشرق،الفصل ٣١ .٢٥- ٢٩).

٢- مثال: الفرسان الرماة، كما في سوريا (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ٢١- ٢٢).

٣- مثال:الفرسان الرماة من أهل البلاد الأصليين،كما في سوريا(انظرالمشرق،الفصل ٣٣ . ١٨- ٢٠).

٤- عن رماة النبال التدمريين في خدمة الجيش الروماني في الدانوب وفي الصحراء، انظر ستاركي في "تدمر"، الصفحات ٣٦، ٤٣- ٥٢، انظر ألتهايم وستيهل "العرب في العالم القديم"، Altheim and Stiehl, Die Araber in der alten Welt، في الصفحات ٦٦١- ٦٧٧ من المجلد الأول،ويضم الأخير مراجع عن مجموعة عربية أخرى من رماة النبال، وهم الأتوريون.

٥- ظهرت الجمال العربية وراكبيها المحاربين العرب في الجيش الروماني كـ :

أ- قافلة كبيرة من الإبل المحملة بالحبوب ترافق جيش كوربولو Corbulo من الفرات إلى أرمينيا (انظر تاسيتوس في الحوليات ١٥، الفصل الرابع عشر)؛ فربما كانت هذه جمال عربية.

ب- ظهرت أجنحة الجمال العربية وراكبيها المحاربين التدمريين في القرن الثاني؛ انظر ستاركي في "تدمر"،الصفحة ٤٣، أو تحقيق ستاركي في "صناعة مراجع تدمر، X.128 "،الذي صدر في دمشق عام ١٩٤٩م .

ج- لكن أفضل الوثائق عن راكبي الجمال المحاربين العرب في جيش روما أتت من أوراق البردي التي تتحدث عن فرقة الخيالة التدمرية العشرين في القرن الثالث. انظر R.O.Fink في "السجلات

فلسطين (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٣٣) كانت عربية، وربما كان هؤلاء أيضاً موجودين في طيبة (الأقصر) المصرية (انظر المشرق، الفصل٣١. ٤٨، ٥٤، ٥٧).

ثانياً

تصنف الوحدات العسكرية العربية، تكتيكياً أو وظيفياً، في لائحة المقامات كالتالي:

١- الفرسان[1]: هكذا ورد اسمهم في لائحة المقامات؛ حملة الرايات، الفرسان الأعلى رتبة عسكرية، ومنهم الفرسان السرقينيون (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٨). والكثير من هؤلاء الخيالة كانوا من قوات التعزيز والمساندة القتالية[2].

٢- غالباً، تكون فرق الفرسان أيضاً خيالة رماة، إنهم الفرسان الخيالة رماة السهام ، ومن أمثلتهم؛ الخيالة الرماة (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٤).

٣- جيش الفرسان التدمري الاحتياطي المدرع الأكثرتركيباً وتعقيداً:المشكلة وحداته كشكل مثلثي الرأس (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٧)، فكتائب الوحدات المثلثية الرأس[3] هي التشكيلات الجديدة- الأوتاد- وأفرادها من الخيالة المدرعة[4]. وخاصة الخيالة المدرعة بالجنازير والصفائح الرقيقة التي تشكل درع الفارس الخيال، وقد كان ذلك من صفات جيوش زنوبيا .

العسكرية الرومانية على أوراق البردي؛مقالات فقهية للجمعية الأمريكية لفقه اللغات" التي صدرت في كليفلاند عام ١٩٧١م. انظر الفهرس، الصفحة ٥١٢ تحت عنوان"راكبي الجمال المقاتلين"، الذين ينتمي غالبيتهم العظمى إلى كتائب الفرقة التدمرية العشرين. ويمكن تمييز الكثير من الأسماء العربية، حتى بعد أن اتخذ هؤلاء العرب الهجانة المقاتلون ألقاباً لاتينية نبيلة.

١- انظر "الجيش الروماني" لغروس في الصفحات ٥٣- ٥٤ .

٢- انظر غروس في "الجيش الروماني"، الصفحات ٤٩ - ٥٠، وكذلك H.M.D.Parker في "فيالق دقلديانوس وقسطنطين" في مجلة "الدراسات الرومانية"، العدد ٢٣، الصفحة ١٨٨، الذي صدر عام ١٩٣٣ .

٣- انظر غروس في "الجيش الروماني"، الصفحات ٥١- ٥٣ .

٤- انظر J.W.Eadie في "تطور فرق الخيالة المدرعة في الجيش الروماني"، في مجلة الدراسات الرومانية، العدد ٥٧، في الصفحات ١٦٩- ١٧٣ . انظر أيضاً A. D. H Bivar في "تجهيزات وتكتيكات فرق الفرسان على جبهة الفرات" في أوراق الناشر الأمريكي دمبارتون أوكس، العدد ٢٦ الصادر عام ١٩٧٢م، الصفحات ٢٧٣- ٢٩١ .

٤- تشكل أجنحة الفرسان الأقل مستوى[1] عدداً قليلاً فقط؛اثنتان منها في التخوم المصرية وفي طيبة/الأقصر(المشرق، الفصل ٢٨ . ٢٤، الفصل٢١ . ٤٩)، وواحدة في فينيقيا ربما تكون عربية (المشرق، الفصل ٣٢، ٣٨).

٥- كتائب المشاة[2] :ثلاثة منها عربية بالتأكيد ؛واحدة منها على التخوم المصرية (انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ٤٤)، كتيبة أخرى في ميزوبوتاميا (بين الرافدين)، (انظر المشرق، الفصل ٣٦. ٣٥ من اللائحة)، وواحدة أخرى في الجزيرة العربية (انظر المشرق في لائحة المقامات ٣٧. ٣٤).

٦- أخيراً،الإبل التي تحمل المؤن،وعلى ما يبدو فقد كانت وحدة جناح الجمال التي تمركزت في فلسطين عربية (انظر المشرق في الوثيقة المهمة، الفصل ٣٤).

يتضح من دراسة الفرق العسكرية العربية من خلال عرض لائحة المقامات أن الغالبية العظمى من الوحدات التكتيكية العربية كانت من كتائب الخيالة ذات المستوى الرفيع، وفي بعض الأحيان كانت من كتائب الفرسان الرماة.

ثالثاً

مكن تمديد كراكلا ٢١٢م لمرسوم المواطنة في المناطق الرومانية المحتلة الكثير من العرب الحصول على حق المواطنة الرومانية، ولذلك كانت خدمتهم في الجيوش الرومانية كمواطنين في الدولة الرومانية. وقد ناقشت اللائحة في عرضها الوحدات العربية في الجيوش الرومانية على أساس مواطنتهم في الدولة[3]. لكن انضمام المواطنين الرومان من أصل عربي إلى الفيالق الرومانية التي تمركزت في منطقة الأسقفية المشرقية لم يكن واضحاً تماماً[4].

١- انظر غروس في "الجيش الروماني"، الصفحات ٤٥- ٤٧.

٢- انظر المصدر نفسه في الملاحظة السابقة رقم ٣، الصفحات ٤٢- ٤٥.

٣- عن العرب الأصليين الذين عاشوا على حدود هذه المناطق، انظر دوسو في "الاختراق والتسلل"،الصفحة ١٥٧ :كامل الفصل المعنون "روما والعرب"، الصفحات ١٤٧- ١٥٨المتصلة بالموضوع.

٤- إن وصف "Legio Tertia Cyrenaica فرقة سيرنيقا العسكرية الثالثة" في "تاريخ أوغستا، سيفيروس ١٢ . ٦"، كفرقة عربية يجب أن يشار إلى تمركزها في ولاية العربية، وليس إلى تكوينها العرقي.

يثير استخدام المصطلح/تعبير سَرَقيني لوصف بعض الوحدات العربية في اللائحة مشكلة.فأصبح السرقينيون المصطلح/التعبير الفني للعرب حلفاء البيزنطيين في القرن الرابع، وأفضل من مثلهم في هذا القرن كانت الملكة ماقيا[1] . ويترافق استعمال تعبير سرقيني في القرن الرابع في أعمال المؤرخين الكنسيين[2] بالتزامن مع تأسيس العلاقات العربية - البيزنطية الجديدة. وينعكس ذلك في رقيم نمارا عن امرئ القيس، خاصة في جزئه الذي يتحدث عن القبائل العربية كقوات من الخيالة في خدمة روما[3].وقد كانوا بالتأكيد عرباً اتحاديين. ومن الصعب القول ما إذا كانت وحدات السرقينيين في اللائحة كمواطنين في الدولة الرومانية أم لا. إذ استعمل هذا التعبير/ المصطلح بمعناه العرقي الصرف، وذلك بعد استعماله خلال القرن الرابع الميلادي الذي كان يشار فيه إلى العرب كسرقينيين. ومن المحتمل أن هذه الوحدات انخرطت، بوقت متأخر[4] عن هؤلاء الذين لقبوا بالعرب، في

١- عن هؤلاء،انظر المؤرخ زوسيموس، القسم الثالث، الفصل الثامن- القسم الثالث من هذا الكتاب. لقب السرقينيون في القرن الرابع بالعرب السكيناتي Scenitae أيضاً، سواء كانوا أم لم يكونوا حلفاء للبيزنطيين وفي منزلة الاتحاديين (أميانوس مارقيلينوس في مصنفه التاريخي/ Res, gestae, XXII.15.2; XXIII.6,13)، وهكذا لقب العرب الذين لم يكونوا من مواطني الدولة الرومانية . إذاً، مال تعبير "العرب" إلى تسمية أولئك الذين لم يكونوا سكيناتي (بدواً رحلاً يسكنون الخيام)- سواءً في شبه الجزيرة العربية؛ كسكان فيليكس العربية (العربية الخصيبة)، أو هؤلاء داخل التخوم - بسكان ولاية العربية.

٢- ظهر مصطلح سَرقيني قبل القرن الرابع، انظر مقالة B. Moritz "سَراكا Saraka " في R . E, Zweite Reihe,I.، المجموعات ٢٣٨٧- ٢٣٩٠ . لا يوجد تفسير مرض بشكل كامل لأصل كلمة هذا التعبير/ المصطلح. وعلى أي حال قد يكون رواجها في القرن الرابع مرتبطاً بشكل جزئي بشيوعها بين المؤرخين الكنسيين الذين رأوا العرب كشعب إنجيلي انحدر من هاجر، ونتيجة لذلك أشير إليهم بالمصطلح المبتكر الجديد: الهاجريون؛ المنحدرين من هاجر. ومن الممكن أن هؤلاء المؤرخين رأوا في السرقينيين المعادل الإنجيلي السلبي لأبناء هاجر، وليس لأبناء سارة. غير أن تعبير السرقينيين كان قد ثبت كمصطلح للدلالة على العرب. وقد وجد مؤرخو الكنيسة أنه من المناسب استعمال هذا المصطلح، وبذلك تم شيوعه بالرغم من عدم صحة وتطابق معنى الكلمة المصطلح. انظر الفصل التاسع من هذا الكتاب في المناقشة التفصيلية للمصطلح / التعبير سَراقيني / سَرقيني.

٣- عن هذا المخطوط أو الرقيم، انظر عرفان شهيد في" الملاحظات اللغوية على مخطوط/ رقيم نمارا" في "مجلة الدراسات السامية"، العدد ٢٤، الذي صدر عام ١٩٧٩م، في الصفحات ٣٣- ٤٢ .

٤- استخدم نعت وصفة السَرقينيون لوحدات عسكرية في الجيش الروماني، وذلك كما ورد في القسم، وذلك كما ورد في القسم الذي يتحدث عن أورليان في "تاريخ أوغسطا، أورليان ٢٨ . ٢"، الذي تحدث عن أجنحة الكتائب السَرقينية في الجيش: ولقب أورليان وهو يحتفي بانتصاره على العرب، بالعربي وليس بالسَرَقيني، عن ذلك، انظر H.Dessau في "المخطوطات اللاتينية المختارة"، الصادرة في ثلاثة مجلدات في برلين في الأعوام ١٨٩٢ . ١٩١٦م)، رقم ٥٧٦ .

خدمة روما قبل القرن الرابع[1] الميلادي.

القسم الثاني

يمكن وبشكل صحيح قياس درجة الإسهام العربي في الجيش الروماني في القرنين الرابع والخامس، من خلال انعكاسها في سياق وثيقة لائحة المقامات،وذلك بدراسة الوحدات العربية العسكرية في كل ولاية أو إقليم، سواء كان حضورهم حقيقياً أو مفترضاً أو مشكوكاً في أمره[2] .فالمشكلة الرئيسية هي في تحديد الشخصية العرقية

مع أن الاتحاديين والسَرقينيين كانوا خاضعين للفيلارخات (رؤساء القبائل) العرب، وليس للقادة الرومان، فقد ظهر في اللائحة أن هاتين الوحدتين كانتا تحت قيادة أمير فينيقيا، وهذا يعني أنهم اعتبروا وحدات نظامية في الجيش الروماني لأنهم كانوا مواطنين رومان. وبطريقة أخرى، يمكن أن يكونوا تحت قيادة فيلارخهم/رؤسائهم القبليين أو الحضريين- إذ ترك ذلك دون التطرق إليه - الخاضعين في النهاية لأمير فينيقيا.

١- استخدم تعبير السرقيني هذا في معناه العرقي أكثر مما استعمل في معناه الاتحادي في لائحة المقامات، وهذا ربما يؤيد بحقيقة أن اللائحة هي لائحة وحدات كان أفرادها من مواطني الدولة الرومانية، لذلك، فإن العرب الاتحاديين في الدولة البيزنطية في القرنين الرابع والخامس الذين ظهروا في مصادر أخرى لم يكن محتملاً أن يظهروا في هذه الوثيقة. وهذه تتقاطع مع حقيقة أن ولاية العربية كانت مركز الاتحاديين الرئيسي، ونتيجة لذلك، كان من الواجب تسجيل وحدات السرقينيين العسكرية مع وضع الاتحاديين في اللائحة كمقيمين في الجزيرة العربية وليس فقط في فينيقيا. ويمكن تأييد هذا المنطق بالملاحظات التالية: كانت نمارا في ولاية العربية مركزاً عسكرياً رومانياً مهماً في العصور الإمبراطورية، ومع ذلك، لم تدونها الوثيقة المهمة: وهذا واضح من غيابها كالمراكز الأخرى الغائبة أيضاً في الوثيقة في هذه المنطقة وفي اللجاة / الطرخونية Trachonitis. ويتبين أن أهم تفسير طبيعي لذلك هو أن هذه المناطق التي من المتعذر بلوغها تركت لتكون تحت رعاية العرب الاتحاديين الذين عرفوا بتأسيس وجودهم هناك منذ أيام امرئ القيس عام ٣٢٨م. انظر دوسو في "تاريخ سوريا الطبوغرافي القديم والمتوسط" الذي صدر في باريس ١٩٢٧م، الصفحة ٢٦٩ . انظر أيضاً A.Poidebard في"الأثر الروماني في الصحراء السورية"، الذي صدر في باريس عام ١٩٣٤ م، الصفحات ٦١- ٦٢.

٢- وهذه مهمة على وجه الخصوص على أساس أن المصادر عن الاتحاديين العرب في القرن الخامس كانت ضئيلة. وتحتفظ لائحة المقامات بإسهامات أولئك العرب الذين اكتسبوا حق المواطنة الرومانية في ولايات المشرق.

لهذه الوحدات في منطقة الأسقفية المشرقية، التي تصفهم الوثيقة كوطنيين من أهل البلاد، وإن احتمال وجودهم هناك هو كونهم عرباً.

كان تدفق الهجرات العربية إلى الهلال الخصيب في الأزمنة القديمة حقيقة واقعة معروفة جيداً[1]. ومن خلال معرفة هذه الحقيقة كخلفية عامة يُقترح هنا أن تتم مناقشة المظهر العام للوطنيين من أهل البلاد الأصليين لكل ولاية أو إقليم بتشابكها مع ما يتصل بها من دراسة عرقية محلية من خلال المصادر المتوفرة عن هذه الولاية أو الإقليم. ويمكن التنبؤ بشكل مطلق بهذه النتائج،فيبقى البعض منها حدسياً. وهنا تنشأ عدم الثقة من واقع أن بعض المواقع العسكرية لهذه الوحدات في بعض الأقاليم لم يتم تحديدها بشكل مؤكد، وهذا قد يترك شكوكاً، سواء كان موقعاً محدداً موجوداً في المقطع العربي أو غير العربي من الولاية أو الإقليم المحدد. ويعد هذا مهماً على وجه الخصوص في الأقاليم التي تحتوي على مظاهر عرقية متعددة كما الحال في ما بين النهرين؛ دجلة والفرات، لكنه غير مهم في أماكن أخرى مثلما الحال في إقليم العربية[2]. ولذلك، من المحتمل وجود هامش من الخطأ في تحديد هوية أهل البلاد الأصليين المشرقيين كعرب، إذ قد يكون بعضهم من غير العرب، في حين أن بعض الوحدات الأخرى لم تُشمل كعرب لكنها قد تكون عربية. ولهذا السبب تم الاهتمام بالإشارة إلى درجة التأكيد أو الشك الملتصقة بتحديد الهويات الشخصية من أجل الاحتفاظ بهامش الخطأ في أدنى حدوده، وذلك من أجل تقدير النتيجة العامة عن الحضور العسكري العربي الصحيح.

---

١ - عن النصف الغربي من الهلال السوري الخصيب، انظر دوسو في "الاختراق والتسلل"، وعن النصفين الكاملين من الهلال الخصيب، انظر الأبحاث الأكثر حداثة عند ألتهايم وستيهل في "العرب في العالم القديم"، المجلد الأول، الصفحات ١٣٩ - ١٨٠ ، ٢٦٨ - ٢٧٢.

٢ - لا يوجد حتى تاريخه أي تعليق على لائحة المقامات مع خرائط تفصيلية لمواقع الوحدات العسكرية، ويبين هوفمان في كتابه Das spätromische bewegungsheer/تحركات الجيش الروماني في الفترة المتأخرة" الذي يحتوي على خرائط مفيدة تبين مواقع الفيالق العسكرية فقط، انظر E. Bocking في "لائحة المقامات"، الإصدار القديم في بون، في الأعوام ١٨٣٠ - ١٨٥٣ في مجلداته الثلاث،والذي لم يفقد فوائده بالكامل كمفسر. لكن يوجد بين يدي الطالب دارس لائحة المقامات العديد من الدراسات الممتازة عن الأقاليم والمناطق المختلفة في المشرق، وستكون هذه الدراسات متوفرة للتوزيع.

الحاكم العسكري في المشرق

(انظر المشرق، الفصل السابع- ٣٤ في لائحة المقامات)

كانت وحدات سلاح الفرسان التدمريين الأوتاد تحت إمرة الحاكم العسكري، وكان يطلق عليها[1] : جيش الفرسان التدمري الاحتياطي المدرع.

التخوم المصرية (انظر المشرق، الفصل ٢٨)

ظهرت ثلاثة وحدات عربية تحت قيادة آمر الشؤون العسكرية عرفت بـ:

١- وحدة الفرسان السرقينيون الثموديون[2]، في مجمع المحاربين القدماء(انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ١٧).

١- انظر الملاحظة الموجودة ضمن الفقرة رقم (٣) من (ثانياً) في هذا الفصل، عن الأوتاد في الوثيقة المهمة، انظر كذلك E. Nischer في "إصلاحات دقلديانوس وقسطنطين في الجيش في "مجلة الدراسات الرومانية، العدد ١٣، الذي صدر عام ١٩٢٣، الصفحة ٢٩ والصفحة ١٧، ومنها يستدل المؤلف على وجود كتائب أوتاد مدرعة أخرى من التدمريين الفرسان المعروفين بوحدات الفرسان المدرعة التدمرية: الأولى على شكل وحدات مدرعة مثلثية الرأس.

The cuneus equitum priorum clibanariorum Palmyrenorum

٢- من أجل هذه المجموعة القبلية، انظر فان دن براندن في "تاريخ ثمود" الذي صدر في بيروت عام ١٩٦٦، وانظر أيضاً Bocking في المجلد الأول، الصفحة ٢٥٩ من "اللائحة". كما ظهر الثموديون في مكان آخر في الوثيقة، في فلسطين، لكن لم يشر إليهم هناك كسرقينيين (انظر المشرق، الفصل ٣٤ . ٢٢). ويمكن التخمين- بالرغم من عدم وجود ذلك في سياق الوثيقة /اللائحة- من استعمال التعبير سرقيني على الثموديين في مصر من أنهم دخلوا في خدمة الجيش الروماني في وقت متأخر أكثر من الوقت الذي دخل فيه ثموديو فلسطين. وبدا التعريف الذي قدم في John of Nikiou عن تندونياس مع الثموديين تعريفاً جذاباً في: (النصرانية على البحر الأحمر/ Christentum am Roten Meer)، الذي صدر في برلين عام ١٩٧١م، المجلد الأول، الصفحة ٣٦٠، الملاحظة ٢٨؛ قارن بين أصل كلمة القبطي اللغوية التي عمل عليها A.J.Butler مع "الفتح العربي لمصر" الذي صدر في أكسفورد في ١٩٠٢م، في الصفحة ٢١٧، الملاحظة رقم ١. انظر أيضاً Altheim and Stiehl في "النصرانية"، الصفحة ٣٦٨، الملاحظة رقم ٨٢، عن التزامن العربي وخيامهم مع أسماء وأماكن وحاميات المدن والبلدات في سياق لائحة المقامات، والتي تبدأ بمخيمات Scenas أو مجمعات ماندرورم، مخيمات غيراسا الإضافية، ومجمع المحاربين. كانت هذه الوحدة

٢- وحدة الجناح العربي الثالث[1]، في Thenemuthi(انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ٢٤).

٣- كتائب الأتوريون من الوحدة الثانية[2]، في العقبة Aiy (انظر المشرق، الفصل ٢٨ . ٤٤).

طيبة (الأقصر):
(انظر المشرق، الفصل ٣١ من اللائحة)

عرضت لائحة المقامات وحدة عسكرية عربية مؤكدة تحت عنوان:

الجناح العسكري التدمري الثامن[3]، في Foinicionis(انظر المشرق، الفصل ٣١. ٤٩ من اللائحة).

الوحدات الأخرى التي ربما كانت من العرب[4] :

ووحدتين أخريين تحت إمرة آمر الشؤون العسكرية comes rei militaris. بينما كانت كل الوحدات العربية في الولايات والأقاليم الأخرى في المشرق؛ طيبة (الأقصر)، فلسطين، الجزيرة العربية، فينيقيا، سوريا، الفراتية، أسروينة وميزوبوتاميا، تحت قيادة الدوتشيات (القادة).

١- كان تعبير/ مصطلح؛ العرب، أكثر استخداماً من تعبير السرقينيين وهذا يعني أن هذه الوحدة العسكرية كانت وحدة قديمة في خدمة روما العسكرية. انظر Bocking في "لائحة المقامات"، المجلد الأول، الصفحات ٢٩٧- ٢٩٨ عن هذه الوحدة وموقعها.

٢- كان الأتوريون معروفين جيداً كمجموعة عربية خدمت في الجيش الروماني، الملاحظة الثالثة في الفقرة رقم (٢) من (أولاً) من هذا الفصل. إذ عرضت كتيبة أخرى من الأتوريين في اللائحة خدمت تحت إمرة Comes Tingitanae، (انظر المشرق، الفصل ٢٦ . ١٦ من لائحة المقامات). وكلاهما كانتا وحدتين من المشاة. انظر Bocking في لائحة المقامات، المجلد الأول، الصفحة ٣٠٩، والمجلد الثاني، في الأجزاء الأقل أهمية، الصفحات ٥٤٠- ٥٤١؛ وفي RE، العدد التاسع، المجموعات ٢٣٧٧-٢٣٨٠؛ ودوسو في "الاختراق"، الصفحات ١٧٦- ١٧٨؛ وعند. إم. جونز في "تمدين الإمارة الأتورية" في العدد ٢١من JRS، الذي صدر في عام ١٩٣١م، الصفحات ٢٦٥- ٢٧٥ .

٣- ربما يعود حضور هذه الوحدة العسكرية في مصر إلى عصر زنوبيا أو دقلديانوس، الذي قد يكون سيرها إلى هناك من أجل حملته على مصر.

٤- قد يكون العرب الذين عاشوا في مصر قبل العصر الإسلامي، وكذلك هذه الوحدات الستة أو الفرسان منها عربية، وربما كان هؤلاء من غير العرب، الذين انتموا إلى شعب أو أكثر من الشعوب

١- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Tentira (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٢٥).

٢- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Copto (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٢٦).

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Diospoli (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٢٧).

التي عاشت في مصر العليا والنوبة. عاش العرب في مصر في إقليم العربية المعروف جيداً في المنتصف بين بلوسيوم وممفيس على طول نهر النيل في أرسنواتس (الفيوم) وفي طيبة / الأقصر وبليميس بين البحر الأحمر والنيل. ويتحدث ماركيان من هيراقليا في القرن الثاني عن العرب في رحلته بين النيل والبحر الأحمر إذ يشير إليهم بصفتهم العربية في كتاب Periple de Marcein d`Heraclea، الذي صدر في باريس ١٨٣٩، الصفحة ١٨، في حين أن ديونيسيوس الإسكندراني يشير إليهم في القرن الثالث كسرقينيين، ويذكر الجبل العربي في رسالته لفابيان الذي كان أسقف أنطاكية، في سياق "تاريخ العقائد اليونانية اللاهوتية"، العدد العاشر، المجموعة ١٣٠٥. في الرواية المحكمة عن الحضور العربي في مصر قبل الإسلام، انظر الكاتبين ألتهايم وستيهل Altheim and Stiehl في "العرب في مصر"، في "معجم المصريات Lexicon der Agyptologie"، المجلدين الأول والثالث، الصفحات ٣٦٠- ٣٦١.

لم تصف اللائحة جنود كتائب الجمال على أنهم وطنيين من أهل البلاد الأصليين، ولذا يجب أن يحضروا من أماكن أخرى اعتماداً على هذه النتيجة، ومن خلال رؤية التلازم العربي مع الإبل في محيط الجزيرة العربية وحضور الجند العربي في مصر؛ إذ من المحتمل أن يكونا عرباً. ومن المفيد أن نلاحظ أن عام ١٥٦م كأقرب زمن ظهر فيه توظيف الجمال في طيبة، شكلت منها مفرزة صغيرة جزءاً من كتائب الحرس الإمبراطوري اللوسيتانية الأولى في غرب آسبانيا Praetoria Augusta Lusitanorum، وأن التسعة عشر جملاً من هذه الكتيبة حملت الاسم السامي الصريح بارباساتيس، انظر فينك في "سجلات الجيش الروماني على أوراق البردي"، الصفحة ٢٣٢. وقد عزا مومسن تشكيل هذه الأجنحة الثلاثة إلى زمن دقلديانوس، انظر مومسن في "Gesammelte Schiften"، الذي صدر في برلين ١٩١٣م، المجلد الثامن، الصفحة ٥٦١. كان تحسين نسل الإبل واستيلادها مشهوراً من قبل ولاية العربية في مصر، انظر Altheim and Stiehl في "العرب في مصر"، انظر مدخل المصدر نفسه ايضاً في كلمة العربي إذ يمكن العودة لتحديد الهوية العربية في المعجم اليوناني الذي صدر في برلين عام ١٩٣١، الصفحة ٢٦٩: F. Worterbuch der griechischen Papyrusurkunden

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Lato(انظر المشرق، الفصل ٣١. ٢٨).

٥- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في - Maximi anopoli (المشرق، ٣١. ٢٩).

٦- وحدة المساندة من الفرسان الوطنيين من أهل البلاد الأصليين (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٣٠).

٧- وحدة جناح الهجانة الثالثة، في Maximianopoli (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٤٨).

٨- وحدة جناح هيرقوليا الثانية للهجانة، في Psinaula (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٥٤).

٩- وحدة جناح فاليريا الأول للهجانة، Precteos (انظر المشرق، الفصل ٣١. ٥٧).

فينيقيا

(انظر المشرق، الفصل ٣٢)

الوحدتان العربيتان المحددتان على نحو واضح هما[1] :

١- وحدة الفرسان السرقينيين الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، كانت في Betroclus (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٧).

٢- وحدة الفرسان السرقينيين، في Thesee (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٨).

وحدات من الممكن[2] أو من المحتمل أنها كانت عربية:

١- وصفت هاتين الوحدتين من الفرسان بالسَرَقينيين؛ وصفت الأولى منها بالوطنيين من أهل البلاد الأصليين، بينما لم توصف الثانية كذلك، وقد لا يحمل هذا الاختلاف في الوصف أية أهمية، لكنه قد يعني أن الوحدة الثانية سيرت إلى فينيقيا من بعض الأقاليم الأخرى، على أساس أن هاتين الوحدتين كانتا متمركزتين في فينيقيا، فقد تكونان من عرب تدمرالذين دخلوا في خدمة روما بعد سقوط تدمر.انظر موسيل في"تدمر" في"مجلة الجمعية الجغرافية الأمريكية، للدراسات والاستكشافات المشرقية"، العدد الرابع الذي صدر في نيويورك عام ١٩٢٨م، الصفحات ٢٥٢- ٢٥٣. انظر كذلك دوسو في "الطوبغرافيا"، الصفحة ٢٧٠.

٢- وصفت الوحدات السبعة من الفرسان بالوطنيين من أهل البلاد الأصليين باحتمال أن يكونوا عرباً، على أساس أن السحنة العرقية لهذه المنطقة هي سحنة عربية، وفي هذه المنطقة وجدت

١- وحدة فرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Saltatha (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٠)

٢- وحدة فرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Auatha (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٢).

٣- وحدة فرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Nazala (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٣).

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Abina (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٤).

٥- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Casama (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٥).

٦- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين،في Calamona (المشرق، الفصل ٣٢. ٢٦).

٧- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Adatha (انظر المشرق، الفصل ٣٢. ٢٩).

سوريا

(انظر المشرق، الفصل ٣٣ من لائحة المقامات)

وحدات عسكرية من المحتمل أنها كانت عربية[1] :

المراكز المدنية العربية لتدمر وحمص، وأتوريا المزدهرة. وقد وظفت جميعها خدماتها العسكرية لروما . كانت أربعة من هذه الوحدات من الرماة، وكفرسان من حملة الأقواس، فقد أوحي بأنهم كانوا من التدمريين السابقين أو الأتوريين الأقرباء. إذ ليس من الواضح إن كانت الوحدة الثامنة أو لم تكن- الجناح الفينيقي الأول- من العرب. وربما كان أفرادها من العرب الآراميين الذين وصفوا لذلك محلياً أكثر مما وصفوا عرقياً، وقد يكونون من غير السكان العرب في فينيقيا . عن مواقع هذه الوحدات، انظر Bocking في لائحة المقامات، المجلد الأول، الصفحات ٢٧٦- ٢٨٤، كما يمكن رؤية موسيل الأكثر موثوقية في "تدمر"، الصفحات ٢٥٢-٢٥٣، ودوسو في "الطوبغرافيا"، الصفحات ٢٦٨- ٢٧١.

١- إن ما قيل عن المظهر العام وسحنات عرب فينيقيا قد ينطبق على ما قيل على عرب سوريا امتداداً إلى ما بين نهري دجلة والفرات. وقد تم تعزيز وتجنيد هذا المظهر عسكرياً خلال صعود

١- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Matthana (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ١٨).

٢- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Adada (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ١٩).

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Anatha (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ٢٠).

٤- وحدة الفرسان الرماة، في Acadama (المشرق، الفصل ٣٣. ٢١).

٥- وحدة الفرسان الرماة، في Acauatha (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ٢٢).

الفراتية
(انظر المشرق، الفصل ٣٣ من لائحة المقامات)

كانت القوات العسكرية في الفراتية تحت إمرة القائد السوري إلى جانب قيادته السورية، إذ ربما تكون واحدة من هذه الوحدات في الفراتية عربية[1]؛ وهي وحدة

تدمر في القرن الثالث إلى موقع السيطرة الكاملة على المنطقة. وقد بين المؤرخون الكلاسيكيون العامل العربي القوي في المنطقة السورية؛ ومن هؤلاء المؤرخين سترابو الذي أفرد بأن وضع عرب سوريا إلى الجنوب من أفاميا وإلى الشرق من نهرالعاصي في بارابوتاميا Parapotamia وكذلك في خلقيس Chalcidice؛ انظر سترابو في "الجغرافيا"،الفصل السادس عشر، القسم الثاني، الصفحة ١١. وعن مواقع هذه الوحدات، انظر موسيل في "تدمر" الصفحات ٢٥٣- ٢٥٥؛ وانظر Bocking في "لائحة المقامات"، المجلد الأول، الصفحات ٣٨٧- ٣٨٨؛ انظر دوسو أيضاً في "الطبوغرافيا"، الصفحات ٢٧٤- ٢٧٥.

١- عن القبائل العربية على طول الفرات: انظر سترابو/سترابون في "الجغرافيا"،الفصل السادس عشر، القسم الأول، الصفحة ٢٧- ٢٨؛ وفي القسم الثاني من الفصل نفسه، الصفحة ١؛ وفي القسم الثالث من الفصل نفسه، الصفحة ١؛ انظر كذلك بليني /بلينوس Pliny في "التاريخ الطبيعي"، الفصل الخامس، القسم الحادي والعشرين، الصفحة ٨٧. عن الرصافة: انظر موسيل في "تدمر"، الصفحات ٢٦٠- ٢٧٢؛ انظر ايضاً دوسو في "الطوبغرافيا"، الصفحات ٢٥٣- ٢٥٥، ٢٧٥ ،وكذلك خريطة شابو V. Chabot في"تخوم الفرات" التي صدرت في باريس عام ١٩٠٧م، بعد الصفحة ٤٠٨.

الفرسان المساندة من الوطنيين أهل البلاد الأصليين، المتمركزة في الرصافة (انظر المشرق، الفصل ٣٣. ٢٧).

فلسطين
(انظر المشرق، الفصل ٣٤ من لائحة المقامات)

من المؤكد أن واحدة من هذه الوحدات كانت عربية:

١- وحدة الفرسان الثموديون الإليريشيون[1]، في Birsama (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٢).

وحدات من الممكن أو من المحتمل أنها كانت عربية[2]:

١- عن الثموديين: انظر الملاحظة الأولى في الفقرة رقم (١) تحت عنوان التخوم المصرية من هذا الفصل. الذين تجندوا في وحدة الإليريشيين كموريين فقط في الوحدة الحادية والعشرين في فلسطين. ويستشهد باركر في هذا السياق عن الإليريشيين. (مرة أخرى كان الدلماش والمور* Dalmation and Moorish ضمن جيش أورليان في حملته ضد تدمر جنباً إلى جنب مع الفيالق الألمانية، إذ من غير المحتمل أن فرق الفرسان التي دعيت بالإليريشيين الوارد ذكرها في لائحة المقامات على أنهم كانوا في المناطق الفينيقية: سوريا، وفلسطين وأسروينة وميزوبوتاميا، وولاية العربية، ويرجع ذلك إلى فترة استقرار سلطة أورليان في الأقاليم الشرقية)؛ انظر باركر في "الفيالق"، الصفحات١٨٧- ١٨٨ . من المفيد القول أن وحدات الإليريشيين أو قوات جندهم بقيت في فلسطين حتى حكم هرقل في القرن السابع؛ انظر Acta M.Anastasii Persae/ إجراءات الأمن الإيرانية"، تحرير H.Usener، الذي صدر في بون عام ١٨٩٤م، الصفحة ٢٦، الأسطر ١٢- ١٣: انظر Bocking أيضاً في "ملاحظات على مصادر سير القديسين عن بعض التغيرات في الأعراف والقوانين والاستمرارية في مطلع القرن السابع" الذي صدر عام ١٩٧٥ في طبعته السابعة، الصفحات ٦٥- ٦٧.

* الدلماش هم السكان السلافيون القدماء، والمور من سكان اسبانيا وشمال غرب أفريقيا القدماء -- المترجم.

٢- إن ما قيل في الملاحظتين السابقتين الأولى والثانية من (فينيقيا) في هذا الفصل عن الأعراف والقوانين الخاصة بالعرق العربي في بعض أجزاء سوريا وفينيقيا ينطبق في الحقيقة على سكان جنوب الصحراء الفلسطينية من العرب الأدوميين والأنباط قبل اندماج هذه المنطقة في الإمبراطورية، لذلك من المحتمل أن هذه الوحدات كانت عربية. وما قيل عن التعبير/ المصطلح المناطقي؛ الفينيقيين في الملاحظة السابقة نفسها، يمكن أن يقال عن وحدة الفلسطينيين كما ورد في الملاحظة السابقة المشار إليها أعلاه، وكذلك الحال بالنسبة لجناح الجمال (الهجانة) في الجيش،

١- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Sabaiae (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٣).

٢- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Zodocathae (المشرق، الفصل ٣٤. ٢٤).

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Hauanae (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٥).

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Zoarae (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٦).

٥- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Robatha (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٧).

٦- وحدة فرسان الخصيبة الرماة الأولى الوطنيين من الفلسطينيين (انظر المشرق ، الفصل ٣٤. ٢٨ من لائحة المقامات).

٧- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Moahile (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٢٩).

٨- جناح أنتانا للهجانة، في Admatha (انظر المشرق، الفصل ٣٤. ٣٣).

والذي من المحتمل أن يكون فرسانه من العرب وذلك للسبب نفسه المتقدم ذكره بالعلاقة مع وحدات الأجنحة الثلاثة في طيبة (الأقصر) كما ورد في الملاحظة الهامشية الثانية من (طيبة) في هذا الفصل. ومن خلال الأدوات النقدية للائحة المقامات، فإن وصف الجناح بـ Antana محل تساؤل، وأن Antoniniana قد اقترح بدلاً من Antana.

ثبتت الشخصية العربية لهذه الوحدات بالحضور العسكري العربي المتمثل بالفيلارخات. فسجلت هذه الوحدات في خدمة الجيش البيزنطي في جنوب فلسطين وظهرت في أوراق نيسانا Nessana Papyri وفي مرسوم بيرشيبا Beersheba (بئر السبع)، اللذين سيتم مناقشتهما في كتابي"بيزنطة والعرب في القرن الخامس". انظر Bocking في "لائحة المقامات"،المجلد الأول، الصفحات ٣٤٥- ٣٤٨، ٣٥١- ٣٥٢ لمعرفة تمركز هذه الوحدات وجناح الجمال. تعتبر مناقشة آبل Abelلكل الوحدات في فلسطين، المذكورة في "لائحة المقامات". مناقشة قيمة، وكذلك الأمر بالنسبة لخريطته: انظر Abel في "جغرافية فلسطين" الذي صدر في باريس عام ١٩٣٨، المجلد الثاني، الصفحات ١٧٨- ١٨٤، وفي الخريطة رقم ١٠.

أسروينة
(انظر المشرق، الفصل ٣٥ من لائحة المقامات)

وحدات من الممكن أو من المحتمل أنها كانت عربية[1] :

ا- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، كانت في Banasam (انظر المشرق، الفصل ٣٥. ١٨).

١- كان المظهر العام والسحنة العربية لمناطق عبر الفراتية؛ أسروينة وميزوبوتاميا قوياً كما كان الحال على جانب الفرات في سوريا وفينيقيا. وقد أطلق على القسم الغربي من المنطقة في المصادر الكلاسيكية؛ العربية /عرابيا (انظر Pliny في "التاريخ الطبيعي" المجلد الخامس، الصفحة ٨٥)، في حين أطلق على القسم الشرقي في المصادر السريانية؛ بيت العربية، بينما أطلق على هذه المناطق في العصر الإسلامي: ديار مضر وديار ربيعة، انظر "الموسوعة الإسلامية". وإضافة إلى هذه الدلالات المهمة من هذه التسمية المميزة في المصادر الكلاسيكية والسريانية لهذه المنطقة قبل الإسلام، فإن هذه المصادر تشهد بقوة العنصر العربي في النصف الشمالي من أرض الرافدين: عن المصادر الكلاسيكية، انظر سترابو في "الجغرافيا"، المجلد السادس عشر، الفصل الأول، الصفحة ٢٦؛ انظر كذلك Pliny في "التاريخ الطبيعي"، المجلد الخامس، الفصلين: العشرين والحادي والعشرين؛ والفصل الأخير منهما أكثر دقة لأنه يحدد أسروينة مع "العربية أو عرابيا"، كما أنه يتحدث عن قبيلة Praetavi العربية في ميزوبوتاميا التي كانت عاصمتها سينغارا "سنجار". ومن المصادر السريانية عن العرب في هذه المنطقة؛ انظر "المجتمعات في ميزوبوتاميا من جوليان حتى بزوغ فجر الإسلام" لسيغال في "إجراءات وحوادث الأكاديمية البريطانية"، العدد ٤١ الذي صدر عام ١٩٥٥م، الصفحات ١١٩- ١٢٠. (والتمييز بين Tayaye طياية والعرب في مقالة سيغال يجب أن يكون اجتماعياً فقط، وليس عرقياً، ويتوافق أحياناً مع الاختلاف بين العرب وسكان- الخيام الوارد عند الكتاب الكلاسيكيين؛ ولذلك عد العرب أكثر استقراراً وتطوراً من حيث الإقامة على الأرض أكثر مما هو عند سكان- الخيام، لكنهما عدا عرباً). كانت المملكتين العربيتين: أديسا وحترا من أهم الممالك العربية عبر منطقة الفرات. إذ أصبحت الأولى - مملكة الأبجريين- إقليم أسروينة الروماني. ويشير بلينوس في تاريخه الطبيعي، المجلد السادس، الصفحة ١١٧، و Tacitus في "الحوليات"، المجلد الثاني عشر، الصفحة ١٢، ببساطة إلى الأديسيين كعرب. عن مواقع وحدات الفرسان الخمسة هذه في أسروينة، انظر Bocking في لائحة المقامات، المجلد الأول، الصفحات ٣٩٨ - ٤٠٠، وشابو في "التخوم"، الصفحات ٢٧٥ ، ٣٢٠. انظر خريطة شابو أيضاً مقابل الصفحة ٤٠٨.

٢- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Sina Iudaeorum (انظر المشرق، الفصل ١٩.٣٥ من لائحة المقامات).

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Oraba (انظر المشرق، الفصل ٢٠.٣٥).

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Thillazamana (المشرق ، الفصل ٢١.٣٥).

٥-وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين،الوحدة الأسروينية الأولى، في Rasin (انظر المشرق، الفصل ٢٣.٣٥من لائحة المقامات).

ميزوبوتاميا- بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات (انظر المشرق ٣٦ من لائحة المقامات)

وحدات من المؤكد أنها كانت عربية: الكتائب العربية المؤلفة من خمسين جندياً، في Bethallaha (المشرق، الفصل ٣٥.٣٦ من لائحة المقامات).

الوحدات التي من الممكن أنها كانت عربية[1] وهي:

١- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Constantina (المشرق، الفصل ٢٤.٣٦).

٢- وحدة الفرسان الرماة العربية الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Mefana Cartha (انظر المشرق، الفصل ٢٥.٣٦ من لائحة المقامات).

١- عن العرب في ميزوبوتاميا(بين النهرين)،انظرالملاحظة السابقة. ستصبح هذه المنطقة "ديار ربيعة" في العصر الإسلامي، ومن المؤكد أن تجمعات ربيعة كانت حاضرة عبر مناطق الفرات قبل العصر الإسلامي. عن مواقع هذه الوحدات الأربعة، انظر Bocking في "لائحة المقامات"، المجلد الأول، الصفحات ٤١١- ٤١٢، ٤١٤؛ انظر شابو في "التخوم"، الصفحات ٣٠٣، ٣١٠. عن الوحدة الثانية الموصوفة بالعربية، وعن موقعيها، انظر المصدر السابق نفسه في الصفحة ٢٩٩، ودوسو في "الطبوغرافيا"، الصفحات ٤٨٣- ٤٩١، ٤٨٩، ٤٨٧، ٤٨٥ - ٥٢١، ٤٩٢؛ انظر أيضاً خريطة شابو في "التخوم"، مقابل الصفحة ٤٠٨، وخريطة بواديبار Poidebard في "الأثر/ الطريق إلى روما" الموجودة في مجلد الأطلس.

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Thilbisme (انظر المشرق، الفصل ٣٦. ٢٧).

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Thannuri (انظر المشرق، الفصل ٣٦. ٢٨).

العربية / عرابيا
(انظر المشرق، الفصل ٣٧ من لائحة المقامات)

وحدات من المؤكد أنها كانت عربية:

فوج العرب الثالث المظفر[1] الذي كان في موقع ملائم على شاطئ نهر أفاريس في معسكر الأتوريين كتائب العربية (المشرق، الفصل ٣٤, ٣٧ من اللائحة).

وحدات على الغالب أنها كانت عربية[2]:

١- تمت تسمية "الخصيبة Felix" على وحدة أخرى في فلسطين، وحدة الفرسان الفليسيين الرماة الأولى الوطنيين من أهل البلاد الأصليين الفلسطينيين (انظر المشرق في الفصل ٣٤ من لائحة المقامات، الصفحة ٢٨).

٢- ما زال العمل الضخم الذي قدمه R.E. Brunnow and A.von. Domaszewski عن ولاية العربية، في مجلداته الثلاث، والذي صدر في ستراسبورغ، في الأعوام ١٩٠٤- ١٩٠٩، يعد الأساس عن إقليم / ولاية العربية؛ عن الحصون على تخوم العربية، انظر بروناو Brunnow في "الحصون على تخوم العربية"، والعمل الفرنسي الذي صدر في باريس ١٩٠٢، في الصفحات ٦٥-٧٧، إذ يضيف إلى مقالة دوماسزيوسكي في Kiepert`s Festschrift ضمن فصول لائحة المقامات التي تتحدث عن العرب وعن فلسطين في الفصل ٣٤ من لائحة المقامات، Florilegium ou recueil de travaux d`érudition dedies a Monsieur le marquis de Vogue عن استخدام الجند من أهل البلاد الأصليين، انظر Brunnow في "الحصون"، الصفحة ٧٦. ويمكن اعتبار Abel في "الجغرافيا"، المجلد الثاني الأكثر سهولة وحداثة للوصول إلى مواقع الوحدات الأربعة من الفرسان والكتائب، انظر الصفحات ١٨٧- ١٩١، والخريطة رقم ١٠. لكن هذه الأعمال عن إقليم/ ولاية العربية تتابعت بالأبحاث الحديثة لغلين باور سوك في تقريره عن ولاية العربية، وأعمال مجموعة من الدارسين الشباب من أمثال: إم. سبيدل، ديفيد. إف. غراف، إس. توماس باركر، دي. إل. كنيدي، وهنري أي. ماك آدم.

١- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Speluncis (المشرق، الفصل٣٧. ١٨).

٢- وحدة الفرسان المساندة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Mefa (انظر المشرق، الفصل ٣٧. ١٩).

٣- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، في Gadda (انظر المشرق، الفصل ٣٧. ٢٠).

٤- وحدة الفرسان الرماة الوطنيين من أهل البلاد الأصليين، التي كانت في Dia-Fenis (انظر المشرق، الفصل ٣٧. ٢٣).



الفصل السادس

أول إمبراطور روماني مسيحي؛
أكان فيليب أم قسطنطين؟

توافق الكتاب الكنسيون في القرنين الرابع والخامس في حكمهم بأن أول إمبراطور روماني تبنى المسيحية كان فيليب العربي. وقد دعيت مسألة مسيحية فيليب إلى الاستجواب في العصور الحديثة فقط ، ولذلك بقي الرأي الحاسم في ذلك منقسماً . إذ أن بعض هؤلاء يعتقد أن فيليب أعلن إيمانه ومارس الطقوس المسيحية، ومنهم من أنكر أنه اعتنقها . وأكثر رواية متوازنة في هذا التناقض هي رواية R. Aigrain، الذي لم يخفِ أية شكوك أبداً فيما يخص مسيحية فيليب، فعندما كتب روايته التي نشرت في عامَ ١٩٢٤، وكان في ظاهر الأمر غير مدرك أن بعض الدارسين الأكاديميين المتميزين أمثال Stein و Gwatkin جادلوا وأعلنوا رأيهم المعاكس[1] . فقد كان من غير الممكن تجاهل نقاش هؤلاء، خاصة ستين، إذ يجب فحص وتدقيق هذا الجدل قبل تأكيد البحث في حقيقة إيمان فيليب. وبما أن مسيحية فيليب تكتسي بعض الأهمية بالنسبة للهيئة الكنسية وللمؤرخين الرومان والعرب على حد سواء،فإنه يتوجب عرض هذه المسألة هنا لإعطائها معالجة تفصيلية تأخذ في الحسبان مجمل أبعادها وتشعباتها .

١- انظر رواية أيجرين في "العربية" في "المعجم التاريخي والجغرافي الكنسي"، المجلد الثالث، المجموعات ١١٦٦- ١١٦٧؛ وللمزيد من التأكيدات الحديثة المتحمسة لمسيحية فيليب، انظر H.Gregoire في "الاضطهاد في الإمبراطورية الرومانية" الذي صدر في بروكسل عام ١٩٦٤م، الصفحات ٩ - ١٠، والملاحظة الهامشية الطويلة رقم ٣ في الصفحات ٨٩ - ٩١، إذ تبدو هذه التأكيدات أكثر حماسة في الإصدارات المبكرة للعمل الذي صدر عام ١٩٥٠؛ انظر الصفحات ١١- ١٢ والملاحظة الثالثة في الصفحات ٩٠ - ٩١.

القسم الأول

يمكن تبويب ما تشهد به المصادر الكنسية على مسيحية فيليب العربي في ثلاث مجموعات:

١- بالطبع، يعتبر المؤرخ أوسيبيوس المصدر الرئيسي المبكر الذي يشير موضحاً ومضمناً في خمسة مقاطع في"التاريخ الكنسي"[١] إلى فيليب:فتعبر المقاطع الثلاثة الأولى عن مسيحية فيليب، بينما المقطعين الباقيين يعبران ضمنياً عن ذلك. الأول (في التاريخ الكنسي،الفصل السادس، الصفحة ٣٤) يصف المشهد المشهور لعيد الفصح في أنطاكية بتاريخ ١٣نيسان عام ٢٤٤م،وذلك عندما أراد الإمبراطور أن يشارك في إشعال شمعة العيد الضخمة، إلا أن الأسقف منعه من المشاركة، بسبب خطاياه، إلا بعد اعترافه؛ أما الثاني(التاريخ الكنسي،الفصل السادس،الصفحة ٣٨) فيتحدث عن رسالة من أوريجين Origen إلى فيليب وأخرى لزوجته مارشيا أوتاشيليا سيفيرا: ويتحدث الثالث (التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٩) عن حملة اضطهاد ديقيوس التي أطلقها بسبب كراهيته لفيليب؛ والاثنتين الأخيرتين أخذتا من مراجع أسقف الإسكندرية ديونيسيوس Dionysius (٢٤٧- ٢٦٥م): إذ أخذت الرواية الأولى من (التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٤١، الفقرة ٩)، التي تشير ضمنياً إلى حكم فيليب المتسامح مقارنة مع ديقيوس الذي أتى بعده، وتتحدث الثانية ضمنياً أيضاً(التاريخ الكنسي، الفصل السابع، الصفحة ١٠، الفقرة ٣) بوضوح عن مسيحية سيفيروس وفيليب العلنية.

يعد المصدر الأول أشد وضوحاً كونه مفصلاً، ولأنه لا يترك أي شك أبداً على مسيحية فيليب، إضافة إلى مصادر أربعة أخرى غير منفصلة ثلاثة منها تتحدث عن معاصري فيليب، أوريجين وديونيسيوس، فتشهد ضمناً وصراحة على مسيحيته.وليس من أحد يقرأ بعقل منفتح هذه المقاطع الموجودة في التاريخ الكنسي يشك بفحوى أو

١- يحتوي التاريخ الكنسي لأوسيبيوس، تحقيق E. Scwartz ، العدد التاسع من الـ GCS الذي صدر في لايبزغ ١٩٠٣- ١٩٠٩م، على خمسة كتب؛ صدر القسم الثاني في عام ١٩٠٨م، ويحتوي على الكتب الخمسة التالية: من السادس حتى العاشر، وقد تم إنجاز الترجمة اللاتينية لـ "التاريخ الكنسي" من قبل روفينوس.

وضوح مضامينها. ويعتبر اختيار أوسيبيوس لتأكيد نفسه بالطريقة التي فعلها مشكلة تدعو إلى التساؤل،لكن الصعوبة في عرضها تجعلها قابلة للنقاش بشكل كامل[1].

٢- أجمع الكتاب اللاتين الثلاثة المهمين؛جيروم،أوروسيوس وفنسنت الليرني في حكمهم على مسيحية فيليب، فانعكس هذا الحكم أيضاً بشكل قوي في استخدامهم للتعبير- أول- بأن فيليب كان أول إمبراطور روماني تبنى المسيحية[2]. ولم يكن هؤلاء كتاباً متأخرين،بل مبكرين عاشوا في الجزء الأخيرمن القرن الرابع والمبكر من القرن الخامس. وكان جيروم الأكثر أهمية بين الثلاثة؛ كونه كان الأقرب تاريخياً إلى المصدر الأساسي، المؤرخ أوسيبيوس، إضافة إلى كونه من ترجم "تاريخ" أوسيبيوس،حيث تظهر روايته الصريحة عن مسيحية فيليب. وتعترف هذه الرواية بواحد من التفسيرين التاليين: إما أن جيروم وجدها في النسخة الإغريقية من تاريخ أوسيبيوس، أو أنه وصل إليها بطريقة مستقلة على أسس من المصادر المتاحة له. وفي أي من الحالتين، فإن الوضوح والتأكيد القوي والشهادة المهمة تؤكد على مسيحية فيليب.

٣- إن ثالث وآخر مجموعة من المصادر عن مسيحية فيليب تتمثل بالكاتبين جون كريسوستوم[3] وأسقف أنطاكية ليونشيوس[1] عام ٣٥٠م. وكلاهما كانا كاتبين مبكرين

١- انظر الفصل السادس - القسم الثالث - أولاً، من هذا الكتاب.

٢- يظهر التعبير- أول- في عملين مختلفين لجيروم في "التاريخ ومشاهير الرجال:
the chronicon and the liber de viris inlustribus "
لحدوثها في المصدر الأول، انظر Die Chronik des Hieronymus/حوليات تاريخ جيروم، تحقيق Hilm في GCS، العدد ٤٧ الذي صدر عام ١٩٥٦، الصفحة ٢١٧؛ وعن "الأول" في كتاب مشاهير الرجال، انظر ذلك في TU ،العدد ١٤، صدر في لايبزغ عام ١٨٩٦م، الصفحة ٣٢، السطر ٣٣. عن التعبير- أول- عند سانت فنسنت، انظر/ "Commonitorium primum" التوجيهات الأولية"،٥٠،المجموعة ٦٦٢ في "تاريخ العقائد اللاهوتية اللاتينية"؛انظرأوروسيوس في "تاريخ ضد الوثنيين" في المجلد الخامس من "تاريخ الوثائق الكنسية اللاتينية الكاملة" التي صدرت في فيينا عام ١٨٨٢م، الصفحة ٤٧٨، السطر ١٣. للمزيد عن هؤلاء الكتاب الثلاثة وأعمالهم عن مسيحية فيليب، انظر الفصل السادس - القسم الثالث - أولاً وثانياً وثالثاً، من هذا الكتاب.

٣- جون كريسوستوم في " De S. Babyla contra Julianum et gentiles- بابل ضد الإمبراطور يوليان (المرتد) والأمم الوثنية"، موسوعة PG، العدد ٥٠، المجموعات ٥٤١- ٥٤٢؛ إذ نظمت رسالة الاعتذار عام ٣٨٢ م حينما كان جون شماساً؛ انظر Quasten في "تاريخ العقائد اللاهوتية"، التي صدرت في وستمنستر عام ١٩٦٠م، المجلد الثالث، الصفحات ٤٦٧- ٤٦٨.

رحلا بعد قرن فقط من فترة حكم فيليب، والأكثر من هذا، أنهما عاشا في أنطاكية نفسها، التي شهدت إذلال فيليب وطلبه الغفران. وكان من الطبيعي أن يهتم كلا الكاتبين بأسقف وشهيد أنطاكية سانت بيبيلاس الذي منع فيليب من المشاركة في إشعال شمعة العيد أكثر من اهتمامهما بالإمبراطور نفسه. وهذه سوية مع حقيقة أن بيبيلاس لم يُذكر في الفصل السادس، الصفحة ٣٤من تاريخ أوسيبيوس الكنسي، إضافة إلى واقع آخر هو أن الكاتبين كانا أنطاكيين؛ كل هذا يعني أنهما أوضحا العادات المستقلة المؤسسة على الروايات المحلية التي كانت سائدة في أنطاكية نفسها- مشهد إذلال الإمبراطور- وليس على ما جاء به أوسيبيوس القيساري. وقد تكون هذه العادات الأنطاكية المحلية أكثر أهمية مما كتبه القيساري الذي اشتق روايته عن مسيحية فيليب اشتقاقاً[1]، إذ من الممكن أن تكون الروايات المحلية السائدة في أنطاكية شفهية في جزء منها، إلا أن رواية أوسيبيوس أخذت بالكامل عن بعد، إذ اطلع أوسيبيوس عليها من خلال وثائق مكتبته في قيسارية. وبذلك تشابكت روايات المنطقتين وتعاونت روايات المصدرين مع بعضها.

القسم الثاني

ربما يعتبر إرنست ستين أهم معارض في العصور الحديثة يصر على الرأي بأن فيليب لم يكن أول إمبراطور روماني مسيحي،فقد كرس ثلاثة أعمدة من مقالته عن فيليب في موسوعة RE لتحقيق هذه الغاية[2]:

أ- حذف المصادر اللاتينية الثلاثة- جيروم وأوروسيوس وفنسنت الليرني - كونهم أخذوا من أوسيبيوس والإغريقيين الآخرين - ليونشيوس وجون كريسوستوم - وذلك لعدم تقديمهم مصدراً مستقلاً ثانياً.

١- انظر"حوليات عيد الفصح"، تحرير دندروف، التي صدرت في بون عام ١٨٣٢،المجلد الأول، الصفحة ٥٠٣ إف.

٢- انظر المجموعات ٧٧٠- ٧٦٨ من دورية RE، العدد١،١٠ لعام ١٩١٨،إذ تلاها كتاب ج. داوني في "تاريخ أنطاكية في سوريا"، الذي صدر في برنستون عام ١٩٦١،الصفحات ٣٠٦ - ٣٠٨، خصوصاً الملاحظة الهامشية رقم ١٤٠.

ب- دقق الروايات المختلفة في المصدر الرئيسي أوسيبيوس صارفاً النظر عنها لأنها أسست على الإشاعات.

ج- التمس وقائع مختلفة مأخوذة من حياة فيليب ليؤكد وثنيته؛ وأخيراً..

د- حاول أن يشرح كيف انبثقت أسطورة مسيحية فيليب واكتسبت رواجاً.

وبأخذ ما جاء في أ؛ فقد تمت مناقشة المصادر اللاتينية الثلاثة والمصدرين الإغريقيين الآخرين اللذين تجاهلهما- نوقشا في القسم السابق[1] من هذا الفصل - ويبقى أن ندقق ونتفحص نقاشه قي ب، ج، و د.

١- يفتتح ستين نقاشه بالإشارة إلى أن أوسيبيوس قدم روايته عن مسيحية فيليب والمشهد في أنطاكية في"التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٤" بطريقة معكوسة، وذلك بأن ترجم الجملة اليونانية المكونة من كلمتين إلى الألمانية بمعنى إشاعة Gerüchte. لكن معنى الكلمة عن الجملة اليونانية تتسع لترجمات أخرى غير معنى الإشاعة؛ إذ لم يكن أوسيبيوس يسجل التاريخ المعاصر له، بل كان يسجل أحداث ما كان يدور في عهد إمبراطور روماني من القرن الثالث مستخدماً السجلات والوثائق المتوفرة. وبالفعل، فإن الجملة اليونانية قد تترجم، كما هي فعلاً؛ "إنه مسجلّ" أو على الأقل"أبلغ / أخبر عن.."[2]. والأبعد من ذلك أن الكلمتين في الجملة المترجمة عن اليونانية من المحتمل أنهما تشيران لتفصيلات المشهد في أنطاكية (إليه.. إلى..) أكثر مما تشيران إلى تأكيد مسيحية فيليب؛ فتفصيلات المشهد كانت استثنائية في أهميتها،وأوسيبيوس أراد تذكير القراء الذين ربما أجفلوا بالمفاجأة بأن معلومته أتت من السجلات التي كانت حاضرة بين يديه ليستشهد بها[3].

١- للمزيد عن المصادر اللاتينية والإغريقية انظر (د) من الفقرة (٦) من أولاً، والفقرتين (١) و (٢) من ثانياً وثالثاً من هذا الفصل.

٢- جي. إي. إل. أولتون في ترجمته الإنكليزية "التاريخ الكنسي" الموجودة في مكتبة لويب الكلاسيكية، التي صدرت في لندن وكمبريدج وماساشوستس ١٩٣٨ ،المجلد الثاني،الصفحة ٨٩، وفي عمل أي. سي. ماكفرت في "مكتبة نيقين المختارة وما بعد أباء نيقين"، التي صدرت عام ١٨٩٠؛ وأعيدت طباعتها في غراند رابيدز، ميتشيغان ١٩٧١م، المجلد الأول، الصفحة ٢٧٨. ترجم روفينوس في نسخته اللاتينية من التاريخ الكنسي الكلمتين اليونانيتين اللتين ذكرتا أعلاه بـ (المدون . .)؛ انظر "التاريخ الكنسي"، GCS، الجزء الثاني، الصفحة ٥٨٩، السطر ٢٧.

٣- للرؤية التي تشير فيه الكلمة اليونانية إلى رسالة أوريجين إلى فيليب، انظر (ج) من الفقرة (٦) من ثانياً من هذا الفصل.

بالفحص الدقيق لإشارة أوسيبيوس الأولى عن مسيحية فيليب (تليها أربعة إشارات أخرى)[1] نجد أن النتيجة التي توصل إليها هي أنه شهد بمسيحية فيليب، لكنه يكشف أيضاً عن انفصال أو نقص في الاهتمام - يبدو مفاجئاً، جاء كما هو من أب التاريخ الكنسي، خصوصاً في رؤية الحقيقة بملاحظته لأول إمبراطور روماني مسيحي. وقد انعكس هذا القصور بشكل إنشائي في تأكيد يفتقر إلى الاهتمام كي يتمكن من استخدام الجملة اليونانية التي ترجمت - كإشاعة. ونتيجة لذلك، فالمشكلة التي تواجه دارس هذا الفصل في "التاريخ الكنسي" ليست فيما إذا شهد أوسيبيوس بمسيحية فيليب، وإنما، لماذا لم يؤكد هذه الشهادة كما كان يجدر به أن يفعل كمؤرخ[2].

٢- يعتبر ستين أن تفصيلات المشهد الكنسي في أنطاكية ليست تاريخية. فقد فعل ذلك أولاً بتجاهل رواية أوسيبيوس بنسبتها إلى نفس حالة أو تراتب الإشاعة الكنسية كما وردت عند المصدرين الإغريقيين؛ ليونشيوس وكريسوستوم. لذلك قرر ستين أنه من غير المتصور أن الإمبراطور الروماني في القرن الثالث - مباشرة قبل التحامل على المسيحيين الذي وجد تعبيراً دموياً في حملة اضطهاد ديقيوس لهم - يمكن أن يعرض نفسه لإذلال كبير يهين كرامة الدولة الرومانية التي مازالت وثنية حتى ذلك التاريخ، إذ أنه كان أكثر من الإذلال الذي حدث في ميلانو بعد قرن ونصف وتعرض له ثيودوسيوس وأمبروس، والذي أحدث ضجة مثيرة حتى داخل عالم كان قد تحول إلى المسيحية حينذاك.

بمقارنة علاقة أوسيبيوس بالمؤلفين الإغريقيين الآخرين وعلاقتهما بذلك، فقد أشير إلى أن هذين المؤلفين الإغريقيين قدما مصدراً أنطاكياً محلياً مهماً ومستقلاً بعيداً عن تقليل مصداقية رواية أوسيبيوس، بل على العكس دعماها.

واعتماداً على عدم مصداقية رواية ستين المأخوذة من كونها مذلة ومهينة للدولة الرومانية، يمكن أن يشار إلى أن تلك الرواية لا تحمل صدىً صحيحاً كما اعتقد ستين؛ إذ قد يستشهد أحدهم بنفس الطريقة التي استشهد بها ستين نفسه بما حدث بالضبط لثيودوسيوس وأمبروس كقضية متوازية وحتى أكثر استثنائية لأنها ارتبطت

١- عن ذلك، انظر من بداية الفصل الأول في هذا الفصل حتى هذه الصفحة.

٢- انظر ثيودورت في "التاريخ الكنسي"، تحقيق L. Parmentier ، العدد ١٩ من GCS، لايبزغ ١٩١١م، الفصل الخامس، الصفحة ١٧ .

بإذلال إمبراطور روماني لنفسه وهو أكثر شهرة من فيليب. وعلاوة على ذلك، فإغفال ستين لحقيقة المشهد في أنطاكية من أن الإذلال الذي حدث هناك هو أقل بكثير من ذلك الذي حدث قي ميلانو، وبالتالي لم يحتو على مثل تلك الإهانة التي تحدث عنها ضد كرامة الدولة الرومانية؛ إذ مثلت بكل بساطة طلب الاعتراف وطلب الغفران السريع للإمبراطور الذي كان عائداً للتو من الجبهة الفارسية في طريقه إلى روما، ولذلك فقد كانت الحكاية شديدة المحلية في ظاهرها، بينما الذي حدث مع ثيودوسيوس كان مختلفاً بشكل كامل لأنه كان في خلفيته يعود للمذبحة التي أودت حينها بحياة ما يقارب السبعة آلاف قتيل في ثيسالونيكا*؛ والذي حرم الإمبراطور بسببها من رعاية الكنيسة له لمدة ثمانية أشهر، بالإضافة إلى الحوار المثير بين الأسقف والإمبراطور الذي مثل منتهى الإذلال للإمبراطور[1].

ليس من خارج السياق هنا أن نشير إلى آراء[2] غواتكن في مشهد أنطاكية. فآرائه في ذلك تثمين رصين وكبير للرواية، على عكس ستين، والذي لم يرفضها بالكامل. وعلى أية حال، فقد بدأ غواتكن بالفرضية من أن فيليب لم يكن مسيحياً، ونتيجة لذلك جادل بأن الذي قاد فيليب إلى الكنسية في يوم عيد الفصح ربما كان الفضول وحب الاستطلاع،وأن استثناؤه من أكثر الأجزاء احتفالية في حفل الصلاة واضح من خلال حقيقة أنه لم يكن معمداً حينها.

تنفتح أراء غواتكن إلى الاعتراضات التالية: (١) التمست تحليلاته للمسألة بأن بدأ بالمقدمة المنطقية من أن فيليب لم يكن مسيحياً، وأنه بنى هذه المقدمة على أساس رواية أوسيبيوس لرسالة أوريجين إلى فيليب[3]. غير أن رواية المشهد في أنطاكية تمثل

---

* عائد إلى مدينة ثيسالي، منطقة قديمة تقع في شمال- شرق اليونان، وهي مدينة مسدونية/ مقدونية قديمة، قد تكن سالونيكا حالياً - المترجم.

١- انظر ثيودورت في "التاريخ الكنسي"، تحقيق L.Parmentir، العدد ١٩، الفصل الخامس، الصفحة ١٧، من الـ GCS الذي صدر في لايبزغ.

٢- انظر H..M Gwatkin في "تاريخ الكنيسة المبكر حتى ٣١٣ م"، الذي صدر في لندن عام ١٩٢٧م، المجلد الثاني، الصفحة ١٥٢- ١٥٣.

٣- عن المحتوى المحتمل في رسالة أوريجين، انظر آخر صفحتين من القسم الثاني من هذا الفصل.

الإقرارالقاطع عند أوسيبيوس بمسيحية فيليب بنفس الوقت الذي كانت به رسالة أوريجين إليه بعيدة عن أن تكون أساساً لرفض مسيحيته. (٢) من غير الممكن الموافقة على التفسير الذي قدمه غواتكن من أن فيليب كان ذاهباً إلى الكنيسة بدافع من الفضول وحب الاستطلاع، لأن الكنائس ذلك الحين لم تكن أماكن جذب سياحي أبداً، فقد كانت متواضعة البناء ولم تكن تجتذب اهتمام الشخصيات المشهورة، بل الأهم من ذلك، أن القلق المتعجل للوصول إلى روما لا يذهب إلى الكنيسة بسبب من الفضول وحب الاستطلاع. (٣) يجب رفض التفسير بأن فيليب استثني من المشاركة في أكثر الأجزاء احتفالية من حفل الصلاة لأنه لم يكن معمداً[١] . ويضيف أوسيبيوس بأن سُمح لفيليب بعد طلب الغفران بالمشاركة في الصلاة، وهذا بحد ذاته يشير بشكل واضح إلى أن فيليب كان مسيحياً استثني من الصلاة فقط لأنه كان على حالة من الذنوب. وعلى ذلك، فإن دارس" التاريخ الكنسي" لا يمكن أن يصرف النظر عن كل هذه التفاصيل كأن لا علاقة لها بمسيحية فيليب، وبدلاً من ذلك جعل فيليب يفكر بزيارته إلى الكنيسة في تعبيرات سياحية باعثها الفضول وحب الاستطلاع.

٣- يستشهد أوسيبيوس بديونيسيوس أسقف الإسكندرية (٢٤٧- ٢٦٥م) عن الطاغية فاليريان (٢٥٣- ٢٥٨م) قبل تنفيذ حملة اضطهاده. فقد وصف ديونيسيوس فاليريان كصديق للمسيحيين إلى الحد الذي فاق مساندة"أولئك الذين كانوا مسيحيين ظاهرين" . فالإشارة هنا تعود على سيفيروس الإسكندر وفيليب، والتي تعني شهادة قيمة على مسيحية فيليب. ومع ذلك، صرف ستين النظر عنها كشاهد على أن سيفيروس الإسكندر كان مسيحياً . وعلى كل حال، لا يمكن تجاهل النص دون مناقشة أبعد من ذلك، وإذا كان ما يقوله النص عن سيفيروس غير صحيح أو غير دقيق، فهو إذاً لا ينطبق على فيليب. ويعكس جدل ستين إخفاقاً في فصل الحقيقي عن الزائف،في حين أن فحصاً دقيقاً للنص يكشف فقط عن غلوٍ في المبالغة بتحليل ما جاء به ديونيسيوس فيما يخص سيفيروس، والذي يمكن أن يكون معمولاً ليبدو جلياً عندما

١- لا يوجد حتى ما يدعم كون قسطنطين غير معمد، إذ لا ينفي هذا مسيحيته حتى إن وجد؛ فقد أجل قسطنطين تعميده حتى نهاية حياته، إذ أن هذا لم يكن من غير المألوف في تلك الأيام؛ ولمعرفة المزيد عن تعميد قسطنطين، انظر آخر ملاحظة في الفقرة (٢) من رابعاً من هذا الفصل.

نتذكر أن سيفيروس كان يمتلك في كنيسته تماثيل لإبراهيم والمسيح وأورفيوس* بين تماثيل أخرى كان يعبدها كل صباح بورع وإخلاص[1]. فقد كان سيفيروس الإسكندر مسيحياً في هذا المعنى المحدد داخل النظام المختارالذي تبناه، ولذلك أتى وصفه من ديونيسيوس كمسيحي ليعترف بشيء موجود تم الحديث عنه، بالاستقلال عن الآخرين مما جاء به أوسيبيوس، فيأتي استشهاد ديونيسيوس ليشكل مصدراً ثميناً على مسيحية فيليب، والأكثر من هذا، أن رواية ديونيسيوس كانت رواية معاصرة كونه كان الأكثر قرباً تاريخياً إلى حكم فيليب.

٤- كان من غير المتصور أيضاً، حسب ما أورده ستين، من أن إمبراطوراً من القرن الثالث قد يتحول إلى المسيحية دون أن يظهرذلك في الأدبيات المسيحية المعاصرة التي وصلتنا. لكن ستين افترض خطأً بيناً بأن فيليب تحول إلى المسيحية خلال تسنمه المنصب، أي خلال حكمه، وهذا لم يكن صحيحاً. فالافتراض أنه كان مسيحياً في ذلك الوقت حين رُفِع إلى تقلد الوشاح الأرجواني[2]، وببساطة كمسيحي وليس كمتحول للمسيحية، وأن معاصريه ديونيسيوس وأوريجين يذكرانه كذلك. وهذا من الأهمية بمكان كي نتذكر تقرير مسيحيته. فقد كان جندياً رومانياً ينحدر من إقليم / ولاية العربية التي انتشرت فيها المسيحية بشكل واسع، وهو من كان واحداً من هؤلاء العرب الذين أصبحوا روماناً ونشأوا في بيئة مسيحية. لهذا فقد كان مسيحياً قبل أن يصبح إمبراطوراً، وذلك على عكس قسطنطين الذي تحول إلى المسيحية خلال فترة حكمه

---

* كان أورفيوس، حسب أساطير اليونان، موسيقياً يتمتع بقدرات خارقة بالعزف على قيثارته، فكان يؤثر بالوحوش وحتى بالصخور والأشجار. وعند موت زوجته يوريدايس حصل على وعد تحريرها من العالم السفلي بشرط ألا ينظر إليها إلا بعد أن يصلا إلى العالم العلوي، لكنه أخفق في تحقيق هذا الشرط في اللحظة الأخيرة. وقد تم تأليف أكثر من أوبرا عن هذا الموضوع - المترجم.

١- عن ذلك، انظر "Vita Alex., 29.2/ حياة الإسكندر" في تاريخ أوغسطا". وعن ديانة الإسكندر، انظر غواتكن في "تاريخ الكنيسة المبكر"، الصفحات ١٤٨- ١٤٩. وفي هذا الارتباط يجب الإشارة أيضاً إلى والدة الإسكندر:ماميا، التي كانت امرأة مؤمنة استدعت أوريجين للمثول أمامها في أنطاكية، إذ ربما كانت هي المسؤولة عن انتشار المسيحية في بيت الإسكندر: انظر أوسيبيوس في "التاريخ الكنسي"، المجلد السادس، الفصل الحادي والعشرين، الصفحة ٢٨.

٢- انظر أيجرين في "العربية / عرابيا" في المجموعة ١١٦٧.

بالطريقة المعروفة، إذ لا يوجد في حياة فيليب إشارة الصليب المضيء المرسومة في السماء تقول له كما قالت لقسطنطين: أنك ستنتصر، فقد كان الاحتفال الألفي بعيد ميلاد تأسيس روما- الاحتفال الوثني- الذي ليس فيه أي شيء من المسيحية، قد جعل من حكم فيليب بارزاً ومشهوداً.

٥- يستمر ستين بالجدل قائلاً؛ من أنه لو أن فيليب كان مسيحياً لما جعل من والده مارينوس مقدساً وابنه فيليب كاهناً أعظم* Pontifex Maximus ولما احتفل بالعيد الألفي لإنشاء روما باتباع الطقوس الوثنية[1].

يشكل مجمل ذلك اعتراضات ليست مقبولة. فقد كان فيليب مثل سابقيه ومن أتى بعده من الأباطرة قد تصرف رسمياً كإمبراطور وثني كواقع فرض عليه أن يسلكه إن أراد أن يستمر كإمبراطور. حتى أن "الرسول الثالث عشر Apostle" نفسه لم يستطع أن يرفض ذلك، بل إنه أشعل البخور أكثر من مرة باتباع إجراءات الطقوس الوثنية، بما فيها عبادة إله - الشمس الذي لا يقهر Sol invectus.

٦- قادت الاعتراضات السابقة ستين للمشاركة بنتائج جي.نيومن على رسائل أوريجين القيمة والواضحة إلى فيليب وزوجته مارشيا آوتاشيليا سيفيرا (انظر التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٦) التي ناقش فيها نيومن أن أوريجين أُعلم بإيمان الزوجين الملكيين وذكره في رسائله حتماً. فقد كان من المؤكد على آوسيبيوس الذي قرأ هذه الرسائل أن يكون على علم بها سواء كان فيليب مسيحياً أم لا، كونه التزم الصمت في هذه النقطة، فكان صمته فاصلاً في تقديم النتائج بأن فيليب لم يكن مسيحياً ولم يعمد أو يلقن التعاليم المسيحية.

لا يمكن قبول هذه الاستنتاجات المفتوحة للاعتراضات التالية :

أ- لأنها تستند إلى الافتراض الخطأ كون الفصل الحاسم عند أوسيبيوس في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٤، عن مسيحية فيليب لا يعكس اقتناع

---

* Pontifex Maximus الكاهن الأعظم في الوثنية الرومانية، اتخذه البابوات لقباً لهم فيما بعد - المترجم.

١- ما يعزى إلى والده وابنه - مقدساً وكاهناً أعظم - ظهرت كحالة مميزة من جانب فيليب في بحثه عن الشرعية وتخطيطاً لاستمرار سلالته على التوالي.

أوسيبيوس بمسيحية فيليب، لأن الافتراض يستند إلى تحليل متفرد للجملة اليونانية المكونة من كلمتين بمعنى إشاعة أو سَجلَ أو نَقلَ أو أبلغَ عن..التي تتقدم الفصل[1]. وإذا لم يقتنع أوسيبيوس، علاوة على ذلك، بمسيحية فيليب- التي كان عدم اقتناعه على درجة كبيرة من الأهمية له ككاتب سيرة قسطنطين الذاتية- ولو أنه رأى أن رسائل أوريجين تحتوي على بعض الشواهد التي تدعم عدم قناعته بمسيحية فيليب، لرغب إذاً وبكل تأكيد في التعبير عن ذلك بكل وضوح من خلال هذه الشواهد.

ب- لم يتحدث أوسيبيوس في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٦، عن فيليب أولاً بل عن أوريجين ومراسلاته الواسعة مع شخصيات بارزة. وبتقريره ما جاء في محتوى الرسالتين إلى الزوجين الملكيين يجعل من غرضه غير ذي ارتباط في ذلك الفصل. لذلك لم يكن صمته يترجم كشاهد ثابت الرأي بأن فيليب لم يكن مسيحياً. فبعد الإشارة إلى مسيحية فيليب في التاريخ الكنسي، الفصل الرابع، الصفحة ٣٤- فصلين سابقين على الفصل السادس- قد يكون من المحتمل أن أوسيبيوس وجد من غير الضروري أن يكرر نفس المصدر!

ج- لم يحدد أوسيبيوس بشكل صريح أنه قرأ رسائل أوريجين إلى فيليب وزوجته، بل قال إنه بالكاد جمع هاتين الرسالتين وصنفهما سوية.لذلك بقي السؤال مفتوحاً، لأن المصادفات هي التي قادته لقراءتهما ولم يجد فيهما ما يدعوه للشك بمسيحية فيليب؛ فلو وجد ما يدعوه للشك لكان سجله بكل تأكيد، فقد كان عليه أن يكون على درجة خاصة من الاهتمام بفعل ذلك كمؤرخ لقسطنطين.

د- ما زالت رسائل أوريجين- الضائعة حتى الآن- بعيدة عن الجزء الأخير من القرن الرابع والجزء الأول من القرن الخامس. فقد تمت رؤيتها وقراءتها بجلاء من قبل اثنين من رجال الكنيسة؛ جيروم وفنسنت الليرني، وكلاهما أشار لهذه الرسائل ولمسيحية فيليب.

فجيروم الذي كان أسبق زمنياً من فنسنت يتحدث في فصله عن أوريجين في "كتاب مشاهير الرجال" كما يلي: ".. وبالنسبة للإمبراطور فيليب، الذي كان أول

١- عن ذلك، انظر من بداية القسم الثاني إلى نهاية الفقرة ١ من هذا الفصل في هذا الكتاب.

مسيحي في سلسلة الملوك الرومان، والذي وضع رسائل لوالدته ما تزال محفوظة حتى يومنا هذا"[1] .والمهم في هذه الجملة هو في الحقيقة أن هذه الرسائل كانت بعيدة زمنياً حين كتب جيروم- بالإضافة إلى الواضح والبين- بياناً مؤكداً مسيحية فيليب. إذ من المؤكد أن التضمين الواضح في نهاية الجملة" ..حتى يومنا هذا" جعل جيروم المطلع يقرأ هذه الرسائل ويجد فيها شواهد على مسيحية فيليب، أو أنه على الأقل لم يجد فيها ما يجعله يشك فيها، فقد كان الأجدر به ألا يشير إلى هذه الرسائل إذا لم يجد ما يدعم قوله في مسيحية فيليب على اعتبار أن مثل هذا المصدر يلغي تأكيده القوي بمسيحية فيليب. وفي التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٦، لا يتحدث أوسيبيوس عن مسيحية فيليب خلال مناقشته رسائل أوريجين إلى فيليب وزوجته، وهذا ما جعل بعض الدارسين الباحثين يميل إلى تجاهل هذه المراسلات كشاهد على مسيحية فيليب. إلا أن جيروم يحضر الاثنتين معاً[2]- المراسلات بين أوريجين وفيليب ومسيحيته - وهذا يوحي ويشير أيضاً إلى أن جيروم وجد ما يدعم وجهة نظره على مسيحية فيليب في هذه الرسائل.

يظهر القديس فنسنت الليرني من رجال الكنيسة رسائل أوريجين إلى فيليب سوية مع مسيحية الأخير في فصله عن أوريجين في "التوجيهات الأولية"[3]. وبهذا، فمن المحتمل أنه اتبع جيروم، إلا أن بعض الاستقلالية التي أتت من طرف جيروم انعكست

١- في the Liber de viris inclustribus/ كتاب مشاهير الرجال"، الفصل ٥٤،الصفحة ٣٢، الأسطر ٣٣- ٣٥؛ تعتبر- والدته - في الشاهد العلوي من النص المشار إليه انزلاقاً من جيروم الذي ربما كان يفكر بماميا أم الإسكندر حين كتب الجملة، في حين أنها كانت سيفيرا زوجة فيليب التي استلمت رسالة أوريجين، وليس أم فيليب؛ لذلك لاحظ بي. نوتين خطأ جيروم في كتابه الذي صدر في باريس عام ١٩٢٧م، الصفحة ٢١٧، الملاحظة الهامشية ٩٩، وفي الصفحة ٢١٨.

٢- من الواضح أنه كان الأول الذي فعل ذلك، وهذا يوحي- على عكس ما فكر به ستين- أنه أظهر بوضوح بعض الاستقلالية عن أوسيبيوس في هذا الأمر. وربما كان فضول جيروم هو الذي دفعه ليقرر قراءة هذه الرسائل التي أشار إليها أوسيبيوس وذلك بعد قراءة رواية أوسيبيوس عن مسيحية فيليب ورسائل أوريجين إليه.

٣- انظر"Commonitorium primum /التوجيهات الأولية"،المجموعات ٦٦٢- ٦٦٣.

في سياق النص ببيانه عن أوريجين وفيليب[1]. إذ قال فنسنت عن هذه الرسائل: "... لذلك، كان الإمبراطور فيليب المسيحي الأول بين القادة الرومان، الذي قلد بسلطان القيادة، والرئاسة المسيحية"[2]. وفي الوقت الذي كان أوسيبيوس صامتاً على ما جاء في الرسائل أشار جيروم إلى كونها بعيدة في الزمن الماضي، إلا أن فنسنت لم يكن صامتاً بشكل كامل فقد أضاف بأن الرسائل كتبت بواسطة مصادر مسيحية بارزة ، وكذلك تضمينه الواضح بقراءته لهذه الرسائل لم يكن يجعله يكتب بيانه لو أنه لم يقرأها[3].

وهكذا تحولت رسائل أوريجين إلى فيليب لتكون عاملاً قاطعاً في تأسيس مسيحية فيليب، وذلك بعد أن فكر بعض الباحثين بعدم إثبات مسيحية فيليب. إن المصادر القيمة في" التوجيهات الأولية" وفي" كتاب مشاهير الرجال" التي تشير إلى

١- قد يرى من الاستشهاد التالي مقارنة مع جيروم: (أ) يرى فيليب كقائد مشهور وليس ملكاً كما رآه جيروم (ب) يتحدث عن سلطات فيليب من خلال عرضها بالطريقة التي كتبت بها الرسائل (ج) يشير إلى الرسائل كرسائل توجيهية وليس كرسائل أدبية كما يشير جيروم .

٢- من الملاحظ أنه يتحدث عن الرسائل بصيغة الجمع، في حين أن أوسيبيوس يتحدث عن رسالة واحدة وجهت إلى فيليب وأخرى إلى زوجته. ومن المحتم أن جيروم كان يفكر بالرسالتين معاً عندما استخدم صيغة الجمع. فالكلمة الأخيرة "المخطوط conscripsit" وردت في الشاهد المقتبس من"الآباء اللاتين وتاريخ العقائد اللاهوتية اللاتينية" مكتوبة بخطأ املائي conscripsi. وصواب الكلمة / المخطوط واضح كما ورد في طبعة ستيفانوس بالوزيوس في "التوجيهات الأولية" التي أخذ منها النص المشار إليه في "الآباء. . وتاريخ العقائد. ."؛ انظر

Sanctorum Presbyterorum Salviani Massiliensis et vincentii Lirinensis

كتابات الأديرة المقدسة لسالفيانوس المرسيلي والكاهن فنسنت الليرني (نسبة إلى جزر Lerins الفرنسية - المترجم) الذي صدر في باريس عام ١٦٨٤م، الصفحة ٣٤٣.

٣- الأبعد من ذلك أن فنسنت الليرني كان مثل جيروم يهتم اهتماماً خاصاً بأوريجين؛ وعلى الأرجح، فإن مُؤلف قانون فنسنت الكنسي ربما قرأ أكثر ما استطاع- مثلما الحال عند تيرتوليان- من العمل الذي كان بالنسبة له خطأ ابتداعياً . وهذا مؤكد من وصفه، في الجزء الأول من فصله السابع عشر عن أوريجين، وخصوصاً ما يتصل بحكمه على بلاغته: "وفي الحقيقة كانت ذكرى فصاحته سارة وعذبة إلى درجة أن الخطاب الصادر عن فيه يبدو متدفقاً كالعسل"؟ - وبالمقابل، فإن إشارة فنسنت إلى مصدر أوريجين بكتابة رسالته إلى فيليب يوحي أن من المحتمل أن تكون نتيجة ذلك هي بسبب قراءة هذه الرسائل.

الرسالة جعلت من الممكن اقتفاء أثرها حتى الأزمنة التي عايشها كل من جيروم وفنسنت، كونهما رجلي الكنيسة اللذين قرآها.

كان أوريجين يعرف عندما كتب رسالته، عام ٢٤٤م، إلى فيليب بأنه يكتبها لإمبراطور كان مسيحياً. وقد يثور سؤال هنا حول محتويات الرسالة، حيث يمكن تلخيص المحتويات بما يلي:

أ- أتى فيليب من ولاية العربية، الموصوفة حينها بالهرطقة. وأوريجين نفسه ذهب إلى الجزيرة العربية كي يعالج بيريلوس أسقف العرب في بصرى ويشفيه من آرائه الابتداعية وهرطقته.فليس من غير الطبيعي الاعتقاد أن الرسالة قد كتبت بالنظر إليها من أن الإمبراطور المسيحي العربي يؤمن بآراء عقائدية صحيحة.

ب- انحدر أوريجين من عائلة مارست طقوس الوثنية في الإمبراطورية الرومانية *المتناقضة مع المسيحية؛ فقد مات والده ليونيداس كشهيد في حملة الاضطهاد التي* أطلقها سيبتيميوس سيفيروس عام ٢٠٢ م، وسجن أوريجين نفسه وتعرض للتعذيب خلال حملة الاضطهاد التي أطلقها ديقيوس عام ٢٥٠م. ومن المحتمل أن مشهد مسيحي كرأس للدولة الرومانية قد دفع أوريجين التي كانت رسالته إلى فيليب لذلك غير ذات صلة بقوام اعتقاد فيليب بالمسيحية، بل إلى ما يحمله المعنى من كون فيليب رأساً للدولة وما يمكن أن يقدمه لمستقبل المسيحية.

ج- كتبت الرسالة على الغالب عام ٢٤٤م حين كان فيليب ما يزال في الشرق وقبل عودته إلى روما. وقد كان حينها أسقف أنطاكية ببيلاس هو من منع فيليب من المشاركة في حفل الأسرار المقدسة. فمن باب الترغيب والترهيب أن تفكر أن رسالة أوريجين إلى فيليب كانت مناسبة ملائمة من الممكن أنها كانت ستقود الإمبراطور إلى إذلاله واعترافه أمام الكنيسة[1]. وكان أوريجين حينها في قيساريا، فإذا كان موضوع الرسالة يدور حقاً حول الاعتراف وطلب الغفران من فيليب في أنطاكية[2]، يكون من

١- أثار الباحثون الإنجيليون عن أوريجين الدعوة إلى أن الرسالة يمكن رؤيتها بالتوازي الإنجيلي في قصة دايفيد وناثان.

٢- يجب أن نتذكر أن أوريجين لم يكن شخصية غير معروفة في أنطاكية - مكان مشهد إذلال فيليب- حيث مثل في اجتماع تحت رعاية والدة الإسكندر ماميا في عام ٢١٨م. وقد يكون اعتراف

المؤكد عندئذٍ أن هذه الرسالة كانت المصدر الذي سحب منه أوسيبيوس في كتابة روايته عن ذلك المشهد الكنسي في أنطاكية حسبما ورد في التاريخ الكنسي، الفصل ٦، الصفحة ٣٤. إذا كان هذا ما حدث فإن الكلمة- الواردة باليونانية - في المصدر السابق نفسه لن تكون أكثر من- رسالة - في المصدر نفسه من التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٦.

٧- أخيراً قام ستين بتفسير ما دعاه أسطورة مسيحية فيليب معيداً إثارتها إلى حقيقة أن فيليب ارتحل جيداً مع المؤرخين المسيحيين، وذلك بسبب صدق مواقفه مع المسيحية والمسيحيين، على عكس من أتى بعده متقلداً الوشاح الأرجواني، خاصة ديقيوس/ ديشيوس الذي تلاه مباشرة[1].

كانت النتيجة التي توصل إليها ستين والكيفية التي أثيرت بها أسطورة مسيحية فيليب متكئة بالطبع على تعليله للنص الأساسي عند أوسيبيوس (التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الصفحة ٣٤)، إذ يرجعه حسب رأيه إلى أنه لا يعكس حقيقة مسيحية فيليب. وقد تم تحليل تعليله وتم رفضه، وبالتالي يمكن رفض ما توصل إليه من نتيجة في إثارة الأسطورة. إلا أنه من الممكن رؤية الملاحظتين التاليتين في النصوص ذات الصلة موضوع هذه الأسطورة عند أوسيبيوس:

أ- يتحدث ديونيسيوس الإسكندراني في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء ٤١، الصفحة ٩، عن حكم فيليب العربي المتسامح الذي تلاه حكم ديقيوس العنيف. إذ لا يبرهن هذا وحده على أن فيليب كان مسيحياً. إلا أن ديونيشيوس يشير إلى مكان آخر في التاريخ الكنسي، الفصل السابع، الجزء العاشر، الصفحة ٣، لفيليب كمسيحي؛ وكذلك الإقرار في التاريخ الكنسي، الفصل ٦، الجزء ٤١، الصفحة ٩، التي يتوجب فهمها على ضوء ما جاء في المصدر نفسه من الفصل السابع، الجزء العاشر، الصفحة ٣، التي تشير بجلاء إلى مسيحية فيليب.

فيليب وطلبه الغفران الكنسي في أنطاكية أوحى لبعض المسيحيين الأنطاكيين الذين يتذكرون زيارة أوريجين إلى المدينة كي يكتبوا له حولها، وهذا بدوره ربما دفع أوريجين للكتابة إلى فيليب.

١- يتكئ Ensslin في مناقشته ضد مسيحية فيليب على ذلك! فمعظم أرائه عن هذه المسألة ثانوية وسطحية؛ انظر هذا الفصل عن "مجلس الشيوخ والجيش" في "تاريخ كمبريدج القديم"، الإصدار الثاني عشر عام ١٩٣٩م، الصفحات ٩٤- ٩٥.

ب- كذلك النص الذي يقدم تفسيراً لحملة الاضطهاد التي رعاها ديقيوس، خاصة عداؤه لفيليب. وأن التفسير الطبيعي للنص هو أن فيليب كان مسيحياً، وأن خلفه وعدوه ديقيوس قدم متنفساً لحقده باضطهاد الطائفة التي شاركت الإمبراطور بقناعاته الدينية لأنه كان يكرهه.وما يقوله أوسيبيوس عن دوافع ديقيوس في إطلاق حملة اضطهاده ربما تكون صحيحة أو غير صحيحة، ففي هذا السياق تكون غير ذات بال؛ والمهم هنا هو ذلك التضمين الموجود في سياق النص من أن أوسيبيوس يعتبر فيليب مسيحياً، وهو رأي يعبر عنه أوسيبيوس بجلاء مرتين في التاريخ الكنسي، وذلك من خلال استشهاده برواية استثناء فيليب من حضور الاحتفال الكنسي في أنطاكية (التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء ٣٤) واستشهاده بما قال ديونيسيوس الإسكندراني عن مسيحية فيليب في التاريخ الكنسي، الفصل السابع، الجزء العاشر، الصفحة ٣.

القسم الثالث

إن تدقيق مقاطع أوسيبيوس المختلفة التي تتحدث عن فيليب والتي عرضت في القسم السابق من هذا الفصل تبرز النتيجة التي توصل إليها أوسيبيوس بمسيحية فيليب. مع ذلك تبقى الحقيقة في الرؤية النقدية للعصور الحديثة منقسمة في تحليل وتفسير هذه المقاطع عند أوسيبيوس، إذ يجب الأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر في هذا الانقسام عند المعسكر الناقد، وهذا سيلقي الكثير من الضوء على أوسيبيوس وفيليب.

أولاً

قد يكون نشوء المشكلة في أوسيبيوس نفسه وفي الطريقة التي عبر بها عن نفسه في منصب فيليب ومسيحيته. إذ لم يكن من الواضح أن المؤرخ الكنسي كان متأكداً كما وجب عليه أن يكون، وهذا القصور في التأكد يعزى إلى أسلوب التعبير الذي ساهم في إضفاء غموض معين، والذي جعل بعض الباحثين المحدثين يميلون إلى أسلوب الجدل الذي اتبعوه. إذ ينعكس هذا القصور بالتأكد في"التاريخ الكنسي" على فتور الاهتمام عند أوسيبيوس نفسه، وهذا أيضاً يجب أخذه بعين الاعتبار. فالجواب، لماذا قصر

المؤرخون الكنسيون الأوائل في حماستهم لوصف مسيحية أول إمبراطور روماني مسيحي، ربما يكون في حقيقة أن أوسيبيوس كان على علاقة خاصة جداً بقسطنطين. لأن استثناءات التحول لصالح المسيحية بواسطة قسطنطين من الطبيعي أن تجعل من أوسيبيوس أداة المديح المفرطة في هذا التحول، إذ لم يكن الهدف مديح قسطنطين وتمجيده فقط،بل حياته وإنجازاته نفسها . فقد أسس أوسيبيوس نظام تأريخه، عندما كتب التاريخ الكنسي، عن فترات حكم الأباطرة الرومان، وقدم حوادث التاريخ الكنسي بتعليق كل منها بفترة حكمها الخاصة بها . وليس من الصعب رؤية كيف جعل المديح المفرط من قسطنطين وفترة حكمه شيئاً خارقاً للعادة، خاصة مجيئها بعد فترة الاضطهاد الكبير والابتلاء الذي وقعت به الكنيسة. وبالانسجام مع قواعد فن المديح الغنائي اعتقد أوسيبيوس في تاريخه الكنسي أن فترة الحكم الأخير- فترة حكم قسطنطين- هي الفترة التي شهدت انتصار المسيحية كتتويج للمحن التي تعرضت لها الكنيسة خلال القرون الثلاثة السابقة. وبدون طمس الحقائق في فترة حكم فيليب أول إمبراطور مسيحي، قدم أوسيبيوس حكم قسطنطين بألوان متلألئة حجبت فيليب وأغمطته حقه وجعلت الغالبية من المؤرخين يتناسون، أو حتى يشكون في حقيقة، أن فيليب كان أول إمبراطور روماني مسيحي. وهكذا فقد أرجع الكثير من المؤرخين المحدثين هذا الشرف بالنتيجة إلى قسطنطين.

يبقى من غير المعروف فيما إذا درس أوسيبيوس وتفحص فيليب كإسماعيلي أو سَراقيني مقيم متصلاً من الناحية العرقية بالهيروديين أيام العهد الجديد ونسبه إلى عائلات ومدارس عقائدية معروفة بالهرطقة في الأزمنة التالية. فلو كان صحيحاً أن أوسيبيوس أخذ بتلك الرؤية فهذا يعني أن صورة العرب عنده كانت من ضمن أسباب الرفض لمنح فيليب مفخرة وامتياز كونه أول إمبراطور روماني مسيحي[1] .

لم يكن أوسيبيوس فقط في أهليته واستيعابه كمداح مفرط لقسطنطين هو المسؤول عن إضفاء الغموض على مسيحية فيليب، بل قد يكون من الواضح أن مسيحية فيليب والظروف التي أحاطت بحكمه أيضاً قد أدت إلى فتور الحماسة عند

١- عن إلمام أوسيبيوس بالعرب، انظر صفحات الفصل السابع من هذا الكتاب ، خاصة العلاقة المرتبطة بصمته عن أبجر الثامن: أول حاكم مسيحي لاديسا (الرها) وأي دولة شرقية قريبة منها، انظر ملحق هذا الفصل من هذا الكتاب.

أوسيبيوس كي يصور فيليب حسب روايته. ويمكن أن نذكر الحقائق والمظاهر التالية عن مسيحية فيليب، وذلك من أجل المقارنة والاختلاف مع ما اتصف به قسطنطين:

١- لم يكن فيليب متحولاً تبنى المسيحية تحت ظروف عنيفة كتلك التي رافقت تحول قسطنطين وأثرت على كل مؤرخيه المستقبليين بالإضافة إلى معاصريه ابتداءً من المؤرخ الرئيسي أوسيبيوس.

٢- بقيت مسيحية فيليب في كل الاحتمالات- على عكس مسيحية قسطنطين- ذاتية وشأناً خاصاً، لكنها مع ذلك لم تكن سرية في حين كانت إيماءاته الودية مع المسيحيين وإصلاح أحوالهم مهمة كما كانت[1]، إذ لا يمكن مقارنتها بما فعله قسطنطين للمسيحية مثل وثيقة إعلان المسيحية كدين للدولة، وانتهاء حملات الاضطهاد، وتأسيس عاصمة الدولة المسيحية، والدعوة إلى اجتماع الجمعية الكنسية في نيقيا Nicaea، وبرنامج البناء العظيم في البلاد المقدسة وفي أماكن أخرى.

٣- على عكس قسطنطين،كانت فترة حكم فيليب قصيرة الزمن امتدت لخمس سنوات فقط؛ فما الذي كان سيقدمه للمسيحية لوامتدت فترة حكمه للفترة نفسها التي امتدت فيها فترة قسطنطين! يبقى ذلك سؤالاً مفتوحاً. إذ يجب الحكم على فترة قيادة فيليب ليس من خلال علاقة التقدم التي مرت به المسيحية[2] وانتصارها على دولة الإمبراطورية الوثنية - انتصار هامشي - وتحويل العالم القديم أو الإمبراطورية الرومانية الذي نسب باستحقاق إلى تحول قسطنطين إلى المسيحية.

لذا، يجب رؤية الحقيقة من خلال رواية أوسيبيوس عن مسيحية فيليب ضمن حالتين:دور أوسيبيوس كمداح لقسطنطين،وفترة الحكم القصيرة وغير المهمة نسبياً مقارنة مع قسطنطين، وماذا قدمت للمسيحية. إن واحدة من الحالتين دون الأخرى قد تقدم بعض الاختلاف، إلا أن جمع الحالتين معاً سيشرح رواية أوسيبيوس في المنهج والمادة.

١- انظر الأمثلة المرقمة عن ذلك لأيغرين أو أيجرين في "العربية"، المجموعة ١١٦٧.

٢- كانت حتى أكثر من ذلك، وذلك بعودة القيادة إلى ديقيوس/ ديشيوس المتحمس للوثنية ومن بعده لحكام وثنيين آخرين. ويبدو أن أوروشيوس الذي قدر هذه الحقيقة لاحظ أن كل خلفاء قسطنطين، ما عدا يوليان، كانوا مسيحيين: "تاريخ ضد الوثنيين"، الفصل الثامن، الصفحة ٢٨.

ثانياً

إن العودة إلى المؤلفين اللاتين الثلاثة الذين تمت مناقشتهم، وهم ؛ جيروم، أوروسيوس، وفنسنت، تبدو ضرورية الآن. فكما أشير سابقاً من قبل الثلاثة الذين أكدوا مسيحية فيليب، ليس بشكل قاطع فحسب،وإنما أكدوا ذلك أيضاً عندما أشاروا بأنه كان المسيحي الأول بين جميع الأباطرة الرومان. وإن أهم واحد من هؤلاء الثلاثة يهم أوسيبيوس هو جيروم الذي عاش زمناً طويلاً في فلسطين،وترجم كتاب "حوليات التأريخ" من اليونانية إلى اللاتينية، وبما أن جيروم كان الأكبر سناً من معاصريه الآخرين فهو بالتالي الأقرب إلى الزمن الذي عاش فيه أوسيبيوس.

يشير جيروم لفيليب مرتين كأول إمبراطور مسيحي في "حوليات التأريخ" و "كتاب مشاهير الرجال".

١- سبق أن تم تقديم تفسيرين فيما تقدم[1] للتأكيد القوي على مسيحية فيليب من وجهة نظر جيروم؛ واحدة منهما انعكاس وفيٌّ لما فكر فيه أوسيبيوس ومتساوٍ في الوفاء بإعادة إنتاج النص الأصلي "تأريخ" جيروم في اللغة اليونانية[2]. وهذا هو التفسير الأكثر احتمالاً لظهور تعبير "الأول" في النسخة اللاتينية من "التأريخ" الذي ترجمه جيروم في ٣٨٠م. وبدعم من هذه الرؤية يمكن الإدلاء بما يلي : - كتبت النسخة الأصلية من "التأريخ" حوالي ٣٠٣م، في حين تمت مراجعة هذه النسخة في العشرينات من هذا القرن على اعتبار أن تأريخها يستمر إلى فترة العشرينات من حكم قسطنطين- لأن السنة العشرين من حكمه كانت عام ٣٢٥. فالاحتمالات بظهور تعبير "الأول" ظهرت بالنسخة المبكرة من "التأريخ" التي كتبت ٣٠٣م، وذلك قبل الأحداث المميزة التي وقعت في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن، وذلك خلال الفترة التي تحول فيها قسطنطين إلى المسيحية، وأصبح أوسيبيوس بوقه الذي يهيل عليه الإطراء والمديح. إذ لم يكن أوسيبيوس عام ٣٠٣م على علاقة خاصة مع أي حاكم روماني، لكنه كان ضمن جماعة دينية مضطهدة. والأكثر احتمالاً في مثل ظروف كهذه أن يكون أوسيبيوس متعاطفاً مع فيليب وأن يشير له كأول إمبراطور روماني مسيحي. لكن يبدو

١- انظر الفقرة رقم (٦) من ثانياً من هذا الفصل من هذا الكتاب.

٢- من الملاحظ أن الأحداث خلال حكم فيليب كانت تتصل بكتاب "التأريخ" الذي كتبه أوسيبيوس نفسه وليس إلى الاستمرارية التي كتبها جيروم للسنوات ٣٢٥- ٣٧٨م.

من غير الواضح فيما إذا بدل أوسيبيوس صياغة روايته عن حكم فيليب عندما راجع "التأريخ" في العشرينات. وفي كل الأحوال، فقد ترجم جيروم primus بـ "الأول" إما من النسخة الأصلية أو من النسخة المعدلة، هذا إذا كان تعبير "أول" محفوظاً في النسخة المعدلة.

٢- كرر جيروم تعبير "أول" بعد اثني عشر عاماً في ٣٩٢م بإشارته إلى فيليب في الفصل الرابع والخمسين من كتابه "مشاهير الرجال". فهذا الفصل يعني بأوريجين، ويظهر التعبير "أول" في سياق رسالة أوريجين إلى فيليب؛ كما أن جيروم يشيرأيضاً إلى مسيحية فيليب في نفس الفصل بالعلاقة إلى حملة الاضطهاد التي أطلقها ديقيوس. فالإشارة إلى فيليب في الفصل الذي كُتب عن أوريجين توحي بأن جيروم الذي يتكئ بكل ثقله على أوسيبيوس في كتابه the Liber de viris inlustribus ربما يكون قد وضع "التاريخ الكنسي" أمامه عندما كتب الفصل الخاص بأوريجين، على اساس أن رسالة أوريجين إلى فيليب قد ورد ذكرها في "التاريخ الكنسي" وليس في "حوليات التأريخ" الذي ترجمه جيروم. وعلى عكس "تأريخ" أوسيبيوس، فقد عايش "التاريخ الكنسي" في نسخته اليونانية الأصلية حتى ذلك الوقت، وأن الإشارة إلى فيليب في "كتاب مشاهير الرجال" وفي "التاريخ الكنسي" الذي كان المصدر الأكثر احتمالاً الذي أخذ منه جيروم يثير التساؤل إن كان أوسيبيوس قد راجع روايته لحكم فيليب في المراحل الأخيرة أو الإصدارات الأخيرة من "التاريخ الكنسي". فقد كان يمكن لجيروم أن يأخذ التعبير "أول" من "التأريخ" الذي ترجمه قبل اثني عشر عاماً[1]، لكن الإشارة إلى أوريجين- كما تمت مناقشتها- توحي بمصدر مختلف وهو"التاريخ الكنسي". وما قيل عن "التأريخ" في نسختيه عامي ٣٠٣، ٣٢٥م قد يقال أيضاً عن "التاريخ الكنسي" وإشاراته إلى فيليب ومسيحيته. فقد مر "التاريخ الكنسي" في مراحل متعددة أضاف أوسيبيوس إليه حوادث استثنائية تعاقبت وراء بعضها البعض في العقدين الثاني والثالث من هذا القرن خلال هيمنة قسطنطين على الحكم[2] .ويبدو من الملاحظ أن

١- ربما كان محتملاً أن الرواية عن حكم فيليب في النسخة اللاتينية من"التأريخ" قد تأثرت "بالتاريخ الكنسي"، انظر الملاحظة قبل الأخيرة من (هـ) من القسم الأول من الفصل السابع، في هذا الكتاب.

٢- انظر كويستن في "تاريخ الآباء اللاهوتيين"، المجلد الثالث، الصفحة ٣١٥.

المصادر التي أشارت إلى فيليب تظهر في الكتاب السادس الذي يمكن عده واحداً من مجموعة من الكتب التي كتبت إما عام ٣١٢م أو قبل ذلك، أو حتى قبل اندلاع حملة الاضطهاد التي قادها دقلديانوس٣٠٣م، وذلك قبل ظهور قسطنطين كمسيحي وحامٍ للمسيحية، وقبل أن يصبح أسقف قيساريا بوقاً دعائياً له. فإذا ظهر التعبير "أول" في "التاريخ الكنسي"، فإنه سيكون قد ظهر في هذه المرحلة، ومن المحتمل جداً أنه ظهر في هذا الوقت، أو على الأقل أنه أظهر تأكيداً قوياً على مسيحية فيليب.

لا تحتوي النسخة المنقحة النهائية من "التاريخ الكنسي" على التعبير "أول"، ويثيرافتقارالتأكيد في رواية أوسيبيوس عن مسيحية فيليب السؤال في إعادة معالجة الرواية الأصلية على أساس أن أوسيبيوس أضاف الكتابين التاسع والعاشر، ومن المحتمل الثامن إلى التاريخ الكنسي، ومعها رواياتها عن فترة حكم قسطنطين. ويمكن فهم مثل هذه المعالجة الآتية من جانب المداح،الذي أراد أن يجعل من حكم قسطنطين - قمة أعماله- انتصاراً للمسيحية. ولو تمت مثل هذه المعالجة لفترة حكم فيليب لكانت أخذت بعض الدعم من إعادة المعالجة التي تمت لفترة حكم شخصية معروفة أخرى معاصرة لحكم قسطنطين هي أوغسطس ليسينيوس. وقد سبق مناقشة المرحلة الرابعة من "التاريخ الكنسي" المتمثلة : "بإزالة المقاطع التي تتضارب مع إدانة مذكرات ليسينيوس، وإضافة مقاطع أخرى تروي قصة سقوطه عام ٣٢٥م، في الوقت الذي انعقدت فيه الجمعية الكنسية في نيقيا"[١]. وفي قضية فيليب التي ربما أعيدت فيها كتابة رواية اعتناقه المسيحية بما ينتقص من قيمتها أو بما يجعلها تبدو حتى غير مهمة، وذلك من أجل تجميل وتعزيز صورة قسطنطين.

من الملاحظ أن أوسيبيوس لا يشير إلى بطله قسطنطين في "التاريخ الكنسي" كأول إمبراطور روماني مسيحي، وهذا ما كان متوقعاً من مداحٍ ومؤرخ للكنيسة أسس نظامه التأريخي على فترات الحكم التي تعاقب عليها الأباطرة الرومان الذين كان أغلبهم غير مسيحيين، بل ضد المسيحية. إذ يعد هذا شاهد غير مباشر على أن قسطنطين لم يكن أول إمبراطور روماني مسيحي؛ لأن أوسيبيوس لم يستطع أن يقدمه كذلك في عمل (التاريخ الكنسي) يشير إلى أحد الأباطرة السابقين له؛ فيليب الذي إن

١- نوقشت من قبل E. Schwartz وأوجزت من قبل كويستن Quasten.

لم يكن كأول إمبراطور روماني مسيحي، فعلى الأقل كمسيحي. غير أن مسألة إعطاء رمز النصر لقسطنطين كانت تدور في رأس أوسيبيوس، وكل ما استطاع أن يفعله في عام ٣٢٥م هو أنه أعاد تشكيل التاريخ الكنسي بأسلوب يتناغم مع إضفاء الغموض على مسيحية فيليب حتى لا يقلل من حجم المجد الذي أراده لقسطنطين. فبعد عشر سنوات وضع أوسيبيوس عملاً محصوراً بقسطنطين، وكان من الطبيعي ألا يأتي فيه على ذكر فيليب، إلا أنه اقترب من استخدام التعبير"أول". وكمداح لقسطنطين لم يكن من الصعب عليه أن يفعل ذلك حين أشار لقسطنطين في الفصل الثالث الذي يتحدث عن حياته[1]، بأنه "..كان الوحيد من بين جميع الذين استخدموا سلطانهم السياسي الروماني ببراعة ليكون صديقاً للرب؛ إله كل شيء الذي ظهر لجموع الجنس البشري بكل وضوح، ويكون مثالاً للحياة المسيحية المتدينة"[2]. فالحكم على قسطنطين، خاصة الجزء الثاني من حياته دون بشكل غير صحيح. فكاتب السيرة الذاتية الذي ينسى ذكر الجرائم[3] المنسوبة لقسطنطين وهو يكتب عن وجوده كمثال للحياة المسيحية المتدينة يكون مداحاً تحمله الحماسة بعيداً إلى الحد الذي يجعل من رواياته وأرائه تبدو كأنها مبالغات خطابية. ومع ذلك سيكون الحكم مهماً في نقاش مسألة أول إمبراطورروماني مسيحي وتقديم المرحلة الأخيرة[4] من الطريقة التي عالج بها أوسيبيوس كلاً من فيليب وقسطنطين، وبدأ بالنسخة المنقحة من "حوليات التأريخ" و"التاريخ الكنسي" في العشرينات من القرن الرابع.

ثالثاً

لو أن أوسيبيوس ترك السؤال مفتوحاً أو غامضاً عمن كان أول إمبراطور روماني مسيحي، ولو أن المؤلفين اللاتينيين؛ جيروم وفنسنت الليرني أعلنوا عن فيليب دون أي

١- انظر "حياة قسطنطين"، تحقيق. إف. وينكلمان، في الـ GCS التي صدرت في برلين عام ١٩٧٥م، الصفحات ١٦- ١٧.

٢- جدير بالملاحظة أن أوسيبيوس استخدم في عرضه كلمة "وحيد" اليونانية، وليس كلمة "أول"، دون أن يقدم مصدراً واضحاً عن مسيحية قسطنطين، كأنه كان متأكداً من أن "أول" ستكون لافتة للنظر بأنها ليست حقيقية.

٣- للمزيد عن ذلك، انظر (ب) من الفقرة (٢) من رابعاً في هذا الفصل.

٤- من اللافت أنه في السنة نفسها(٣٣٥م) التي نظم بها السيرة الشخصية لقسطنطين Vita تحدث عن العرب بتعابير ازدرائية في "أمجاد قسطنطين"، انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

إشارة إلى قسطنطين في أحكامهم الشديدة الوضوح، فقد كان هناك مؤلف لاتيني آخر جمع الاثنين معاً- فيليب وقسطنطين- في جملة واحدة معلناً أنه: باستثناء فيليب، كان قسطنطين أول إمبراطور روماني مسيحي[1]:

Primus imperatorum Chrisianus, excepto Philippo.

أرسل أوغسطين المؤلف أوروشيوس[2] إلى فلسطين، فزار جيروم في بيت لحم عام ٤١٥م. ومن المنطقي أن نفترض أن رؤيته على من كان "الأول" أخذت من جيروم الذي ينسب له تأكيده القوي لمسيحية فيليب. مع أن أراء وأحكام أورشيوس استخلصت من أعمال جيروم، فتكون مهمة على أساس أنها رأي المسيحية القديمة المتداول في هذه المسألة التي تم التعبير عنها من قبل واحد - على عكس أوسيبيوس- لم يكن على علاقة خاصة مع أي من هذين الإمبراطورين كما كان أوسيبيوس مع قسطنطين[3]. وتمثل أراء وأحكام أوروشيوس قياساً معيارياً، والأكثر من ذلك حكماً تعليلياً يقدم مسيحية فيليب في ضوئها الحقيقي وأهميتها في تاريخ المسيحية والكنيسة، أي أنها كانت تبشيرية تعود إلى أبسطول الثالث عشر[4].

١- أوروسيوس في "تاريخ ضد الوثنيين"، الفصل ٢٨ من المجلد السابع.

٢- عن أوروشيوس أو أورسيوس، انظر B. Altaner في "تاريخ الآباء اللاهوتيين" الذي ترجمته هيلدا سي. غرايف، وصدر في نيويورك عام ١٩٦٠م، الصفحات ٢٨٠- ٢٨١.

٣- استعمل "تاريخ أوروسيوس" في العصور الوسطى بشكل كبير كدليل للتاريخ العالمي الشامل. لذلك سلمت أوربا في العصر الوسيط، ومن خلال أوروسيوس، بصحة حقيقة فيليب كأول إمبراطور روماني مسيحي. وعندما فعلت أوربا ذلك، فقد تغلبت حينئذٍ على حكم مؤلف ثانوي أخذ من جيروم وأوسيبيوس.

٤- رددت فقرة أوروسيوس عن قسطنطين وفيليب صدىً حرفياً غالباً من مؤلف "منشأ الإمبراطور قسطنطين" المجهول، في جزئها الأول المسمى "فاليشيانوس المجهول". وقد وصف مومسن هذا الكاتب المميز الذي اختار أن يستشهد بأوروسيوس عن فيليب وقسطنطين- بأن سيرته ليست أقل من سيرة أميانوس الريادية، والذي تابع تاريخ روما من حيث سلفه هذا (يشير هنا إلى المؤرخ اللاتيني أميانوس مرقلينوس- المترجم). إذ قام بكتابة سيرة قسطنطين الذاتية في مؤلفه "منشأ الإمبراطور قسطنطين" (على عكس أوروسيوس الذي كتب في "تاريخه"عن كلا الاثنين فيليب وقسطنطين في القرنين الثالث والرابع)، ولذا لم يكن مضطراً أن يقرن معاً مسيحية قسطنطين مع مسيحية فيليب. لكنه فعل ذلك، وهذا ربما يوحي بوجود ادعاءات متناقضة لصالح أحد الإمبراطورين ليعد كأول إمبراطور روماني مسيحي وأن المسألة حسمت لصالح فيليب. انظر مومسن

ربما كان احتمال ربط أو قرن فيليب بقسطنطين، وليس ربط قسطنطين بفيليب أكثر أهمية من ربط أو قرن أوروشيوس لفيليب وقسطنطين معاً. وبما أن الفيليبين؛ الأب والابن لم يشر إليهما كمقدسين في المخطوطات، فربما تم على الغالب مسح أسميهما اللذين وجدا على هذه المخطوطات. إلا أن رواية يوتروبيوس[1] التي لا يمكن تجاهلها الآن، أفادت أنهما كانا معظمين، خصوصاً أن ستين نفسه - المعارض العنيد لمسيحية فيليب- اقترح إيجاد حل ممتاز للمشكلة المعروضة بأن يتم أخذ ما كتبه يوتروبيوس[2]. وقد جادل ستين بشكل مقنع بأن الاعتراف بفيليب كمسيحي لم يكن ليأخذ مكانه قبل حكم قسطنطين، لكن الأهم من هذا هو أن قسطنطين تأثر كمسيحي برواية أوسيبيوس عن فيليب كأول إمبراطور روماني مسيحي، يجب أن ينسب إليه شرف مثل هذا الاعتراف[3]. إذ لو بقي استنتاج ستين سارياً فسيدعم حينئذٍ وبشكل حاسم شهادات المؤلفين اللاتين الثلاثة.

تعد مسيحية فيليب أيضاً ذات علاقة بمناقشة رأي آخر يرتبط بعلاقة قسطنطين بمعاصره أوغسطوس ليسينيوس. وتشير "سيرة الحياة" في نهايتها المذكورة في " تاريخ أوغسطا "[4] عن الغورديان* الثلاثة إلى أن ليسينيوس أخذ نسبه

في "التاريخ المختصر الأول" في MGH ، مذكرة التاريخ الألماني، العدد التاسع الذي صدر في برلين عام ١٨٩٢م، الصفحة ١٠.

١- Beviarium,ed.F Ruhl,Bibliotheca Teubneriana / التقرير الرسمي المختصر، تحرير إف. روهل، صدر في لا يبزغ ١٨٨٧م، الفصل التاسع، الجزء ٣، مكتبة تيوبنريانا.

٢- Kleine Beitrage zur romischen Geschicht" / مساهمة متواضعة في التاريخ الروماني" لـ إي. ستين في دورية Hermes، العدد ٥٢، الصفحات ٥٧١- ٥٧٨، الذي صدر في عام ١٩١٧.

٣- من الجدير بالذكر أن دراسة لقى القطع المعدنية والنياشين يمكن أن تدعم هذا الرأي، على الخصوص، رأس فيليب الذي يظهر على ميداليتين من ميداليات قوس قسطنطين؛ ولمعرفة المزيد عن ذلك، انظر الصفحة ٥٧٨ من نفس الكتاب، الملاحظة ٤٧.

٤- Historia Augusta," Vita Gord.," 34. 5 / حياة الغورديان الثلاثة الذين أخذوا الاسم نفسه كما ورد في تاريخ أوغشطا ٣٤. ٥.

❖ حمل الأباطرة الثلاثة الاسم نفسه (٢٣٨- ٢٤٤م) خلال سنوات الأزمات الإمبراطورية. إذ أعلن غورديان الأول إمبراطوراً (لقب بالأفريقي Africanus) على روما ٢٣٨م، فأشرك ابنه

من فيليب[1] . وأن هذا الإدعاء- الذي من الممكن أنه كان ادعاءً مقابلاً لادعاء قسطنطين بانحدار نسبه لكلوديوس غوثيكوس- كان بالتأكيد ادعاءً ملفقاً، إلا أن الدافع من ورائه يستحق الاهتمام. إذ ربما كان اختيار ليسينيوس* باشتقاق نسبه من فيليب، وليس من إمبراطور آخر غيره، عائد إلى أن فيليب كان مسيحياً وإلى إمكانية أن قسطنطين هو الذي كان مسؤولاً عن تكريسه. وهذا قد يقدم المفتاح لفهم ادعاء آخر ملفق وضع على ليسينيوس. فليسينيوس لم يكن مسيحياً، لكنه اشترك مع قسطنطين بإصدار مرسوم ميلانو ٣١٣م**. إذ ربما تم ذلك لاستمالة أعداد ضخمة من المسيحيين في جميع أجزاء المشرق لأن ليسينيوس نفسه كان معظماً ومبجلاً فيه، أو لتشجيع ورعاية علاقات جيدة مع معاصره المبجل قسطنطين. لذلك فقد روج الادعاء بأنه ينحدر بنسبه إلى فيليب العربي أول إمبراطور روماني مسيحي.

رابعاً

يبقى أن ندرس ونناقش الطرف الآخر المرتبط بالمواجهة الكنسية الإمبراطورية في أنطاكية التي جرت في الثالث عشر من نيسان ٢٤٤م- إذ رفض الأسقف السماح لفيليب بحضور حفل عيد الفصح في الكنيسة واستقبله فقط بعد أن قدم اعترافاته وطلبه الغفران. وذلك على عكس التوازي الآخر مع هذه المواجهة- في ميلانو والقسطنطينية وكانوسّا - إذ كانت هذه المواجهة في أنطاكية غير معروفة نسبياً وكذلك الأسقف بيبيلاس الذي كان مشتركاً بها. إن الفحص المكثف المتعلق بمسيحية فيليب والفقرة الحاسمة في رواية أوسيبيوس عن الاعتراف وطلب الغفران في أنطاكية

غورديان الثاني في الحكم، إلا أنه قتل في معركة نوميديا في العام نفسه ، أعلن بعدها غورديان الثالث إمبراطوراً، فعين بدوره فيليب العربي قائداً للحرس الإمبراطوري - المترجم.

١- من الطبيعي أن يكون ذلك تلفيقاً مأخوذاً من "تاريخ أوغسطا"، انظر آر. سيم في "أميانوس وتاريخ أوغسطا" الذي صدر في أوكسفورد عام ١٩٦٨م، انظر أيضاً "الأباطرة والسير الذاتية"، الذي صدر في أوكسفور عام ١٩٧١م.

* كان ليسينيوس في حينه من جنرالات الإمبراطور قسطنطين المهمين- المترجم.

** يقضي مرسوم قسطنطين الذي صدر في ميلانو في العام ٣١٣م بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع أنحاء الإمبراطورية - المترجم.

(التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء الرابع والثلاثين) تجعل من الضروري العودة إلى الأسقف بيبيلاس Babylas وإلى مشهد الاعتراف وطلب الغفران.

١- يستحق أكثر شهداء أسقفية أنطاكية شهرةً بعد أغناطيوس في الفترة الرومانية أن يكون معروفاً[1] لاستشهاده بالإضافة إلى اسمه المترافق مع المواجهة الإمبراطورية - الكنسية حين حدوثها في أنطاكية بالتوازي مع ما جعل من أسماء أمبروس ونيكولاس ميستيكوس وغريغوري معروفة بشكل أفضل. ولذا فقد ساهمت عوامل كثيرة في الغموض النسبي الذي يعزى كثير منه إلى بيبيلاس:

أ- كان أوسيبيوس المصدر الأقدم لكنه لم يكن الأشمل في رواية المواجهة إذ لم يذكر حتى الاسم الذي كان يتوجب إما استنتاجه أو استخلاصه من مصادر أخرى.

ب- إن تَرجَمَتَي آثاره المقدسة في القرن الرابع اللتين طلبهما - لسببين مختلفين - القيصر غالوس والإمبراطور جوليان، تضمنت معاناته بعناصرها الخارقة للعادة[2]، والتي تعززت بشكل أكبر بعد أن تم إنشاء التعابير الأدبية من قبل الخطيب المفوه جون كريسوستون في عظتي مديح له[3]. كل ذلك عمل لمصلحته، بجعل الدارسين يميلون إلى رأي مريب بأن حقائق حياته غير المبهرجة التي تحدث عنها أوسيبيوس المصدر الأقدم والأكثر ثقة، رغم المبالغة والتجميل والتنميق الخطابي، تبقى مفهومة كبحث تبريري

١- انظر المقالة القصيرة عن القديس بيبيلاس في "القاموس التاريخي والجغرافي الكنسي" العدد الرابع الذي صدر في العام ١٩٣٢م، المجموعة ٣٣؛ والمقال الأوسع ظهر في "المكتبة المقدسة"، وهو الأثمن أيضاً في إبراز صورة القديس بيبيلاس في الفنون، انظر المكتبة المقدسة، العدد الثاني الذي صدر عام ١٩٦٢م، المجموعات ٦٧٩- ٦٨١ .

٢- انظر مكتبة سير القديسين اليونان، المجلد الأول، في الصفحات ٧٤- ٧٥، ومكتبة سير القديسين اللاتين، المجلد الأول، الصفحة ١٣٨ من الحلقة الدراسية النقدية عن القديس بيبيلاس، انظر كذلك "القديسَين بيبيلاس" في "مجموعة البولنديانا" ١٩، التي صدرت ١٩٠٠م، الصفحات ٥- ٨، انظر أيضاً H.Delehaye في أعمال متعددة منه " Les Passions des martyres et les genres Litteraire/معاناة الشهداء والأجناس الأدبية"، صدر في بروكسل ١٩٢١، في الصفحات ٢٠٩- ٢١٠، ٢٣٢؛ انظر أيضاً "بيئة عبادة الشهداء" في سير القديسين الثانوية / Subsidia Hagiographica، المجلد ٢٠ الذي صدر عام ١٩٣٣م، الصفحات ١٩٣- ١٩١ .

٣- انظر كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثالث، الصفحات ٤٦٧- ٤٦٨ .

بشكل كامل لنسيان معاناة الآلام التي مر بها. فقد كان كريسوستون هنا يعكس تأثير العادات والتقاليد الأنطاكية المحلية المهمة على المواجهة الكنسية - الإمبراطورية مستقلاً بذلك عن أوسيبيوس القيساري ومؤيداً لها.

٢- بالفحص الدقيق للفقرات الواردة عند أوسيبيوس في "التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء الرابع والثلاثين" الذي يشير إلى بيبيلاس يوحي أن أوسيبيوس ربما كان شاملاً وتفصيلياً عندما كتب عن بيبيلاس بوصفه آكثر مما كان فعلاً :

أ- فهو يصف في مقطعه الحاسم المواجهة مع فيليب بينما ترك بيبيلاس مجهولاً وذلك، بالرغم من معرفة أوسيبيوس المؤكدة من كان كاهن الاعتراف للإمبراطور التائب، فقد أشار إلي أبرشيته في أنطاكية مرتين في مواضع أخرى[1]، إذ اختار أوسيبيوس أن يشير إليه ليس باسمه ولكن من خلال وصفه المسهب كواحد يترأس الكنسية في أنطاكية.

ب- يذكر أوسيبيوس بيبيلاس بالاسم مرتين فقط ، ولكن بشكل سريع، بالرغم من أن بيبيلاس كان أسقف أنطاكية الأكثر شهرة في الفترة الرومانية بعد أغناطيوس[2]، فقد كان أغناطيوس بالطبع أكثر أهمية من بيبيلاس، لكن بيبيلاس شق طريقه نسبياً كشخصية عظيمة في التاريخ الكنسي. فحتى لو أن اعتبارات المكان والزمان والأهمية النسبية كانت فعالة في تأليف "التاريخ الكنسي" لوجب على أوسيبيوس أن يذكره بالاسم على الأقل وليس بالإطناب الوصفي وهو يقوم بوصف مواجهته مع فيليب في أنطاكية. فبقاء اسم بيبيلاس مجهولاً يبعث على الشك والارتياب.

إن رواية أوسيبيوس والنتائج التي توصل إليها عن فيليب في الأقسام السابقة من هذا الكتاب تطرح السؤال الذي ربما يخطر بالبال ويمكن السحب عليه: لماذا لم يكن أوسيبيوس مهتماً بما فيه الكفاية ليروي قصة مسيحية فيليب. أليس من الممكن أن يترك أوسيبيوس اسم بيبيلاس عمداً خشية من أن اسم الأسقف الذي

١- انظر التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزأين التاسع والعشرين والتاسع والثلاثين.

٢- قارن بين الملاحظتين القصيرتين جداً عن بيبيلاس مع رواية أوسيبيوس الشاملة عن أغناطيوس في "التاريخ الكنسي"، الفصل الثالث، الجزأين الثاني والعشرين والسادس والثلاثين .

جعله مشهوراً باستشهاده اللاحق يجب أن يقدمه كاسم لامع لما تم من طلب الغفران الذي شهدته أنطاكية ومعه حقيقة مسيحية فيليب كمتقدم على بطله قسطنطين[1]. وبالتناوب، وربما لقبول ظاهري أكثر، من الممكن أن أوسيبيوس تجنب ذكر بيبيلاس ورتبته الكنسية كأسقف لأن ذكر اسمه ورتبته بوضوح سيجتذب الاهتمام إلى حقيقة الأساقفة الذين كتب عنهم أوسيبيوس في روايته خلال حكم قسطنطين، والذين لم يمتلكوا شجاعة بيبيلاس قبالة فيليب كموقف قبالة قسطنطين نفسه كمعاملة مماثلة للجرائم التي ارتكبها قسطنطين ومقارنتها مع أفعال فيليب التي لم تكن بخطورة[2] الأفعال التي ارتكبها قسطنطين. وفي الحقيقة لم يحدد أوسيبيوس جريمة فيليب ضد غورديان الثالث كي تؤيد هذه الرؤية لأن التحديد يتطلب دعوة أبعد مدىً من المقارنة مع الجرائم التي ارتكبها قسطنطين، وبالترتيب نفسه، ولكن ببشاعة أكبر[3]. ويعد هذا التفسير البديل أكثر أهمية إذا ما أضيف إلى ما تطرق إليه الحديث أعلاه[4]؛ لماذا لم

١- ليس من المستحيل أن بيبيلاس حمل رؤى لاهوتية غير متوافقة مع أوسيبيوس؛ والذي جعل أوسيبيوس يحمل شعوراً قوياً عن البدع والهرطقة (التاريخ الكنسي، الفصل الأول، الجزء الأول، الصفحة الأولى)، إذ لم يستطع أن يبرهن على ما رآه في بيبيلاس، خاصة اللامبالاة في الإشارة إليه في "التاريخ الكنسي"، الفصل السادس، الجزء الرابع والثلاثين. إذ لم يبق أي شيء مما إذا كتب بيبيلاس، أي شيء.

٢- تغاضى فيليب عن مقتل غورديان من قبل الجند الذين صخبوا مطالبين برجل يقودهم، وليس ولداً (كان غورديان الثالث صغير السن ضعيف الشخصية وقليل الخبرة، إذ ثار عليه الجند ثم طالبوا فيليب بإعلانه إمبراطوراً – المترجم).

٣- هذه أيضاً تحتوي على جرائم قتل من بينها قتل ابنه الأكبر كريسبوس وزوجته الثانية فاوستا. وقد أخذت هذه الحوادث مكانها في عام ٣٢٦م، وذلك بعد الإنهاء المتوقع للنسخة النهائية من "التاريخ الكنسي" عام ٣٢٥م؛ لكن، وبالرغم من أن التاريخ الكنسي وصل إلى نهايته كعمل خلال عام ٣٢٥م، فيحتمل أن مراجعته قد تمت فيما بعد خلال سنوات العشرينات، بالإضافة إلى وقوع جرائم أخرى ارتكبت قبل ٣٢٥م مثل إلقاء المساجين إلى الحيوانات المفترسة على مسارح ترايير وكولمار.

٤- أنظر الجزء الثالث- ثانياً، من هذا الفصل. إذ أن التفسير البديل الوارد في هذا الفصل ربما يسلط الضوء على المحذوفات الخطيرة من الفقرة المعنية في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء التاسع والثلاثين، وبالتحديد اسم الأسقف وطبيعة الجريمة المنسوبة إلى فيليب.

يكن أوسيبيوس متحمساً لإعلان مسيحية فيليب التي كانت مصاحبة للمواجهة الكنسية - الإمبراطورية التي قد تكرر في فترة حكم قسطنطين لو كان هناك أساقفة يتمتعون بمكانة بيبيلاس الأخلاقية والروحية. فلو أن هذه المواجهة تكررت في فترة حكم قسطنطين لكان ذلك إعلاناً عن جرائم[1] الإمبراطور، الذي أسهب أوسيبيوس بحماس شديد بوصفه يتمتع بالطهارة والمبادئ المسيحية.

٣- إن الدفاع عن صحة وأصالة العبارة ذات الصلة التي قدمها أوسيبيوس عن المواجهة الكنسية الإمبراطورية تجعل من الممكن استنتاج النتائج التالية عن استشهاد أسقف إنطاكية:

أ- كانت هذه أروع ساعة لبيبيلاس قبل استشهاده بستة أو سبع سنوات لاحقة من فترة الاضطهاد التي رعاها ديقيوس. فكشفت الحادثة عن المبادئ الكنسية الصارمة[2]، وعن النسيج الروحي الذي يتمتع به الشهداء، إذ تمثل المواجهة الأولى من تلكم المواجهتين مع الأباطرة الرومان التي انتصر فيهما بيبيلاس: الأولى مع فيليب الذي تحداه الأسقف في كنيسة أنطاكية، والثانية مع ديقيوس الذي تحداه فيها بالشهادة في سجن أنطاكي[3].

ب- تمثل المواجهة أهمية عظمى في علاقات التاريخ الكنسي الإمبراطوري. فقد ظهر بيبيلاس كالأول، بعد النبي ناثان في زمن التوراة، ليلقي بالتحدي بوجه حاكم

١- أجل قسطنطين معموديته حتى نهاية حياته وذلك لأنه أراد إجراء تعميده في الأردن- حسبما صرح هو نفسه، لكن تأجيله هذا ربما يعود أيضاً إلى السبب بأن التعميد يقتضي التصريح بالاعتراف بالخطايا والحوادث المحرجة التي ارتكبها قبل تعميده. فقد يكون من الملاحظ أن الأسقف الذي حضرَ قسطنطين للطقوس الدينية النهائية لم يكن أوسيبيوس القيساري بل كان أوسيبيوس النيكوميدي الذي بالنتيجة؛ يمكن أن يكون أفضل مصدر عليم عن هذه الخطايا إذا كان قسطنطين قد اعترف بها. لذلك من الممكن أن التأريخ قد عانى من حقيقة أن أوسيبيوس الذي حضَر قسطنطين للتعميد لم يكن أوسيبيوس المؤرخ الكنسي الذي قد يراجع ويعدل ما كتبه عن قسطنطين في "التاريخ الكنسي"، وفي "حياة وأمجاد قسطنطين"، لو كان سمع اعتراف بطله.

٢- يروى أنه طلب قبل استشهاده أن يدفن وهو مقيد في سلاسله.

٣- كان ينتصر حتى بعد مماته للمرة الثالثة على الإمبراطور جوليان، انظر المقالات المذكورة في الملاحظة السابقة الموجودة في النص (ب) من الفقرة الأولى من رابعاً في هذا الفصل.

مسيحي، لذلك فهو يستهل سلسلة المواجهات الثلاثة المتعاقبة في الفترة المسيحية التي تمثلت في فكرة "الإمبراطور في طلب الصفح والغفران" في ميلانو عام ٣٨٠م بين القديس آمبروس وثيودوسيوس، وفي القسطنطينية عامي ٩٠٦- ٩٠٧م بين البطريرك نيكولاس ميستيكوس والإمبراطور ليو السادس، وفي كانوسَا عام ١٠٧٧م بين البابا غريغوري السابع والإمبراطور هنري الرابع. مع أن هذه الحوادث الثلاثة كانت أكثر إثارة، في حين أن ما حدث في أنطاكية لم يكن مسبوقاً في الفترة المسيحية، ولذلك ظهر بيبيلاس دون أن يسبقه أحد، وعلاوة على ذلك، أخذت الحادثة مكانها قبل انتصار المسيحية في القرن الرابع، وذلك عندما كانت المسيحية ما تزال مضطهدة وتتحمل وجوداً متداعياً. كل ذلك جعل من بيبيلاس يقف موقفاً شجاعاً بل استثنائياً كمثال للنصر الكهنوتي على الإمبراطورية[١] .

١- ربما أعاد النقاش السابق تاريخية المقطع الحاسم عند أوسيبيوس في (التاريخ الكنسي، الفصل السابع، الجزء الرابع والثلاثين) التي مرت تحت حجب من السحب فيما يخص فيليب وبيبيلاس. إذ يجب الاعتراف بالمواجهة الكنسية - الإمبراطورية كحقيقة وقعت. لذلك، فمهمة الباحث في مثل هذه المواجهات قد تأخذه إلى ميلانو وكانوسَا، ويجب أن تضم أنطاكية الآن، إذ يجب فعلاً البداية منها. جعل نيكولاس أواكومو ميدز، مؤخراً، من المواجهة الإمبراطورية ـ الكنسية التي حدثت في القسطنطينية معروفة بشكل أفضل، ولذا فقد كانت المواجهات الأربعة موزعة بالتساوي بين الشرق والغرب؛ انظر نيكولاس أواكومو ميدز في "ليو السادس والنارثيك موزاييك لقديس صوفيا" في أوراق الناشر دمبارتون أواكس، العدد الثلاثين، الذي صدر في عام ١٩٧٦م ، الصفحات ١٥٣- ١٧٢ .

ملحق

بعد كتابة هذا الفصل عن أول إمبراطور روماني مسيحي انصب اهتمامي على كتابة مقال عن فيليب العربي[1]، إذ قادني بدوره إلى مقال سابق عن نفس الموضوع[2]. ويعتبر المقالان مهمين لفهم أفضل لفترة الحكم، ولذا من الضروري أن نناقش بإيجاز علاقتهما بالجدل القائم في هذا الفصل.

أولاً

كان هدف يورك إعادة الاعتبار لفيليب. إذ تعتبر كلماته الخاصة أفضل تلخيص لرؤاه: «..شوهت الأجيال اللاحقة صورة فيليب لصالح ديقيوس الذي خلفه، وللسخرية، لصالح سلالة قسطنطين أيضاً. وبالرغم من العنف الماثل في معظم الروايات عن حكمه فقد كان فيليب العربي حاكماً ممتازاً تستحق فترة حكمه إعادة الاعتبار إليه. فإذا كان الإمبرطور فيليب مسيحياً - كما كان محتملاً - فإن حكمه في التاريخ الروماني يجب أن يحظى بشأن عظيم جديد».

حلل يورك بنجاح المصادر غيرالمتوافقة مع فيليب[3]. فمن ضمن أشياء أخرى، سحب يورك استنتاجات جديدة عن تورط فيليب أو بالأحرى تقصيره في موت غورديان[4]، وعلى الطريقة التي مات بها فيليب أيضاً[5].

كان نجاح يورك أقل في محاولته حل مشكلة مسيحية فيليب والأمورالمتعلقة بها[6]:

١- لم يتحقق يورك من وجود خطأ منسوخ أو التباس كلامي في رواية جيروم بخصوص المراسلة التي تمت بين أوريجين وفيليب[1]. وكنتيجة، رأى يورك أن فيليب

١- انظر كروزيل في "مسيحية الإمبراطور فيليب العربي"، الذي صدر عام ١٩٧٥، الصفحات ٥٤٥- ٥٥٠ (ستسمى اعتباراً من هنا، المسيحية). لا يسعني إلا ان اشعر بالإمتنان للاستاذ T.D. Barnes للفت انتباهي على مقاله.

٢- انظر John M. York, Jr في "صورة فيليب العربي" في "التاريخ"، ٢١، الذي صدر عام ١٩٧٢م ، الصفحات ٣٢١- ٣٣٢ (الذي سيسمى اعتباراً من هنا، الصورة) .

٣- نفس المصدر السابق، الصفحات ٣٢١- ٣٢٦.

٤- نفس المصدر السابق، الصفحات ٣٢٥- ٣٢٦.

٥ - نفس المصدر السابق، الصفحات ٣٣٢ للخامس، والصفحات ٣٢٦- ٣٣٢ للسادس .

٦- نفس المصدر السابق، الصفحات ٣٣٢ للخامس، والصفحات ٣٢٦- ٣٣٢ للسادس .

الأصغر هو من استلم رسالة أوريجين وكان أول إمبراطور روماني مسيحي[٢]. وهذا يشرح جزئياً لماذا يفكر يورك بأن مسيحية فيليب البكر كانت محتملة فقط ولا شيء أكثر من ذلك، وذلك حسب ما ورد في الجملة بين الأقواس الصغيرة أعلاه.

٢- الأهم ، هو رؤية يورك لمعنى الكلمة logos التي وردت عند أوسيبيوس في الفقرة الحاسمة التي تؤسس لمسيحية فيليب. فقد وضع أمامه الرأي غير المقبول الذي يقول: أن" من المحتمل أن أوسيبيوس قد أخذ حادثة فيليب كتقليد شفاهي من أبرشية أنطاكية التي حدثت بها الوقائع محل الحديث[٣]" . فرأيه أن رسالة أوريجين كانت مرسلة إلى فيليب الأخ الأصغر وليس الأخ الأكبر يجب أن تعزى إلى فشله في رؤية مصدر الفقرة التي أشار إليها أوسيبيوس في رسالة أوريجين وإلى رؤيته التي تمثل التقليد في الرواية الشفاهية الأنطاكية، في حين أنه من باب أولى كان يجب عليه تقديم شاهد صلب لمسيحية فيليب الآتية من جانب أوريجين نفسه.

بالرغم من هذه الإنتقادات، ذهبت مقالة يورك بعيداً من أجل إعادة الاعتبار لفيليب[٤]، بالرغم من أنها تركت مسألة مسيحية فيليب مفتوحة دون قرار.

ثانياً

يعتبر مقال كروزيل Crouzel مقالاً مهماً في تصحيح مقالة يورك عن مسيحية فيليب؛ إذ تظهر مواطن صلاتها بالنقاط التالية:

١- يوجد فعلاً تقليد أنطاكي لمسيحية فيليب تمثلت بعظات جون كريسوستون وحولية عيد الفصح، لكن هذا التقليد يعد أكثر ارتباطاً بالقديس بيبيلاس منه بفيليب[٥].

١- عن ذلك، انظر الملاحظة الهامشية في (د) من الفقرة (٦) من القسم الثاني في هذا الفصل.

٢- " الصورة"، الصفحة ٣٢٩.

٣- المصدر نفسه في الملاحظة السابقة الصفحة ٣٢٧.

٤- من أجل الكلمة الموجهة إلى فيليب وواجباته بدلالاتها المسيحية؛ انظر نفس المصدر السابق في الصفحة ٣٣١. من الجدير الإشارة إلى احتفال الدفن المهيب خلال حكم فيليب الذي تم في روما للبابا بونتيانوس الذي نفاه مكسيموس ثراكس؛ انظر غريغوار في "الاضطهاد"، الصفحة ٩٠، الملاحظة الهامشية رقم ٣.

٥- " المسيحية "، الصفحات ٥٤٦- ٥٤٧.

٢- لم يعرف أوسيبيوس هذا التقليد الأنطاكي؛ فلو عرفه، لكان ذكر اسم الأسقف الذي اشتبك بالمواجهة مع فيليب، وتحديداً بيبيلاس ومشهد المواجهة في أنطاكية[١].

٣- تشكل رسائل أوريجين إلى فيليب وزوجته سيفيرا المصدر الأكثر احتمالاً لأوسيبيوس عند كتابته القسم المتعلق بمسيحية فيليب في التاريخ المسيحي[٢].

تعتبر الفقرة الثالثة هذه الأكثر صلةً بهذا الفصل الذي يتحدث عن أول إمبراطور روماني مسيحي. إذ يصف كروزيل رسائل أوريجين، نتيجة ما توصل إليه، إلى أنها كانت مصدر فقرة أوسيبيوس مع العبارة "محتمل جداً"، في حين أنني ناقشت بأنها كانت أكثر من ذلك. وبفعل ذلك، استخرجت شاهداً من جيروم وفنسنت الليرني[٣]. اللذين قرأا تلك الرسائل المفقودة، والتي اعتبرها كروزيل خسراناً يرثى له، إذ منعه من الارتقاء من الاحتمال إلى التأكيد[٤].

إضافة إلى النقاط الثلاثة السابقة، لم ير كروزيل في أوريجين، كما رأى فيه يورك، معلماً لفيليب، ولم يستطع أن يرى أفعالاً محددة في الرسالة تدلل على تأثير الطبيب الإسكندراني[٥]. ومن المناسب أن يقال شئ ما عن رأي يورك في عقيدة أوريجين

١- المصدر نفسه في الملاحظة السابقة، الصفحة ٥٤٧. يبدو مستغرباً إن كان أوسيبيوس لا يعلم هوية الأسقف بيبيلاس أو مدينة أنطاكية؛ فهاتان حقيقتان كانتا معروفتين للإمبراطور ديقيوس حسب رواية عيد الفصح! انظر المصدر نفسه أعلاه، الصفحة ٥٤٦ . قدمتُ شرحاً بديلاً عن الصمت الذي التزمه أوسيبيوس على هاتين الحقيقتين، انظر الفقرة رقم ٢ من رابعاً من هذا الفصل.

٢- "المسيحية"، الصفحة ٥٤٧ .

٣- انظر الصفحات في القسم الثاني، الفقرة (٦) بكاملها، والصفحتين الأولى والثانية من القسم الثالث من هذا الفصل.

٤- يظهر أن كروزيل وافق على رؤية يورك في رواية جيروم عن رسالة أوريجين إلى فيليب الأصغر، لكنه لم يستطع استخدام مصدر جيروم الثمين عن رسالة أوريجين في تأكيد حل مشكلة مصدر معنى فقرة أوسيبيوس؛ عد إلى الملاحظة في (د) في الفقرة (٦) في القسم الثاني في هذا الفصل.

٥- "المسيحية"، الصفحات ٥٤٨- ٥٤٩، ملخصة في المقطع الأخير على الصفحة ٥٥٠ .

الخلاصية التي ربما ورثها فيليب[1]، ولو من باب شرحها أوجعلها سهلة لفهم حقيقة أن فيليب المسيحي احتفل بالعيد الألفي الاسطوري لتأسيس روما كإمبراطور وثني[2].

بعد سنتين من نشر كروزيل لعمله" المسيحية" عام ١٩٧٥م ظهر" أوريجين" للمؤلف P.Nautin الذي تبنى فيه موقفاً متطرفاً من الشك بمسيحية فيليب[3]، وذلك رغم تحليل كروزيل البديهي والمقنع. إذ قد يعود ذلك إلى حقيقة أن كروزيل لم يدقق بالتفصيل معنى الفقرة التي أوردها أوسيبيوس كي يستطيع في النهاية أن يقرر أن استخلاصها من رسالة أوريجين كان فقط محتملاً جداً[4]. لهذا بقيت أشباح الحقيقة تطوف بمعنى الفقرة، كما بقيت مسيحية فيليب المرفوضة بقوة من قبل ستين في مقاله الجذري في "موسوعة علم الآثار الكلاسيكية الألمانية" RE غير مؤكدة. ويمكن بالتأكيد حل المشكلتين المتصلتين بتحليل مسهب فقط لمعنى الفقرة الجذرية لأوسيبيوس والمواجهة المباشرة مع كل الجدل الذي باشره إرنست ستين بالهجوم المدمر ضد مسيحية فيليب[5].

ثالثاً

قرر عالما اكسفورد المميزين بعد قرأتهما لمسودة هذا الكتاب بمجمله باسهامهما المهم لمناقشة معنى الجملة أو الكلمة الجذرية التي ساقها أوسيبيوس. وعلى إثر مناقشة الجملة في الملحق وجد من الضروري تضمين اسهام هذين العالمين في :

٦- يتوجب التفكير باحتمال أن الإمبراطور لم يستوعب عقيدة الخلاص اللاهوتية.

٧- إن ما قيل عن وثنية أبسطوطل الثالث عشر نفسه وقسطنطين يعتبر كافياً من الناحية التحليلية لإمكانية التماس عقيدة أوريجين الخلاصية غير ضرورية (القسم الثاني، الفقرات ٤ و٥ و٦، أ في هذا الفصل). وعلاوة على ذلك، فما حصل كان أمراً استثنائياً؛ بالاحتفال بالعيد الألفي لتأسيس روما، وإجراء الاحتفال حسب الطقوس الوثنية للإمبراطورية، حتى وإن كان الإمبراطور مسيحياً.

١- خصوصاً الصفحات ٩١ ، 375f.

٢- ربما افتقد نوتين مقالة كروزيل، إذ يوجد إشارة إلى كروزيل في مقدمة نوتين، الصفحة ٧، الملاحظة رقم ١، لكنها تشير إلى عمل ظهر عام ١٩٧١م، قبل أربع سنوات من إصدار كتاب "المسيحية" عام ١٩٧٥م.

٣- يشير كروزيل إلى مقال ستين مرة واحدة فقط ليذكر إثباته لتاريخ ميلاد فيليب في عام ٢٠٤م ؛ انظر "المسيحية"، الصفحة، ٥٥٠، الملاحظة ٢٣.

١- كتب السيد C.H Roberts قائلاً: "من الطبيعي أن أوافق معك بأن الكلمتين - يكن مسيحياً- أخذتا ليس كجزء من- الكلمة / الجملة - بل كتعليق لأوسيبيوس". وهذا ما شجعني على أن أفصل بين هاتين الكلمتين من الفقرة كإشارة أخرى فعلها أوسيبيوس، وذلك بحقيقة تأييده لمسيحية فيليب العربي. مع أنني لم أؤكد أهمية هاتين الكلمتين من قبل خلال مناقشتي في المرة الأولى لمعنى الجملة لأنني كنت منشغلاً بشكل أكبر بالجملة للرد على مناقشة ستين التي فسرها بمعنى الإشاعة[١].

٢- اقترح أن الجملة - الواردة باليونانية - يمكن ترجمتها كالتالي: ".. يوجد رواية مكتوبة منتشرة بشكل واسع"، واستطرد قائلاً: "من المفيد أن نؤسس فيما إذا استعمل أوسيبيوس هذا التعبير في مكان آخر، وإن وجد، فبأي سياق".

تصبح المناقشة حاسمة فيما إذا استخدم أوسيبيوس أبداً أم لم يستخدم هذه الجملة بمعنى وثيقة مكتوبة أو بمعنى تقليد شفاهي فقط. فقد لفت السيد شيروين وايت انتباهي إلى حقيقة أن أوسيبيوس استخدم فعلاً الكلمة - لها .. أو تعني- بمعنى أنها وثيقة مكتوبة أو أنها من مصدر أدبي. ففي روايته عن "الفيلق الراعد" في التاريخ الكنسي، الفصل الخامس، القسم الخامس، مكان وجود الجملة، حيث يوجد تأكيد إيجابي بإمكانية الإشارة إلى مصادر أدبية.

٣- من ذلك أن الجملة يمكن أن تشير إلى وثيقة مكتوبة كما يفعل التاريخ الكنسي، الفصل السادس، القسم الرابع والثلاثين، وهذا مؤكد أيضاً في حقيقة أن أوسيبيوس لم ينجز التاريخ الكنسي في أنطاكية بل في قيساريا. فلو أنه كتب عمله هذا في أنطاكيه سيكون من المأمول أن الجملة التي يشير لها قد تكون رواية شفاهية محلية يمكن أن تستمر حية وبشكل طبيعي جداً، في المدينة التي شهدت إهانة فيليب. فأوسيبيوس على أية حال، لم يكتب عمله في أنطاكية بل في قيساريا البعيدة، ونتيجة لذلك، فالجملة تبدو على أبعد احتمال أنها جاءت كرواية مكتوبة يمكن أن تكون بين يدي أوسيبيوس وهو يكتب التاريخ الكنسي في قيساريا.

١- انظر الصفحة الأولى من القسم الثاني من هذا الفصل.

لذلك، فأنا أشد اقتناعاً بأن تلك-الكلمة- محل الخلاف، في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، القسم الرابع والثلاثين، لم تكن تعني أي شئ آخرغير- رسالة - أوريجين المذكورة في التاريخ الكنسي، الفصل السادس، القسم السادس والثلاثين، أو رواية مكتوبة ترتكز عليها[١] .

رابعاً

كان مقال Hanz A.Pohlsander آخر من عالج مسيحية فيليب تحت عنوان "فيليب العربي والمسيحية"[٢] حيث اعتبر ترحيباً إضافياً في مجموعة دراسية كاملة عن فيليب تضم مواد تجعل من سيرة مسيحيته أكثر شمولية[٣] .

يصل المؤلف إلى نتائج تعاكس المنسوبة إلى يورك[٤] بمحاولته إعادة الاعتبار إلى فيليب بالعودة إلى الوضع الذي لم يكن فيليب فيه مسيحياً . ولسوء الحظ فقد أعد معظم مناقشته في تفاصيل[٥] محيط مسيحية فيليب، إذ لم يمسك بالجزء المركزي القاطع من الأدلة، وبالاسم، الجملة محل المناقشة المأخوذة عن أوسيبيوس التي كرس لها مقطعين فقط[٦] . لكن لا يجب أن تعتمد أو تسقط الحقيقة عن مسيحية فيليب على هذه الجملة، ولهذا السبب جاء التحليل والاستكشاف الواسعين عليها في هذا الفصل وملحقه عن كل أبعاد المشكلة من خلال عرضها .

٢- انظر الصفحة الأخيرة من القسم الثاني من هذا الفصل.

١- "التاريخ"، العدد ٢٩ الذي صدر عام ١٩٨٠م ، الصفحات ٤٦٣- ٤٧٣ .

٢- من الواضح أنه افتقد مقال كروزيل الذي تمت مناقشته في الجزء الثاني من هذا الملحق.

٣- انظر القسم الأول من ملحق هذا الفصل .

٤- تمت مناقشتها خلال تدقيق أراء ستين (انظر الصفحة 67ff). إذ يجب التعليق في هذه الملاحظة على أراء Pohlsander في رسائل أوريجين إلى فيليب وزوجته (الصفحة 468f) مهما كانت: فهي غير مقبولة وتعتبر عملاً تخمينياً محضاً. إن القياس التحليلي لرسالة ميلتو إلى الفيلسوف الإمبراطور ماركوس أوريليوس تعد ملغية؛ فحتى هؤلاء الذين يجادلون ضد مسيحية فيليب لا يقولون أنه كان معادياً للمسيحية، ولذلك فهو لا يقع ضمن صنف الأباطرة المعادين الذين كتب عنهم المدافعون عن المسيحية، إضافة إلى أنه يجب ملاحظة أن أوريجين عنون رسالته ليس فقط للإمبراطور ولكن إلى زوجته أيضاً، وهذا ما يعطي الرسالة أهمية أكبر.

٥- انظر الصفحات ٤٦٦ - ٤٦٧، ٤٦٩ - ٤٧٣، إذ تعد المناقشة من خلال وضعه عدة صفحات للحديث عن إجراءات دفن البابا بونتيانوس ذات أهمية خاصة .

الفصل السابع

أوسيبيوس والعرب

ذكر العرب مرات كثيرة في أعمال أوسيبيوس المختلفة[1] . وإضافة للإشارات المعروفة والمضطربة على نحو مثير عن مسيحية فيليب العربي في"التاريخ الكنسي Historia Ecclesiastica"، يوجد إشارات أخرى عنهم أقل معرفة؛ في "حوليات التأريخ Chronicon"،و"إعداد الإنجيل Praeparatio Evangelica"، وفي "أمجاد قسطنطين Laudes Constantine". وتشكل هذه الإشارات أهمية كبرى لفهم صورة العرب في عقل أوسيبيوس واستمرار بقاء هذه الصورة في أعمال المؤرخين الكنسيين الذين أتوا من بعده.

القسم الأول

حوليات التأريخ Chronicon؛ مع الاستثناء بإشارة واحدة إلى إسماعيل، تظهر جميع الإشارات، الموجودة في "حوليات التاريخ Chronicon"[2]، والتي تشير إلى

١- عن أوسيبيوس وعمله، انظر" علم اللاهوت" لكويستن، المجلد الثالث، الصفحات ٣٠٩- ٣٤٥.

٢- نفس المصدر أعلاه، في الصفحات ٣١١- ٣١٤. لم يبق من "حوليات التأريخ" بأصله اليوناني إلا بعض المقتطفات والأشياء الصغيرة، في حين بقيت نسختين منه؛ واحدة باللاتينية والأخرى بالأرمنينية. إذ أنجز الأولى جيروم في ٣٨٠م، بينما أنجزت الثانية في القرن السادس، وتم تأسيس النسختين من خلال مراجعة العمل الأصلي ؛ عن الأولى، انظر" Die Chronik des Hieronymus/ تاريخ جيروم "الذي حرره R. Helm في GCS، العدد ٤٧، الذي صدر عام ١٩٥٦؛ وعن الثانية، انظر" Die chronik / التاريخ، ترجمة J.Karst، في العدد ٢٠من GCS الذي صدر عام ١٩١١م.

العرب والشخصيات العربية في التاريخ السياسي للقرون الثلاثة الأولى من الفترة الرومانية.

أ -"أنجب إبراهيم إسماعيل من الأمَة (الخادمة) هاجر،ومن إسماعيل هذا جاء الهاجريون فيما بعد، وفي نهاية الأمر جاء السَراقنة"[1]. وهذا المدخل يبين بوضوح أن أوسيبيوس وجيروم حددا هوية السرَقينيين في القرن الرابع والقرون التي سبقته بإرجاعهم إلى أصولهم الإسماعيلية كما صورها الإنجيل[2]؛ لذلك، فالسرقينيون شعب إنجيلي من نسل إبراهيم، إلا أنهم انحدروا من أبيهم إسماعيل وأمهم الخادمة (هاجر)[3].

ب- ذكر هيرودس الكبير كابن لأم عربية[4]، الشخصية نصف - الأصل العربي[5]، الأكثر كرهاً في الإنجيل، والتي جعلت من العرب غير محبوبين عند مؤرخي الكنيسة، وأنهم وضعوا سلفاً تحت سماء الإسماعيليين.

إن تحليل المعلومات التي أخذت عن العرب في هذا الفصل أسست على النسخة اللاتينية وليس على الأرمينية على أساس أن الأخيرة لم تحتو على أي شيء يشير إلى العرب باستثناء الإشارة إلى فيليب. ويبقى إظهار الإشارات في النسخة اللاتينية، كإدخالات من جيروم، التي لم تكن جزءاً من "التأريخ" في صيغته اليونانية الأصلية. وعلى أية حال، تعود الإشارة إلى السرقينيين إلى عام ٣٥٧م (التأريخ Chronik، الصفحة ٢٤٠) كمدخل معترف به لجيروم المسؤول كاستمرار لأوسيبيوس؛ يتوقف "التأريخ Chronicon" في عام ٣٢٥م، إلا أن جيروم مدده حتى وفاة فالينز في ٣٧٨م: من أجل ذلك، انظر الفصل الثامن، القسم الثاني عن العرب وجيروم في "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" لمؤلفه عرفان شهيد.

١- "حوليات التأريخ Chronik"، الصفحة 24a. وردت الجملة في النص الإنكليزي المترجم بحرفيتها باللغة اللاتينية، وقد وضعت الترجمة العربية ضمن الجملة بين الأقواس الصغيرة. (لاحظ كيف تصف الجملة إسماعيل - بهذا..!- المترجم).

٢- انظر نفس المصدر السابق، الصفحة ٢٨٣، والملاحظة رقم (٣) من (أولاً) من القسم الثاني من هذا الفصل، عن المؤلفين الآخرين الذين جاءوا قبل وبعد أوسيبيوس وتوصلوا إلى نفس النتائج.

٣- قادت هذه النقطة إلى الموضوع بالمداخل المتتالية في "التأريخ Chronicon"، انظر الصفحة ٢٤ a عن ولادة إسحاق من المرأة الحرة (سارة).

٤- المصدر السابق نفسه، الصفحة ١٦٠.

٥- حسب جوزيفوس (المؤرخ اليهودي يوسوفوس- المترجم)، كان والده أدومياً من عسقلان - نسبة إلى عسقلان على الساحل الفلسطيني الجنوبي- وذلك حسبما أورده يوليوس أفريكانوس. فإذا كان والده أدومياً عندها يكون هيرودس عربياً بالكامل لأن الأدوميين كانوا قبيلة عربية؛ عن سلالة

ج- إشارات دلالية أخرى تشير إلى عرب بلاد ما بين النهرين وإلى حروب تراجان وسبتيميوس سيفيروس ضدهم[1]؛ وفي مدخل الحديث عن حملة تراجان ضدهم يوجد أيضاً إشارة إلى الأوسروينيين الذين حكمهم أبجريو أديسا. ومن الممكن أن الاستنتاج المسحوب الذي يميز بين العرب والأسروينيين في المصادر التي استخدمها أوسيبيوس يمكن أن يفسر لماذا لم ير أوسيبيوس الأبجريين كعرب.

د- حكم أبجر الملك الجليل المقدس في مدينة أديسا/الرُها،وذلك حسبما وصفه أفريكانوس[2]. ويعتبر المدخل إلى أبجر الثامن ملك أديسا العربي، الذي تميز بكونه الحاكم الأول لدولة قي الشرق الأدنى يتبنى المسيحية، مدخلاً مهماً[3]. وهذا يعود إلى مصداقية يوليوس أفريكانوس الذي زار الأبجر في أديسا[4]، إذ أسس أوسيبيوس تاريخه الكنسي على ما قاله أفريكانوس؛ مع ذلك لا يوجد إشارة إلى أبجر الثامن في التاريخ الكنسي، وبنفس الوقت لا يوجد إشارة إلى هويته العرقية في كتاب "Chronicon/ التأريخ" إضافة إلى أن كلمة 'حسب' في المدخل- العائدة لوصف أفريكانوس- تبدو أخاذةً: التي تعني" كما أرادها أفريكانوس أن تكون".. توحي بأن أوسيبيوس أيد على مضض حقيقة الإقرار بأبجر الثامن وإعطائها مصداقية أفريكانوس فحسب؛ وهذا يتناغم مع إغفال أي إشارة لأبجر الثامن في تاريخ أوسيبيوس الكنسي.

هـ- تعد الإشارات الدلالية[5] إلى فيليب العربي مهمة، إذ وصفه جيروم في النسخة اللاتينية «بأنه الإمبراطور المسيحي الأول من بين كل الأباطرة الرومان السابقين[6]».

هيرودس، انظر أوسيبيوس في التاريخ الكنسي، الفصل الأول، الجزء السادس، الصفحات ٢- ٣؛ والجزء السابع، الصفحة ١١.

١- "التأريخ Chronik"، الصفحات ١٩٤- ٢١١.

٢- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢١٤، وكذلك الصفحة ٤٢٨ عن مؤلفين آخرين للمزيد عن أبجر الثامن ملك أديسا المسيحي.

٣- انظر RE ، العدد الأول، الصفحة الأولى، المجموعة ٩٥.

٤- انظر نفس المصدر السابق، العدد الخامس، الصفحة الثانية، من المجموعة رقم ١٩٣٦، أديسا.

٥- "التأريخ Chronik"، الصفحات ٢١٧- ٢١٨، وكذلك الصفحات ٤٣١- ٤٣٢ لمؤلفين آخرين عن فيليب.

٦- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢١٧، السطرين ١٣- ١٤.

ومن خلال الجدل المثير حول مسيحية فيليب[1] يعتقد البعض أن المصادر التي تتحدث عنه في تاريخ أوسيبيوس الكنسي ليست واضحة تماماً، بينما تعتبر هذه العبارة الواردة في "التأريخ Chronicon" جديرة بالاهتمام[2]. مع أنه من غير المؤكد فيما إذا جاءت هذه العبارة بصيغتها اللاتينية كإعادة إنتاج أدبي من نسخة أوسيبيوس اليونانية أو من خلال التوسع الذي طرأ عليها، مع ذلك تبقى العبارة قيمة. فإن جاءت العبارة كإعادة إنتاج أدبي فهذا يعني تأسيس مسيحية فيليب بدون شك؛ أما إن جاءت هذه العبارة من خلال التوسع فإنها تعني أن هذا ما فهمه جيروم مما كتبه أوسيبيوس عن فيليب ومسيحيته في"التأريخ Chronicom"وفي"التاريخ الكنسي"[3]، أو أن ذلك كان نتيجة لما حصل عليه من مصادر أخرى[4].

و- يوجد إشارات إلى أذينه وزنوبيا تدمر[5] إلا أنه لم يشر إلى أذينة كعربي بل كتدمري حسب مصادر أخرى.

١- لذلك، انظر من بداية القسم الثاني حتى نهاية الفقرة الرابعة منه.

٢- أعد جيروم نسخته اللاتينية عام ٣٨٠م؛ وهذا، إلى حد ما، أبكر تاريخ لوصفه الواضح لمسيحية فيليب. بينما أنجزت النسخة الأرمينية فيما بعد، في القرن السادس، إذ لا تشير بوضوح لمسيحية فيليب وتلغي جميع الإشارات إلى العرب في "التأريخ Chronicon" الواردة في هذا القسم من الكتاب. انظر ترجمة Karst "التأريخ Die Chronik"، عن فيليب في النسخة الأرمينية، الصفحات ٢٢٥- ٢٢٦ التي تتحدث عن العيد الألفي لتأسيس روما الذي تم تسجيله، وكذلك عن مسيحيته الضمنية في المدخل الذي يتحدث عن حملة الاضطهاد الذي أطلقها ديقيوس / ديشيوس ضد المسيحية.

٣- الفقرات الثلاث المرتبطة بمسيحية فيليب في كتاب Chronicon - المؤامرة ضد غورديان، ومسيحيته، وحملة الاضطهاد من قبل ديقيوس- تبدو جميعها متشابهة مع ما جاء به أوسيبيوس في التاريخ الكنسي. يوحي تأييد جيروم المؤكد بمسيحية فيليب في النسخة اللاتينية بأن جيروم (إذا كان مسؤولاً عن الجملة التقريرية الواضحة لمسيحية فيليب) سحب التقرير على أساس الفقرات الثلاث السابقة في التاريخ الكنسي. كما أن جيروم لم يكن الكاتب المسيحي الوحيد القريب تاريخياً من الزمن الذي عاش فيه أوسيبيوس؛انظر الجدولة في RE ، العدد العاشر،الفصل الأول، المجموعة ٧٦٨- ٧٦٩.

٤- من الجديرملاحظته أنه كرر بيانه عن مسيحية فيليب وعن كونه أول إمبراطورروماني مسيحي في مكان أخر من كتابه(انظر المصدر السابق،المجموعة ٧٦٨).ما كان لجيروم أن يؤيد مسيحية فيليب إذا لم يقتنع بها. انظر "القديس جيروم والعرب" في كتاب شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، الفصل الثامن، القسم الثاني، عن موقف جيروم الباهت من العرب.

٥- "التأريخ Chronik"، الصفحات ٢٢١- ٢٢٣. من المهم أن كلمة- حتى اليوم- في بيانه النهائي عن زنوبيا: "تلك العائلة التي يطلق عليها حتى اليوم زنوبية في روما"؛ قد توحي بأنها كانت نتيجة ملاحظة واحد كان يعرف روما شخصياً، يدعى جيروم.

الإعداد الإنجيلي Praeparatio Evangelica: ريما توجد الإشارات والمراجع عن العرب وولاية العربية / عرابيا في"إعدادات الإنجيل"؛الكتب : الثاني والرابع والسادس والتاسع والعاشر[1] . إذ سيتم فقط مناقشة الشخصيات المهمة فيه[2] .

أ- الكتاب الثاني:يتحدث فيه أوسيبيوس عن"سارقي العربية"[3]بينما كان يناقش علم اللاهوت عند المصريين. ومع أنه كان يستشهد بديودورس/ ثيودور الصقلي[4]، فقد كان من المؤكد عملياً أنه أيد حقيقة الجملة الوصفية[5] .

ب- الكتاب الرابع: يوجد إشارتان[6] عن العرب في الفصلين السادس والسابع عشر تعالجان تقديم التضحيات الإنسانية والإثم الشيطاني في ممارسة الطقوس الدينية للشعوب القديمة بمن فيهم العرب. والتضحيات الإنسانية هي الأكثر تفصيلاً

١- من أجل النص اليوناني، انظر K. Mras، الجزء الأول من GCS، العدد ٤٣، الجزء الأول، الذي صدر عام ١٩٥٤م، والجزء الثاني من GCS ، العدد ٤٣، ٢، صدر عام ١٩٥٦ : وردت جميع الإشارات عن العرب في الجزء الأول، إذ سيشار إليها اعتباراً من هنا "بالإعداد" . وقد تم نشر "الإعداد" منذ عام ١٩٥٦م في دورية "المصادر المسيحية"، إلا أنه لم يظهر منها إلا ثلاث مجلدات تحتوي على الكتاب الأول والثاني والثالث والسابع، والتي لا تحتوي أي منها على المصادر المرجعية المهمة عن العرب. يمكن كذلك مراجعة تعليقات E H Giffordالقديمة التي أضافت من جديد إلى مجموعة المخطوطات المكدسة، وذكرها لأول مرة بالكنسية الأنجليكانية بعد أن أدرجها في فهارس توطئات أوسيبيوس في كتابه الخامس عشر، الذي صدر في أكسفورد عام ١٩٠٣م، توموس الرابع (سيشار لها اعتباراً من هنا بغيفورد، الإعدادات). عد إلى كويستن في "علم اللاهوت" لتأمل دراسته عن "الإعدادات"، المجلد الثالث، الصفحات٣٣٠-٣٣١.

٢- تعتبر الإشارات الأخرى ذات صلة بالإنجيل لكنها لا تزودنا بجديد أو بمعلومات مهمة عن العرب؛ "الإعداد"، الصفحات ٥١٨، ٥٢١ - ٥٢٢، ٥٤١- ٥٥٣، ٥٩٥ ؛ترد إشارة مرجعية مثيرة عن العرب في الصفحة ٥٧٦(مأخوذة من كليمنت الإسكندراني) بكونهم مهرة في نبوءاتهم بواسطة الطيور؛ عن هذه الفنون قبل الإسلام انظر إلى T. Fahd في "نبوءات العرب"، الذي صدر في ليدن عام ١٩٦٦م، الصفحة 432ff.

٣- "الإعداد"، الصفحة ٦٥ . استخدم جوليان نفس التعبير"نهابون/سارقون" بوصفه العرب؛ انظر الفصل الثالث،القسم الثالث الذي يبحث في علاقات جوليان/ يوليان بالعرب في كتاب شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" .

٤- "الإعداد"، الصفحة ٥٨ .

٥- انظر فقرته الخاصة، "السرقينيون البرابرة" في "التاريخ الكنسي، الفصل السادس، الجزء الثاني والأربعين" .

٦- "الإعداد"، الصفحات ٢٠١ - ٢٠٢ .

فيهما، التي تتحدث عن تضحيتهم ولداً كل سنة لشيطان الشر ثم دفنه تحت المذبح[1].
وتأتي هذه الإشارات المرجعية بلهجة دحض قوية من خلال سياق النقاش الذي يتناول ممارسات الوثنيين ومعتقداتهم الدينية.

ج- الكتاب السادس:يوجد خمسة إشارات عن العرب[2]: أربعة منها في الفصل العاشر وواحدة في الفصل الحادي عشر:(١)الأولى:عن العادات والأعراف السائدة في ولاية العربية وأوسروينة التي تحكم بالموت على الزانيات، والمعاقبة القاسية على من يشك بارتكابها جريمة الزنا؛ (٢) الثانية: عن الشعوب المختلفة التي كانت معروفة بممارستها للفنون والعلوم كالرسم وفن العمارة والهندسة وعروض المسرح الشعرية الدرامية التي كانوا يقيمونها. فقد كان من ضمنهم العرب الذين أشير إليهم بمسميين: طَينوا وسَرَقينوا[3]؛ (٣) الثالثة: عن نواميس وشرائع ولاية العربية[4] من خلال رؤيتهم كبرابرة؛ فقد كان الرومان بعد فتحهم للبلاد هم من غير هذه النواميس والشرائع؛(٤) تتصل الرابعة بممارسة عرب أسروينة لعادة الختان وإلغائها من قبل ملك أديسا

١- لا يوجد مؤلف يذكر هذه المعلومة عن العرب؛ (الصفحة ٢٠١، السطر الثامن) تقدم الفقرة شرحاً عن التضحيات الإنسانية في اللاذقية وليبيا وولاية العربية . حددت هوية العرب في "أمجاد قسطنطين" كعرب دومة الجندل Dumatheni؛ انظر الملاحظة الرابعة تحت عنوان (مديح قسطنطين) في هذا الفصل.

٢-"الإعداد"، الصفحات ٣٣٩، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧- ٣٥٨.

٣- استخلص من بارديسان Bardaisan: (أ) ترتيب هاتين التسميتين بوصف العرب البدو في النصفين الشرقي والغربي من الهلال الخصيب، وتمثل تسميتي طي وسرقيني أهمية للنقاش والبحث عن أصول تعبير سرقيني؛ عن ذلك، أنظر الفصل التاسع- القسم الأول من هذا الكتاب؛ (ب) استمر استعمال الأصل السرياني لهذه المقتطفات المأخوذة من بارديسان، ولذا، من الممكن مقارنة النسختين؛ بأخذ اهتمام خاص بالجملة"ممثل الأدوارالدرامية الشعرية"،التي تظهر ببساطة في اللغة السريانية "كشعراء"؛عن النسخة السريانية، انظر بارديسان في كتاب"نواميس وأعراف الأوطان: نصوص سامية مترجمة"، ترجمها H. J. Drijvers، صدر في Assen عام ١٩٦٥م؛ (ج) من خلال الرؤية لإلمام أوسيبيوس بكتاب بارديسان هذا يطرح السؤال التالي نفسه: لماذا لم يوجد أي إشارة إلى تحول أبجر الثامن ملك الرُها العربي إلى المسيحية في تاريخ أوسيبيوس الكنسي؛ انظر الملاحظات الهامشية؛ الرقم الثاني بعد التالي، والملاحظة الأخيرة من (ب) تحت عنوان (التاريخ الكنسي) في هذا الفصل.

٤- العربية المذكورة هنا هي العربية التي بين النهرين، التي قلصها سيبتيميوس سيفيروس عام ١٩٧- ١٩٨م.

(الرُها) أبجر الثامن[1]؛ (٥) تتحدث الخامسة عن طقوس الختان بين الإسماعيليين الذين مارسوها على أبنائهم في سن الثالثة عشر[2].

جاءت أول أربع إشارات مرجعية عن العرب من جانب بارديسان[3]،بينما جاءت الخامسة من طرف أوريجين[1]. وجميعها كانت غير إطرائية باستثناء الأولى.

١- إلى هنا لا يوجد أي كلمة عن تحول أبجر الثامن إلى المسيحية، وهذا لافت للنظر على الخصوص في حقيقة أن كتاب بارديسان الذي مثل مصدراً لأوسيبيوس، فقد جاء في سياقه أن أبجر الثامن هو من أوقف ممارسة عادة الإخصاء بعد تحوله إلى المسيحية (كتاب بارديسان المذكور، الصفحة ٥٩). من الجدير ذكره أن بارديسان لم ينسب إلغاء ممارسة الختان إلى أبجر وإنما نسبها إلى الرومان (نفس مصدر بارديسان، الصفحة ٥٧).

٢- تتبع وتدعم العبارة التالية المذكورة (. . لأن هذا مذكور في التاريخ بالنسبة لهؤلاء) في "الإعداد"، الصفحة ٣٥٨، عملية الختان في سن الثالثة عشر. إن اقتطاف أوسيبيوس موضوع القضاء والقدر من رسالة أوريجين في تعليقاتها على أصل النشوء والتكوين، والمعلومات عن الختان في سن الثالثة عشرهو ترديد لصدى أصل النشوء والتكوين في سفر التكوين في الإنجيل، ٢٥ :١٧ . ومن جانب آخر، استعمل ضمير الجمع في العبارة المذكورة أعلاه (.. بالنسبة لهؤلاء) بإشارة إلى الإسماعيليين، وهذا يوحي بأنها لم تكن صدى لما جاء في سفر التكوين ٢٥ :١٧ في الإنجيل، إذ تشير إلى إسماعيل فحسب. فإذا كان الأخير؛ فإنه يجعل هذه المعلومات ذات أهمية لأنها قد تشير إلى استمرار العادات الإسماعيلية في الختان في سن الثالثة عشر، وذلك قبل الأزمنة الإنجيلية، والتي ربما استمرت إلى القرن الثالث الميلادي، وقد كتب أوريجين – مصدر أوسيبيوس- عن هذا الموضوع. لم يعمر عمل أوريجين المؤلف من ثلاثة عشر كتاباً "تعليقات على أصل النشوء والتكوين"؛ إذ لو عمرت هذه الكتب لاستقرت المسألة موضوع البحث. لكن ست عشرة عظة دينية من عظات أوريجين في موضوع أصل النشوء والتكوين في كتبه المذكورة عمرت، إذ تم ذكرها في ترجمة روفينوس اللاتينية، إلا أن الاثنتين المرتبطتين بذلك: الثالثة والسابعة لم تقدما معلومات عن هذه المسألة؛ من أجل هاتين العظتين، يمكن الرجوع إلى W.A. Baehrens في GCS، العدد/ الكتاب ٢٩، الذي صدر ١٩٢٠م، الصفحات ٣٩- ٥٠، ٧٠- ٧٧. ومن الممكن أن أوريجين سار على منوال جوزيفوس/ يوسوفوس في رؤيته عن ممارسة عادة الختان بين العرب في سن الثالثة عشر، فقد كان جوزيفوس على علم بممارسة الختان الإسماعيلي وتحدث بتعابير واضحة عن تأجيل العرب ممارسة الختان حتى بلوغ الثالثة عشر من العمر، في حين كان يتطهر أجدادهم بالختان؛ انظر "العصور اليهودية القديمة"، المجلد الأول، الصفحات ١٩٣، ٢١٤. إن ذلك يشكل قيمة مهمة لمتابعة أثر استمرار هذه العادة بين الإسماعيليين خلال القرن الميلادي الأول.

٣- "الإعداد"، الصفحة ٢٣٤.

د- الكتاب التاسع: يوجد إشارتان مهمتان عن العرب في هذا الكتاب تعالجان ما وجب على المؤرخين اليونان أن يقولوه عن اليهود.

١) اقتبس أوسيبيوس من مولون[٢] التالي عن إبراهيم وولديه، من الفصل التاسع عشر؛ الأول من الخادمة المصرية، والثاني من زوجته الشرعية؛ إذ أُنجب من الأول اثني عشر ولداً[٣] انتشروا في ولاية العربية وحكموا هناك، وكانوا فعلاً الأوائل الذين حكموا العرب؛ ويشرح هذا الوضع حقيقة أن فجر ملوك العرب عند مولون[٤] ابتدأ باثني عشر في العدد حملوا نفس أسماء الاثني عشر ولداً الأول[٥].

جاء اقتباس مولون ككاتب من القرن الأول قبل الميلاد بأهمية كبيرة. فلو كانت معلومة هذا الاقتباس تاريخية لوجب إذاً استمرار هذا العرف الإسماعيلي من الناحية السياسية حياً في الجزيرة العربية بعد قرون عديدة انقضت منذ تاريخ بناء كتاب أصل النشوء والتكوين/ سفر التكوين في الإنجيل. كان النظام السياسي للعرب في القرن الأول قبل الميلاد اثني عشرياً في تكوينه[٦]، استمراراً للنظام الإسماعيلي القديم الموصوف في أصل سفر التكوين الإنجيلي، ليس في تكوينه وبنيته فقط وإنما في معنى الاسم الذي يدل عليه أيضاً[٧].

١- المصدر السابق نفسه، الصفحة ٣٤٤.

٢ - "الإعداد"، الصفحة ٥٠٥. مولون هو الاسم العائلي لأبولونيوس من الاباندا، عاش في القرن الأول قبل الميلاد، انظر غيفورد في "الإعدادات"، الصفحات ٢٠٢- ٢٠٣؛المقتبس من مجموعته "ضد اليهود".

٣- على الأصح، كان الاثني عشر ولداً هم أحفاد إبراهيم من مولوده الأول إسماعيل.

٤- "الإعداد"، الصفحة ٥٠٥، السطر ١٣.

٥ - أصل النشوء والتكوين / سفر التكوين الإنجيلي ٢٥ : ١٣- ١٥ عن أسماء أبناء إسماعيل الاثني عشر.

٦- سيبدو من المثير فعلاً لو كان ذلك انعكاساً معاصراً للولايات والأقاليم التي كان من المشكوك فيه أن إمبراطورية الأنباط كانت مشكلة منها؛ انظر F.E.Peters في "الأنباط في حوران" المنشور في العدد ٩٧ من المجلة الأمريكية للجمعية المشرقية التي صدرت في عام ١٩٧٧م، الصفحة ٢٦٣؛ انظر كذلك آخر ملاحظة في الإعداد الإنجيلي في هذا الفصل.

٧- المعلومات المقدمة من مولون مهمة في متابعة عادات وتقاليد الإسماعيليين بين العرب قبل الإسلام. وسيتم معالجة هذا الموضوع فيما بعد في مجلد خاص من هذه السلسلة.

٢) توجد إشارة مرجعية أقل أهمية في الفصل الثالث والعشرين عن العرب[١] مستخلصة مما أنجزه بولي- هيستور عن يوسف[٢]، تتحدث عن عرب الجوار الذين أخذوه إلى مصر؛ بالإضافة إلى ذلك، كان ملوك العرب هم أبناء إبراهيم إخوة إسحاق. وبالطبع كان هذا الاستخلاص مبنياً على رواية إسماعيل[٣]: ذريته وأولاده الاثني عشر، وذلك حسب ما ورد في أصل النشوء والتكوين الإنجيلي. ومع ذلك، فالمهم هوتحديد الهوية لملوك العرب في أعمال المؤرخين اليونان في القرن الأول قبل الميلاد مع الإسماعيليين في الإنجيل[٤].

١- "الإعداد"، الصفحة ٥١٦.

٢-الاسم العائلي لكورنيليوس ألكسندر من ميليتوس،الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، هو بولي- هيستر الذي يستعرض أرتابانوس من خلال كتابه "ما يتعلق باليهود"؛ انظر غيفورد، لمعرفة المزيد عن الكتاب والمؤلف، في "الإعدادات"، الصفحات ٢٩٨- ٢٩٩؛ عن أرتابانوس عد أيضاً إلى إميل شورر في "تاريخ الشعب اليهودي في عصر السيد المسيح"، ترجمة إس. تايلور و بي. كريستي (صدر في أدنبره ١٨٨٦م)، القسم الثاني، المجلد الثالث، الصفحات ٢٠٦- ٢٠٨، وكان قد ثار الجدل حول كونه مؤلفاً مصرياً يهودياً عاش قبل ألكسندر بولي- هيستر.

٣- "الإعداد"، الصفحة ٥١٦، السطر٢٠ الذي يتحدث عن إسرائيل. قد يكون إسماعيل أداة نقدية تحظى بقبول القراءة (عند القارئ الغربي - المترجم) بوضع الرواية على لسانه.

٤- تم التحديد والتعريف أيضاً من قبل المؤرخين الكنسيين إذ كانوا غالباً يستعملون تعابير الإسماعيليين والعرب بالتناوب؛ فقد حدد أوسيبيوس الإسماعيليين مع السرقنيين في "التأريخ Chronicon"، انظر الصفحة الأولى والثانية من هذا الفصل. إن المعلومات المأخوذة من أعمال المؤرخين اليونانيين مولون وبولي هيستر، في القرن الأول قبل الميلاد، عن العرب وتاريخهم وعن الخلفية الإنجيلية التاريخية الموجودة أيضاً في كتابات المؤرخ اليهودي جوزيفوس الأكثر موثوقية من أعمال مولون وبولي هستير، وذلك من خلال خلفيته اليهودية ومعرفته الشخصية الحميمية عن العرب والمشهد العربي ذلك الحين؛ انظر "العصور اليهودية القديمة"، المجلد الأول، الصفحات ٢٢٠- ٢٢١؛ والمجلد الثاني، الصفحة ٢١٣. تدل الإشارة الأولى بوضوح، أيام جوزيفوس في القرن الأول قبل الميلاد، إلى إمبراطورية الأنباط التي امتدت من الفرات حتى البحر الأحمر، ودعيت جميع أجزاء هذه المنطقة بالأنباط، وكانت مقسمة اثني عشرياً في بنيتها وتركيبها كما كانت عليه عندما وصفها مولون في القرن الأول قبل الميلاد. وعما يقوله جوزيفوس عن إقليم الإمبراطورية النبطية وطبيعتها الإسماعيلية:انظر الملاحظة الهامشية الثانية قبل الأخيرة من الكتاب التاسع، الفقرة رقم (١) تحت عنوان "الإعداد الإنجيلي" في هذا الفصل.

مديح قسطنطين Laudes Constantini: يوجد إشارتان مرجعيتان عن العرب في هذا العمل[1]، كلاهما موجودتان في الفصل الثالث عشر من الجزء الثاني من الكتاب، وفي البحث المقدم إلى قسطنطين لتكريس الكنيسة للتماثيل المقدسة[2]. تتصل الأولى بعبادة العرب لإلهين هما: دوساريس وعبوداس[3]، بينما تشير الثانية إلى التضحية الإنسانية- حفلة الدفن السنوي لولد تحت المذبح كان يمارسها عرب دومة الجندل[4].

لا تنطوي الإشارتان على حس بالمجاملة، فجاءتا في فصل كرسهما لعرض سخافة الممارسات الدينية الوثنية:كإقامة حفلات الموت كأنهم الأرباب، والانغماس في التضحيات الإنسانية لإرضاء الآلهة، فقد كان العرب من ضمن الأمم التي شاركت في مثل هذه الممارسات[5].

١- انظر I .A. Heikel في GCS، العدد السابع، صدر عام ١٩٠٢، الصفحات ١٩٣- ٢٥٩.

٢- عن"أمجاد قسطنطين"والجزأين المقسمين الموجودين فيه: الخطاب الثلاثيني(من الفصل الأول إلى العاشر) ورسالة البحث(من الفصل الحادي عشر إلى الثامن عشر)؛ انظر كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثالث، الصفحات ٣٢٦- ٣٢٨.

٣- "الأمجاد"، الصفحة ٢٢٧؛ عن دوساريس، انظر T. Fahd في :

"Le Pantheon de L`Arabie centrale a la veille de L`Hegirie / مجمع ألهة الهاجريين وسط الجزيرة العربية"، الذي صدر في باريس عام ١٩٦٨م ، الصفحات 71ff.

٤- "الأمجاد"، في الصفحات ٢٣٨- ٢٣٩. الدوماتانيون هم عرب دومة الجندل في شمال الجزيرة العربية : فدوما هو أحد أبناء إسماعيل حسبما ورد في أصل النشوء والتكوين/ سفر التكوين الإنجيلي ٢٥ :١٤.

٥- ربما كانت الخلفية العرقية لفيليب العربي، التي ربطته بشعب كالذي وصف أعلاه، أحد العوامل التي جعلت أوسيبيوس لا يميل إلى تحديد الأصل العرقي لفيليب أو أن يتحدث بطريقة واضحة جلية عن كونه أول إمبراطور روماني مسيحي، مثلما تحدث باهتمام عن قسطنطين. إذ قد يتناغم رأيه هذا مع الاستنتاج بأنه أختار أن يضم هذه الإشارات غير المستحبة عن العرب في موضوع من المديح خصصه لقسطنطين، وهذه النتيجة تثير الاختلاف بين الخلفيتين.

التاريخ الكنسي Historia Ecclesiastica: يوجد إشارات في التاريخ الكنسي[1] تشير إلى هيرودس الفلسطيني وأبجر ملك أديسا وولاية العربية وفيليب العربي.

(أ) ذكر هيرودس وعائلته مرات عديدة، غير أن هذه الإشارات لم تتناول إلا ثلاثة منهم فقط كانوا على صلة بالموضوع:

(١)هيرودس الكبير(٣٧- ٤ق.م)الذي ارتبط اسمه بمذبحة الأبرياء، والطريقة التي مات فيها ترجمت ووصفت كعقاب له على جريمته هذه.

(٢)هيرودس أنتيباس(٤ ق.م- ٣٩م)الذي تزوج هيروديا س وقطع رأس يحيي المعمدان.

(٣)أغريبا الأول(٣٧- ٤٤م) الذي نفذ حكم الموت بالقديس جيمس الرسولي (أحد الحواريين)، وترجم ووصف موته أيضاً كعقاب له على ما اقترفه[2].

لذلك، كانت هذه الأسماء متلازمة مع ما ارتكب أصحابها من جرائم ضد السيد المسيح نفسه وضد المبشرين وضد واحد من الحواريين الاثني عشر. ومع ذلك،بقي أوسيبيوس صامتاً حيال الأصل العرقي لمؤسس السلالة،هيرودس الكبير، إذ وصفه كعربي من ناحية أمه[3].

(ب) يربط أوسيبيوس القصة المختلقة عن تبادل الرسائل بين السيد المسيح وأبجر(٤ ق.م إلى٥٠م) وبعثة ثاديوس، الذي كان واحداً من السبعين، ونجح في شفاء أبجر وحوله مع الكثير من أهل الرُها إلى المسيحية[4].

١- عن التاريخ الكنسي، انظر كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثالث، الصفحات ٣١٤- ٣١٧؛ قام E. Schwartz بعمل إصدارٍ ناقد في GCS، العدد التاسع، الجزء الثاني الذي صدر عام ١٩٠٨م ؛ والجزء الثالث الذي صدر ١٩٠٩م يحتوي على مقدمة وفهارس. سيتم الإشارة إلى هذا الإصدار اعتباراً من هنا بالحرفين HE.

٢- عن أفراد هذه العائلة: انظر التاريخ الكنسي، الفصل الأول، الجزأين العاشر والحادي عشر؛ والفصل الثاني، الأجزاء من السابع إلى العاشر على التوالي.

٣- يقدم يوليوس أفريكانوس نسباً مختلفاً عن حقيقة يوسوفوس؛ انظر "التاريخ الكنسي"، الفصل الأول، الجزء السادس ٢- ٣.

٤- المصدر السابق نفسه، الفصل الأول، الجزء الثالث عشر.

أيد أوسيبيوس حقيقة هذه الرواية وتحدث عن سجلات أديسا المحفوظة[1]، مع ذلك لم يتحدث عن الأصل العرقي لأبجر الذي كان عربياً[2] .وقد كان من المستغرب أن أوسيبيوس لم يذكر أي إشارة لتحول أبجر الثامن إلى المسيحية(١٧٩- ٢١٨م)، وذلك بالرغم من أنه كان بدون شك قريباً من عصره[3].

(ج) أشير لولاية العربية والعرب في ثلاثة فصول من الكتاب السادس:

(١) خطأ أسقف بصرى بيريللوس[4] وإعادته للعقيدة الأرثوذوكسية بواسطة أوريجين، إذ أن سرد الرواية موصوف في الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب.

(٢)الآراء الابتداعية فيما يتصل بالروح لمجموعة في ولاية العربية[5]، والتي صححت بواسطة أوريجين أيضاً؛ موجودة في الفصل السابع والثلاثين من الكتاب.

١- المصدر السابق نفسه، الفصل الأول، الجزء الثالث عشر، القسم الخامس؛ عن تبادل الرسائل،انظر Altaner في "علم اللاهوت"، الصفحات ٧٧- ٧٨.

٢- ربما لم يكن أوسيبيوس متأكداً من أن أبجريي أديسا كانوا عرباً.

٣- يستعرض بإسهاب خاص ما أورده بارديسان الذي ذكر بوضوح تحول أبجر الثامن إلى المسيحية في "الأعراف والتقاليد"(الصفحة ٥٨ ،السطرين الحادي والعشرين والثاني والعشرين)، وكذلك تأسيس أوسيبيوس تاريخه المسيحي على أعمال يوليوس أفريكانوس الذي زار بلاط الأبجر. فالحذف هنا راجع إلى حقيقة أن أوسيبيوس وافق على رواية تحول أبجر الخامس، "Ukkama" أوكاما، معاصر السيد المسيح. لذلك عد أوسيبيوس تحول أبجر الثامن غير مهم في تاريخ مدينة كانت مسيحية لقرنين من الزمان منذ أيام الحواريين؛ وبالتناوب، فقد يكون أوسيبيوس مدفوعاً بالرغبة كي يظهر قسطنطين كأول حاكم في التاريخ يتبنى المسيحية. وعن الأبجريين وأسمائهم العربية وتحولهم إلى المسيحية، انظر RE ،الفصل الأول، العدد الأول الذي صدر عام ١٨٩٣م، المجموعات ٩٣- ٩٦، والعدد الخامس، الفصل الثاني عن أبجر وأديسا، المجموعات ١٩٢٣- ١٩٣٨، الذي صدر عام ١٩٠٥.

٤- عن بيريللوس Beryllos، انظر ملاحظات G. Bardy على إصدار التاريخ الكنسي في"مصادر المسيحيين"، العدد الواحد والأربعين الذي صدر في باريس عام ١٩٥٥م، الصفحات ١٣٥- ١٣٦.

٥- في محتوى الجدول،يتحدث أوسيبيوس في مقدمة الفصل السابع والثلاثين عن"منازعات العرب"؛ وعن هذه المجموعة، انظر المصدر نفسه في الصفحة ١٣٩.

(٣)هرطقة وبدع الهلكيسيت[1]Helkeasaites المشار إليها في الفصل الثامن والثلاثين من الكتاب.

دفعت الظروف وبشكل عرضي كامل العرب سكان هذه المناطق للانخراط بالصراعات اللاهوتية التي كانت دائرة في القرن الثالث. فإذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا إذا تم تصوير العرب في تاريخ أوسيبيوس الكنسي بطريقة جديدة وغير مستحبة، من خلال تصويرهم كهراطقة مبتدعين تجد تعابيرها المشبعة بهذا المعنى في أعمال المؤرخين الكنسيين اللاحقين[2].

(د) في غمرة تناول أوسيبيوس لهذه الهرطقات والبدع التي وقعت في الولاية قدم روايته عن فيليب العربي في الفصول: الرابع والثلاثين، السادس والثلاثين، والتاسع والثلاثين من الكتاب السادس.

تم تناول موضوع مسيحية فيليب ورواية أوسيبيوس *منها* بشكل منفصل[3]. ولكي نستوفي هذا الموضوع حقه هنا، يجب أن نعترف أن الأسلوب واللهجة التي طوع بهما أوسيبيوس كتابة روايته لم يقدما أي تحسن مادي على صورة العرب وصورة حكامهم في التاريخ الكنسي للقرون الثلاثة الأولى من التاريخ المسيحي. كما أنه في الواقع لم ينس أو يهتم بإعلام القارئ عن أصل فيليب العرقي، إذ يعتبر هذا تجاهلاً لافتاً، خاصة في حذفه لقب "العربي" الذي كان يرافق اسم فيليب دائماً.

القسم الثاني

يعتبر أوسيبيوس الكاتب المسيحي الأول الذي تجلى إنتاجه باتساق وأهمية الرؤية المسيحية عن العرب. فقد حللت الصفحات السابقة الإشارات المختلفة عن العرب في أربعة من أعماله، إذ يمكن وضع نتائج هذا التحليل الآن مع بعضها وربطها بوجهات النظر في جميع ما كتب.

١- عن هذه الهرطقة، انظر المصدر السابق نفسه، الصفحة ١٤٠.

٢- إي. جي. إبيفانيوس؛ عن صورة العرب كهراطقة ومبتدعين، انظر المناقشة الموجودة في "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" لعرفان شهيد.

٣- انظر مجمل القسم الثاني من الفصل السادس في هذا الكتاب.

أولاً

التـأريخ **Chronicon**: تعتـبر الإشـارتان (أ) و(ب) اللـتين تناولتـا إسماعيـل وهيرودس من أهم هذه الإشارات المرجعية الستة[1] عن العرب في هذا العمل الذي سبق تحليله أعلاه لأنه تم تحديد شخصيتهما العربية بوضوح تام. وأما الإشارات الباقية فقد حيدت الصورة غير المستحبة التي أفضت إليهما بـ (أ) و(ب)، في حين مثلت (ج) و (و) العرب ليس كبدو بل كحضريين، بينما قدمت (د) و(هـ) حاكمين عربيين" كأوائل"، بالاسم؛ أبجر الثامن أول حاكم مسيحي لدولة في الشرق الأدنى، وفيليب الذي كان أول إمبراطور روماني مسيحي؛ مع ذلك، أخفقت هذه الإشارات بتصحيح الانطباع التي أفضت إليه (أ) و (ب) لأن الإشارات قُدمت دون أن تأخذ الاندماج العرقي بعين الاعتبار. بينما ترك القارئ لانطباع وحيد أفضيَ إليه بالمدخلين إلى إسماعيل[2] وهيرودس.

يسحب أوسيبيوس رؤيته من العهد القديم للإنجيل بأن الإسماعيليين انحدروا من هاجر الخادمة،ولذلك فهم منبوذون ولا يشملهم الوعد الإلهي. وقد عرف هؤلاء الناس- الإسماعيليون- حسبما أورده الكتاب الكلاسيكيون باسم السرقينيين، في حين لم يتردد أوسيبيوس من تحديد ربط الواحد منهم بالآخر[3]. لذلك، أصبح تحديد السرقينيين من قبل الكتاب المدنيين بربطهم بشكل دائم بالإسماعيليين كما ورد ذكرهم في العهد القديم ، وبتحديد هويتهم بالتعبيرين: الإسماعيليون والسرقينيون؛ إذ يتضمن التعبيران مدلولات ازدرائية في أنهم كانوا قطاع طرق ومنبوذين، ويعزز هذان التعبيران الواحد منهما الآخر ليشكلا الأساس لصورة العرب في التاريخ الكنسي[4].

١- انظر" حوليات التأريخ Chronicon" من هذا الفصل من هذا الكتاب.

٢- تم دراسة إسماعيل فقط في هذا القسم؛عن هيرودس، انظر"التاريخ الكنسي" نهاية القسم الثاني- الفصل السابع من هذا الكتاب.

٣- يعود تحديد الهوية العربية ليس فقط إلى يوسوفوس/ جوزيفوس وإنما إلى الكتاب الوثنيين الذين كتبوا عن اليهود والعرب: كألكسندر بولي هيستر بالعودة إليه في الفقرة (٢) من الكتاب التاسع في القسم الأول من هذا الفصل. لذا جاء استعمال كل التعابير التالية بالتناوب: العرب، السرقينيون، الإسماعيليون، والهاجريون.

٤- تظهر مدلولات الازدراء مترافقة مع المصطلح اللاديني؛ السرقينيون (البرابرة، البدو، اللصوص)، والذي عانى ارتكاساً أشد من خلال الاشتقاق اللغوي الإنجيلي الجديد الذي أعطي

لهذا لم يظهر العرب بصورة حسنة في سياق التاريخ العالمي الذي قدمه أوسيبيوس في "التأريخ Chronicon". وقد كتب هذا العمل بهدف إظهار القدم في الديانة اليهودية التي أتت المسيحية بعدها كاستمرار شرعي لها. إذ كان يمكن، من وجهة النظر التي كتب بها هذا العمل، أن يرسم صورة العرب بشكل لائق أو أن يقدمهم في رؤية أفضل، خاصة أن أوسيبيوس ارتحل من نموذجه يوليوس أفريكانوس برفضه البدء بآدم والهبوط على الأرض، وبدأ بما بدا له مؤكداً من الناحية التاريخية، وهي: الأحداث التي وقعت في الزمن الإبراهيمي. ومع ذلك، فإن العرب كالإسماعيليين كانوا أبناءً لإبراهيم لابنه الأول لم يستفيدوا من الهيكلية الجديدة التي بناها أوسيبيوس في تأريخه Chronicon، على خلاف أبناء إبراهيم المنحدرين من إسحاق، بأنهم كانوا غير مشمولين بالوعود الإلهية، ولهذا لم ينفعهم قدمهم وانحدارهم من الأب الأول بشيء.

الإعداد الإنجيلي Praeparatio Evangelica: على عكس الإشارات المرجعية في الـ Chronicon، لم تتناول الإشارات الموجودة في "الإعداد" الشخصيات العربية بشكل إفرادي وإنما تناولت العرب بشكل عام. إذ رسمت هذه الإشارات صورة ليست جذابة عن

للمصطلح وما يتصل بسارة التي ادعى العرب أنهم انحدروا منها، وذلك كي يخفوا وصمة أصلهم من هاجر الخادمة؛ عن هذا الاشتقاق الإنجيلي، انظر تعليق جيروم على Ezekiel، "الجثمان المسيحي"، في السلسلة اللاتينية، العدد الخامس والسبعين، الصفحة ٣٣٥، كذلك انظر سوزومن في "التاريخ الكنسي"، تحرير J.Bidez، موسوعة GCS، العدد ٥٠، الذي صدر في برلين١٩٦٠، وانظر الكتاب السادس،الفصل الثامن والثلاثين، الصفحة ٢٩٩. فكما كان الاشتقاق اللغوي مفتعلاً،كان انعكاس صورة العرب الجديدة الذي تشكل تحت التأثير اللاهوتي الذي تطور كما جاء في "الإعدادات". لم يظهر هذا الاشتقاق اللغوي في أي من أعمال أوسيبيوس، إلا أنه ربما فعل ذلك في عمله الضائع "تحليل مصطلحات الأعراق في المخطوطات العبرية المقدسة". فقد كان هذا العمل معروفاً لجيروم الذي يشير إليه في مقدمة نسخته اللاتينية كما يلي: "...يستعرض أسماء مختلف الأمم والشعوب التي كانت معروفة عند العبرانيين، إذ ما زالت هذه الأسماء على حالها حتى الآن". ولرؤية اشتقاق لغوي آخر لتعبيرالسرقينيين مرتبط بسارة، انظر حنا الدمشقي في "الطريق المختصر لعلاج الهرطقة Die Haeresibus Compendium" في موسوعة اللاهوت اليوناني، العدد الرابع والتسعين، المجموعة 764A؛ التي تفصل العرب عن سارة.

العرب[1] كأناس؛ ظهروا كوثنيين مشركين انغمسوا في ممارسات بغيضة من التضحيات الإنسانية لإرضاء شياطينهم الشريرة[2]، كما كانوا برابرة في عاداتهم وتقاليدهم وإن الصيغ العليا من الحياة المتمدنة لم تكن معروفة بينهم.

بالرغم من أن صورة العرب هذه لم تكن معروفة للمؤرخين الكلاسيكيين الوثنيين، فقد استمرت بأخذ أهمية خاصة في "الإعداد" لأنها كانت عملاً لاهوتياً لأن أوسيبيوس كتبها كمدافع عن الدين، إذ نظمت من خلال رؤية معينة لدحض الوثنية وإظهار تفوق اليهودية. فقد اشترك العرب كشعب مع اليهود بقدم يرجع إلى إبراهيم فصورت حالهم على نحو سيئ في"الإعداد" كما كانت في" Chronicon التأريخ". لأن ارتباطهم بإبراهيم أُبطل بحقيقة كونهم إسماعيليين وهاجريين، وهذا ما جعلهم خارج الميثاق الإلهي. ولذلك، لم يشاركوا في الدين الصحيح؛ اليهودية، الذي أشاد به "الإعداد" على حساب الإشراك. وبالإضافة إلى وجودهم من البداية خارج الميثاق أو الوعد فقد تبنوا منذ العصر الإبراهيمي[3] جميع العادات والتقاليد والممارسات الدينية الوثنية وكانوا بالنتيجة ضمن موضوع الجدل القائم ضدهم ضمن سياق الإعداد. ولذلك، ففي تصور "الإعداد" الذي تشكل ضد الإشراك، وفي الدفاع عن اليهودية كان العرب متحالفين مع الإشراك ولم يأخذوا نصيبهم من الإيمان باليهودية رغم كونهم من أحفاد إبراهيم. وقد ثبتت هذه الرؤية عن العرب بقوة بالاشتقاق اللغوي الجديد الذي أعطي للتعبير الذي جاء يرمز إلى العرب في القرن الرابع كسرقينيين[4]. فقد

١- عن هذه الإشارات غير الحميدة وعن تحليلاتها، بما فيها الاستثناء أو الاستثناءين، انظر "الإعدادات الإنجيلية - القسم الأول" من هذا الفصل في هذا الكتاب.

٢- انظر"أمجاد قسطنطين"- القسم الأول من هذا الفصل من هذا الكتاب عن الإشارات إلى العرب في "أمجاد قسطنطين" التي تتناول ديانتهم وممارساتهم الدينية. وبذلك، لا يوجد تناول فضيلة منفصلة تحسب لهم في هذا السياق يشار إليها في هذا القسم من "الإعداد".

٣- تعتبر الإشارات الواردة في" أمجاد قسطنطين" التي تشير إلى عرب دومة الجندل ذات قيمة لأنها ليست تعبيراً عاماً عن العرب، ولكنها تمثل تعبيراً محدداً؛ الدومتانيون، لأنه يربط هذه المجموعة بشكل خاص بإبراهيم من خلال واحد من أحفاده؛ دوما، انظر الملاحظة الثالثة تحت عنوان (مديح قسطنطين) في هذا الفصل.

٤- انظر الملاحظة الهامشية الرابعة قبل هذه الملاحظة.

عكس الاشتقاق اللغوي الجديد الرؤية اللاهوتية عن العرب كما رآها الكتاب المسيحيون الذين وضعوهم ضمن مكانة متدنية جداً من الإذلال الإلهي العسير[1].

التاريخ الكنسي Historia Ecclesiastica: يوجد أربع مجموعات رئيسية من الإشارات الدالة على العرب في التاريخ الكنسي تخص (أ) هيروديو يهودا (ب) أبجريو أديسا (ج) ولاية العربية (د) فيليب العربي[2]. ثلاثة منها تخص الحكام العرب، بينما الرابعة تخص سكان ولاية العربية؛ واحدة من الإشارات الثلاثة التي تخص الحكام تشير إلى الهيروديين فقط بحيث تتحدث بوضوح عن أصلهم العربي أو أصل نصفهم العربي، في حين أن الإشارات الأخرى التي تتحدث عن أبجر وفيليب تبقى صامتة في الحديث عن اندماجهم العرقي.

وبقبول الهدف الاعتذاري للعمل- انتصار الكنيسة الموجه من الرب ضد الدولة الوثنية في القرون الثلاثة - من داخل بناء المواضيع المختلفة التي تشكل "التاريخ الكنسي"[3]، فإنها لا تعكس صورة العربي بشكل مضيء؛ ويمكن تلخيص ذلك بالآتي:

(أ) لا يمكن المغالاة بأهمية الحاكم سواء كان ملكاً لدولة في الشرق الأدنى أو إمبراطوراً رومانياً في فترة كانت فرص المسيحية (فترة الاضطهاد العنيفة) متأثرة بموقف الحاكم. فقد بقي أوسيبيوس صامتاً عن إظهارالأصل العربي لأبجرالخامس وصامتاً بشكل كلي عن أبجر الثامن، وبذلك أضفى غموضاً من الشك على الإسهام العربي في تطور أديسا المسيحية. كما صمت أيضاً عن إظهار الأصل العرقي لأول إمبراطور روماني مسيحي، فيليب،الذي أعطى الكنيسة،على الأقل، استراحة لمدة خمس

١- إذا قال أوسيبيوس أي شيء عن العرب في الجزء الثاني من عمله الاعتذاري "البرهان الإنجيلي"، الذي ما زال نصفه فقط موجوداً ليس واضحاً؛ فمن غير المحتمل أنه فعل ذلك، لأنه لو فعل لكان ورد في الكتابين الأول والثاني، اللذين ضمن أشياء أخرى تناولا رفض المسيحية للتشريع الموسوي وتسمية المسيحيين بالأغيار أو الوثنيين؛ غير أنه لا يوجد أي إشارة إلى أبناء إبراهيم في هذين الكتابين. عن "البرهان الإنجيلي"، انظر كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثالث، الصفحات ٣٣١- ٣٣٢.

٢- عن هذه الإشارات، انظر ما ورد تحت عنوان "التاريخ الكنسي" حتى نهاية القسم الأول من هذا الفصل.

٣- انظر مقدمة "التاريخ الكنسي"، الكتاب الأول، الفصل الأول؛ انظر أيضاً كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثالث، الصفحات ٣١٤- ٣١٥.

سنوات، ولو أنه عاش مدة أطول لتسنى له خدمة المسيحية بطريقة واقعية أساسية. إلا أن أوسيبيوس لم يصمت عن أصل هيرودس الكبير، ولذلك تم تشويه صورة العربي من خلال روايته عن الأعضاء الثلاثة من العائلة؛ هيرودس الكبير- المدعي- الذي خطط عن عمد لقتل السيد المسيح نفسه، إلا أنه لم ينجح إلا في ارتكاب مذبحة الأبرياء فقط ؛ الذين كان من ضمنهم ابنه أنتيباس الأول وحفيده أغريبا، وقتله لمبشر وأحد الحواريين الاثني عشر على التوالي.

(ب) كانت الهرطقة والبدع والمبتدعين تمثل واحدة من الأفكار الرئيسية في "التاريخ الكنسي"، وقد عبر أوسيبيوس عن نفسه بقوة على هذا الأمر[1]، وذلك من خلال إشارته بوضوح إلى العرب (الهيروديين)، فظهرت الإشارات الأولى على ذلك في الكتاب السادس من "التاريخ الكنسي" مرتبطة بالبدع التي ظهرت في إقليم ولاية العربية. لذلك، وبعد زمن طويل من حكم هيرودس البغيض تبنى العرب الديانة المسيحية في القرن الثالث،إلا أنهم كانوا قد أدخلوا الزندقة إلى جسم الكنيسة كمذاهب زائفة بعد تبنيهم للمسيحية. لذا كانت صورتهم كهيروديين - حكام ضد المسيحية في القرن الأول الميلادي- قد أضيف إليها الآن الزندقة ومبتدعيها في القرن الثالث، وهذا هو وجهي صورتهم - الهيروديين والهراطقة- التي نجح "التاريخ الكنسي" في بث انتشارها.

ثانياً

لم يكن لدى أوسيبيوس معلومات مباشرة أو اتصال مع العرب[2]، ولأن قيساريا في فلسطين الأولى كانت المكان الذي تدرب به، فقد كانت نشاطاته الأدبية والأسقفية

١- عن الزنادقة والمبتدعين كخبثاء يفسدون رعية السيد المسيح: انظر" التاريخ الكنسي"، الكتاب الأول، الفصل الأول، الجزء الأول.

٢- إذا كان أوسيبيوس قد التقى مع أي من العرب بأي حال، فإنهم يجب أن يكونوا سراقنة ربما التقاهم بطيبة في مصر بعد هروب إبعاده من صور: فهؤلاء العرب؛ بالنسبة له، يعتبرون برابرة كالذين ذكرهم في "التاريخ الكنسي"، الفصل السادس، الجزء الثاني والأربعين- ٤، عندما كان يصف هروب المسيحيين، خلال حملة الاضطهاد التي أطلقها ديقيوس/ ديشيوس، إلى الجبل العربي ليقوم السرقينيون باستعبادهم. وبعد قراءة هذا الفصل، أوحى تي. دي. بارنز في رسالته المؤرخة في ٢٧ آذار ١٩٧٩م بأن أوسيبيوس ربما زار العربية.

وظاهرياً ولادته أيضاً. فمعلوماته كانت عن العرب إذاً مستقاة على الغالب حصرياً من الكتب؛ مستخلصاً من المؤلفين الذين يمكن تصنيفهم إلى قسمين:

(أ) كتاب يونان- رومان رسموا صورة للعرب كفاتكين وقاطعي طرق ومغيرين على التخوم الرومانية، وكبدو يسكنون الخيام، البرابرة السرقينيون، المدمنين على ممارسات اجتماعية ودينية شنيعة كالتضحية بالإنسان.

(ب) رأى الكتاب الإنجيليون العربَ كإسماعيليين لم يُشمَلوا بالميثاق الإلهي في سفر التكوين من العهد القديم في الإنجيل، وفي العهد الجديد كهيروديين. لذا، فقد كانت الصورتين المأخوذتين من هذين المصدرين الموضوعين ملتحمتين، حتى قبل عصر أوسيبيوس، بتحديد هوية الإسماعيليين في الإنجيل، وبتعبير مصطلح السَرَقينيين الذي أخذ به الكتاب اليونان والرومان[1]، إلا أن أوسيبيوس أخذ الصورتين الملتحمتين وقدمهما في رؤية شاملة وأوجه متعددة في أعماله الرئيسية الثلاثة: في"حوليات التأريخ Chronicon"، وفي لاهوتيته "الإعداد الإنجيلي"، وفي سياق التاريخ المسيحي في" التاريخ الكنسي".

يوجد بعض المحذوفات الخطيرة في العمل الأخير. فقد قام العرب منذ العهد الجديد بإسهامات مهمة من أجل تقدم ونصرة القضية المسيحية عندما تحول بعض حكامهم إلى المسيحية كأبجر الثامن الأديسي وفيليب العربي؛ مع ذلك، فإن شخصيات القرن الثالث لم يظهروا كعرب في "التاريخ الكنسي"، كما إن أهمية مسيحيتهم لم تحتل المنزلة الملائمة. وبدلاً من ذلك، رُسمت لهم واجهة جديدة كهراطقة أو زنادقة القرن الثالث، واستمرت هذه الصورة لزمن طويل في وجدان المؤرخين الكنسيين اللاحقين.

لا يمكن اتهام أوسيبيوس بالتحامل في روايته التي قدمها عن العرب ومكانتهم في تاريخ المسيحية. فقد كتبت فصوله عن الزندقة في ولاية العربية بطريقة موضوعية،

١- يمكن إضافة يوسيفوس (المؤرخ اليهودي) إلى هؤلاء الكتاب اليونان- الرومان. فقد امتلك جوزيفوس معلومات مادية عن العرب في العصر الإنجيلي وما بعده، وعلى الخصوص في القرن الأول الميلادي (انظر الملاحظة الأخيرة من الفقرة (ج) تحت عنوان "الإعداد الإنجيلي" في القسم الأول من هذا الفصل، وانظر كذلك إلى آخر ملاحظة في الفقرة رقم (٢) تحت عنوان "الكتاب التاسع" من القسم الأول من هذا الفصل)، فقد كان يوسيفوس أيضاً واحداً من المصادر الرئيسية في تاريخه الكنسي، بالرغم من ذلك لم يستشهد به عن العرب.

في حين كان موقفه من فيليب مفهوماً في ضوء الحقيقة بأنه كان مداح قسطنطين، إذ كان ذهنه مشغولاً بتقديم قسطنطين كأول إمبراطور روماني مسيحي شكل حكمه ذروة التاريخ المسيحي. بالإضافة إلى ذلك، كان من سوء حظ العرب أن ازدهار أوسيبيوس الأدبي لم يكن في النصف الثاني من القرن الرابع بل في النصف الأول منه. إذ لو أنه كان في النصف الثاني من القرن المذكور لكان عليه أن يشهد إشراق فجر العرب المسيحي الجديد ممثلاً بشخصية الملكة مافيا- الحاكمة العربية التي دانت بالمسيحية وكرست نفسها لإعلاء قضية المسيحية، والأكثر أهمية من ذلك، أنها لم تكن متهرطقة في قناعاتها اللاهوتية بل كانت قوية المعتقد.

ملحق

تثير إشارات أوسيبيوس، التي اشترك في موضوعها معظم الكتاب، إلى أبجر الثامن الكبير الدعوة لمناقشة قصيرة في تحوله إلى المسيحية، بينما تدعو أحدثها إلى التساؤل[1].

١- بينت، وبشكل جيد،مقالة E.Kirstenعن أديسا[2]مسألة تحول أبجر الكبير، إذ يقدم من خلالها موجزاً نقدياً قيماً للمصادرذات الصلة،بما فيها"السجل الحبري". ولأن أوسيبيوس ترك تحوله إلى المسيحية منطوياً فقط ضمن النص، لذا فقد كان من الضروري إجراء ملاحظات قليلة على الحذف الذي فعله أوسيبيوس، وتم الإمساك به من قبل الذين رفضوا رواية تحول أبجر الكبير، بحيث نضع ونعيد تبيان الملاحظات المختلفة معاً على المشكلة التي توزعت في جسم هذا الفصل[3].

(أ) وافق أوسيبيوس بحماسة على إسطورة تحول أبجر حاكم أديسا إلى المسيحية في القرن الأول الميلادي، أبجرعكاما/ أوكاما Abgar Ukkama، ومراسلاته مع

١- انظر H.J. Drijvers في "طقوس العبادة والمعتقدات في أديسا"، الذي صدر في ليدن عام ١٩٨٠م، الصفحة ١٤.

٢- انظر RAC، العدد الرابع، المجموعة ٥٧٠؛ وقبله، أُيدت من قبل B. Kotting، نفس المصدر،العدد الثاني، المجموعة ١١٤؛وأيدت من بعده بالمصدر نفسه من قبل جي. إم. ساندرز، العدد الثامن، المجموعة ١٠٢٩.

٣- انظر الصفحة الأولى من الفصل السابع من هذا الكتاب.

السيد المسيح، إذ خصص له أوسيبيوس فصلاً كاملاً في "التاريخ الكنسي"[1]. وبالنتيجة، أخذ أوسيبيوس على نفسه معتقداً أن الأبجريين كانوا قد تحولوا إلى المسيحية مسبقاً خلال تحول أبجر الكبير، وأن أديسا كانت مدينة مسيحية واستمرت كذلك حتى العام ٢٠٠م. لذلك لم يكن لدى أوسيبيوس أي خيار إلا أن يتذكر فقط مسيحية أبجر الكبير في الماضي، والأهم من ذلك أن يشير لها في مستند يوليوس أفريكانوس. وبفعل ذلك، ردد ما فعله عندما كتب قسمه في الكتاب عن فيليب العربي في التاريخ الكنسي، في فصله السادس، الجزء الرابع والثلاثين؛ إذ لم يعط مسيحية فيليب البروز اللازم الذي استحقته، كونه أراد أن يحتفظ بصيغه التفضيلية العليا لقسطنطين[2].

(ب) تعتبر شهادة يوليوس أفريكانوس حاسمة كمصدر أولي وكشاهد عيان زار أديسا وأمضى بعض الوقت في بلاط أبجر. إذ ربما افتقد الموقف الناقد نحو مصادره في كتابة يومياته التاريخية Chronicles، وربما لم يكن أيضاً ناقداً في دراساته عند كتابة "موشاته". ولكن في مثل أمر كهذا، كالإقناع الديني وتحول الحاكم الذي عرفه واستقر في بلاطه لبعض الوقت، لا يمكن أن يوجد هنا أي شك في شهادة العيان الحاسمة[3].

(ج) تقدم شهادته تأكيداً على بيانه المشهور الواضح والبسيط غير المزخرف عن تحول أبجر إلى المسيحية في كتاب بارديسان" كتاب الناموس والشرائع في الدول" شهادة حقيقية. وبالتأكيد كان إلغاء أبجر لممارسة عادة الإخصاء على شرف تارعاتا Tar`ata (أتارغاتيس Atargatis)، الذي سيرا Dea Syra، تفصيلاً مهماً يؤيد البيان المذكور عن تحول أبجر لأنها أشارت إلى المسيحية كإلهام خلف هذا التشريع؛ وبذلك يمكن أن يقال عن إلغائه لممارسة عادة أخرى وهي عادة الختان[4]. فقد جاءت

١- "التاريخ الكنسي"، الفصل الأول، الجزء الثالث عشر.

٢- عد إلى الفصل السادس الذي يتحدث عن فيليب في هذا الكتاب.

٣- عن يوليوس أفريكانوس، انظر كويستن في "علم اللاهوت"، المجلد الثاني، الصفحات ١٣٧- ١٤٠.

٤- عن هذا المقطع المشهور عند بارديسان، الذي يتعاطى مع تحول أبجر وإلغائه لعادة الإخصاء، انظر درايفرز Drijvers في كتاب الناموس والشرائع، الصفحة ٥٨. وعن مسألة إلغاء

هذه التفاصيل من معاصر آخر؛ بارديسان، تؤكد على ما توصل إليه يوليوس أفريكانوس، وتجعل من المؤكد أن مسيحية أبجر كانت حقيقة تاريخية.

٢- يثير السؤال، لماذا كان تحول أبجر الموثق هذا محل شك عند بعض الدارسين. الجواب ينطوي في صعود إسطورته مع روايتها الخيالية بامتياز عن مراسلة أبجر مع السيد المسيح الموصوفة في تاريخ أوسيبيوس الكنسي في"تعاليم أداياي/ Doctrina Addaei". إلا أنه يجب فصل هذين التحولين عن بعضهما: إذ أن التحول الحقيقي لأبجر الكبير الذي يتكئ على المصادر المعاصرة التي لا يشك بصحتها، وعلى التحول الخيالي لأبجر أوكاما Ukkama الذي يتكئ على الرواية الإسطورية كتلك الموجودة في"تعاليم أداياي"[1]. والسؤال الإضافي في كيف ارتقت أسطورة أبجر يجب أن تكون بكل تأكيد مرتبطة بتحول اسم سَميه إلى المسيحية حوالي ٢٠٠م، وأن البحث عن البابوية

الإخصاء سواء كان ورائها الرومان (كما ورد عند بارديسان)، أو العرب (كما ورد في نسخة أوسيبيوس عن كتاب بارديسان)، انظر الملاحظة الرابعة من الفقرة (ج) تحت عنوان (الإعداد الإنجيلي) من القسم الأول في هذا الفصل. فربما تعاون الجانبان في ذلك، إذ أن الإلغاء تحقق من جانب واحد بالموافقة عليه من الجانب الأخر، ولكن لسببين مختلفين:عن أوسيبيوس وبارديسان، انظر Drijvers في نواميس وشرائع بارديسان،الصفحات ٦١- ٦٢، ٦٨- ٧٠:عن حكم المسيحيين على الإخصاء، انظر جي. إم .ساندرز في "غالوس"،العدد الثامن من "موسوعة المعجم المسيحي القديم"،المجموعات ١٠٢٨- ١٠٣١، خاصة المجموعة ١٠٢٩التي تتحدث عن أبجر كمسيحي، وعن إلغائه لعادة الإخصاء. لا ينفي Drijvers من أن أبجر قدم تشريعاً لإلغاء عادة الإخصاء، لكنه رفض الرأي القائل بأن إلغائه هذا كان بسبب تحوله إلى المسيحية. وعلى كل حال،فإنه لم يقدم تفسيراً بديلاً عن سن هذا التشريع،وبقيت مسيحية أبجر من أكثر التفسيرات إقناعاً؛ انظر كتابه "طقوس العبادة والمعتقدات في أديسا"، الصفحة ٧٧؛ انظر أيضاً الملاحظة الهامشية التاسعة من بداية هذا الفصل. وعن تحول أبجر الذي شغل أوسيبيوس وأفريكانوس وبارديسان، انظر كيرستن في RAC / موسوعة المعجم المسيحي القديم، العدد ٤، المجموعة ٥٧٠.

١- كما تم عمله من قبل J.B. Segal في "النصب التذكارية السورية في أورفا"، في مجلة الدراسات الأناضولية، العدد الثالث الذي صدر عام ١٩٥٣م، الصفحة ١١٨؛ لكن نفس الكاتب بدأ يشك فيما بعد بمسيحية أبجر الكبير، انظر كتابه أديسا، الصفحات ٧٠- ٧١، حيث لا يوجد أسباب دامغة تبرر شكوكه.

* أوسيبيوس- المترجم.

هو الذي يقدم البرهان. فقد حاولت الكنيسة في أديسا، مثلما فعلت الكثير من الكنائس الأخرى، أن تقدم سبقاً في استفتاحها للعصور الرسولية؛ على اعتبار أن شعبية اسطورة أبجر، حتى مع كاهن تاريخ الكنيسة*، عملت ضد صالح الروايات الحقيقية المعاصرة التي تحدثت عن التحول التاريخي لأبجر الكبير[1] حوالي ٢٠٠م.

لذلك بقيت أديسا أول مملكة مسيحية[2] في العالم بدأت حوالي ٢٠٠م عندما أقر البيت الملكي المسيحية ديناً للدولة، وذلك قبل اضطلاع المسيحية لدورها بوقت طويل في أرمينيا وإثيوبيا أو في بيزنطة نفسها[3]. قدم الأبجريون إسهاماتهم لصالح العصر

١- كما حدث مع Drijvers في كتاب قيم مختلف؛انظر كتابه "العبادة والمعتقدات الدينية": الصفحات ١٤، ٧٧. إذ لايوجد أي مكان يقدم فيه جدلاً مبنياً على الحجة لرفضه تحول أبجر الثامن حوالي ٢٠٠م. لم يكن Nau في بيانه أو منهجه أو نولدكه في مقدمته، وكذلك سابقي درايفرز المميزين في دراسة برديسان وكتابه يشكون بأن رواية التحول إلى المسيحية ليست حقيقية؛ انظر كتابهم عن المنطقة:المعتقدات اللاهوتية السريانية Liber Legum Regionum, Patrology Syriaca ، المجلد الثاني الذي صدرعام ١٩٧٧م ، الصفحات ٤٩٢-٥٣٥، ٦٠٦. لم يشك درايفرز نفسه بهذا من خلال رسالته للحصول على درجة الدكتوراة- في إصداره "كتاب القوانين والشرائع في البلدان" الذي ظهرعام ١٩٦٥- وفي دراسته "برديسان الأديسي" الذي ظهر عام ١٩٦٦م. فهو يبين في كتابه الأخير أننا لا نستطيع أن نلتمس إلى أي مدى قدم كتاب "القوانين والشرائع في البلدان" أمثلة إضافية (الصفحة ٧٥). وعلى كل حال، فهو يتحدث في كتابه "العبادة والمعتقدات الدينية"، الصفحة ٧٧ عن نسخة لاحقة لحوار برديسان عن القدر، ولكن بدون إفاضة، في حين لم تقدم مقالتاه (الصفحة ٧٧) الكثير من الدعم لهذا الرأي. إذ ربما كان متأثراً بإفراط بفكرة مضمون كتابه الذي يعالج موضوع الوثنية في أديسا. وعلى كلٍ فقد كان كتاب درايفرز"العبادة والمعتقدات الدينية" مهماً للاهتمامات الواردة فيه لأنه يعترف بالعامل القوي للعرب في حياة أديسا، خاصة مشاركة الآلهة العربية بتكوين مجمع الآلهة الوثنية في أديسا، ويأتي كتابه الآخر "ديانة تدمر"، صدر في ليدن عام ١٩٧٦، على نفس المنوال، والذي احتوى أيضاً على السيرة التاريخية حتى تاريخه للمدينة العربية الأخرى في هذه الفترة الرومانية - تدمر.

٢- عن أديابين Adiabene، الواقعة خارج الإمبراطورية الرومانية في أرساسيد بارثيا Arsacid Parthia، ومسيحيتها، انظر هارناك في "البعثات والتوسع المسيحي"، المجلد الأول، الصفحة الأولى، الملاحظة رقم واحد.

٣- عن أديسا، انظر العمل القديم لدوفال R. Duval في "التاريخ السياسي، الديني والأدبي في أديسا حتى الحملة الصليبية الأولى" الذي صدر في باريس عام ١٨٩٢م، والأحدث لسيغال في

المسيحي الأول حتى قبل تحولهم إليها. إذ حكموا مدينتهم بروح التسامح لثلاثة قرون تقريباً، وبهذا مكنوا أديسا من البروز كمركز مسيحي رئيسي في النصف الثاني من القرن[1]، وبنفس الطريقة التي برز بها اللخميون في الحيرة كمؤسسة عربية أخرى على الفرات الأسفل مكنت تلك المدينة من أن تصبح مركزاً رئيسياً للمسيحية العربية في القرون الثلاثة قبل ظهور الإسلام[2].

"أديسا، المدينة المباركة". وهذان العملان، خصوصاً الأخير الذي يمتاز بشمولية سيرته، يمكن أن يكونا دليلاً كافياً على جميع مظاهر الحياة في أديسا وعلى التاريخ المثير للمشاعر في هذا الكتاب.

١- يعتبر الأثران الأدبيان العظيمان في ذلك القرن: بيشيتا Peshitta، النسخة السريانية للإنجيل، والتفسير المبكر للنص الإنجيلي بالتسمية "رباعيات تاشيان Diatessaron Tatian" اللذان يربطهما معظم الدارسين بأديسا القرن الثاني. إذ يمثل هذان العملان موضوع تنازع وخصام: انظر سيغال في "أديسا"، الفهرس.

٢- عن الحيرة، انظر "الاتصالات الثقافية"، الصفحة الأخيرة من الفصل الرابع من هذا الكتاب. بدأت أديسا العرب الأبجريين أولاً في اللغة الآرامية ثم انتقلت إلى إطارالثقافة السريانية، ومع سقوط الأسرة الحاكمة انتقلت بشكل أكبر من المدار العربي وأصبحت مرتبطة ومحددة الهوية بالمسيحية السريانية. وعلى الجانب الآخر كانت الحيرة مؤسسة عربية قريبة جداً من شبه الجزيرة العربية التي لم يكن ينازع اللغة العربية فيها أي منازع، وهذا الذي مكنها من أن تبرز كمركز رئيسي للمسيحية العربية قبل العصر الإسلامي. عن بنوة الأبجريين واللخميين، انظر U. Monneret de Villard في "تاج امرئ القيس Il Tag di Imru` I-Qais"، لأكاديمية لينشي الوطنية الإيطالية، Atti della Accademia Nazionala dei Lincei Rendiconti Classe di scienze morali, storische e filoglogiche.

وهو العدد الثامن الذي صدر في عام ١٩٥٤م، الصفحة ٢٢٨، انظر أيضاً عمل W. Seston المبكر في "دقلديانوس وحكم المناطق الأربعة Diocletian et La tetrarchie"، الصادر في باريس ١٩٤٦، المجلد الأول، الصفحات ١٥٢، ١٥٦؛ وعن الدور العربي المهم في شيوع الفلسفة المانشية* في الإمبراطورية الرومانية، انظر الصفحات ١٤٨- ١٦٦ من المصدر السابق نفسه.

* الفلسفة المانوية هي فلسفة دينية تعلمها أتباعها بداية من القرن الثالث حتى السابع من قبل المعلم الفارسي مانيس Manes أو Manichaeus وأتباعه، والتي تجمع بين خليط من المعتقدات الزرادشتيه والمسيحية الغنومية والعناصر الوثنية، والمرتكزة على معتقدات مبدأي الخير الذي يمثل (النور، الإله، والروح)، والشر الذي يمثل (الظلمة، الشيطان، والجسد)- المترجم.

الفصل الثامن

زوسيموس والعرب

كان زوسيموس[1] مؤرخ الوثنية المتأخر مثلما كان أيضاً أميانوس محللاً للانحدار الروماني. فقد رسُمت الشخصية العربية في أعماله من خلال الإشارة إليها بمناسبات مشهودة في التاريخ الروماني؛ رسمت اثنتين منها خلال الأزمة الإمبراطورية في القرن الثالث، ارتبط بهما فيليب العربي وتدمر أذينه وزنوبيا، والثالثة في الحرب القوطية خلال حكم فالين[2]. وتزودنا الروايات الموجودة عن العرب في "التاريخ الحديث" لزوسيموس بمعلومات تاريخية مهمة ذات قيمة عالية عن صورة العرب وعن إيضاح رؤية زوسيموس في عملية الانحدار الروماني.

١- ظهر "التاريخ الحديث" في إصداره المعياري للكاتب L. Mendelssohn في لا يبزغ عام ١٨٨٧م. عن زوسيموس، انظر M.E.Colonn في "التاريخ البيزنطي"، صدر في نابولي عام ١٩٥٦م، المجلد الأول، الصفحات ١٤٢- ١٤٤؛ انظر كذلك Moravcsik .G في كتابه Byzantinoturcica- البيزنطيات، الذي صدر في برلين عام ١٩٥٨، المجلد الأول،الصفحات ٥٧٧- ٥٧٩. انظر أيضاً W. Kaegi في "زوسيموس وذروة الدفاع التاريخي الوثني"، في كتابه "بيزنطة وانحدار روما" الذي صدر في برنستون عام ١٩٦٨م، الصفحات ٩٩- ١٤٥؛ ومقالة W.Goffart "زوسيموس، أول مؤرخ انشغل بسقوط روما" في "مجلة النقد التاريخية الأمريكية"، العدد السادس والسبعين الذي صدر عام ١٩٧١م، الصفحات ٤١٢- ٤٤١.

٢- مرت اثنتين من الإشارات المرجعية عن العرب: (١) الإشارة الأولى كسكيناتي(سكان- الخيام) Scenitae إذ ارتبطت بحملة سيفيروس ضد ولاية العربية بعد استيلائه على طيسيفون، "التاريخ الحديث" ١. ٨ (تعني العربية هنا الواقعة بين النهرين). (٢) كسرقينيون حاربوا الفرس خلال حملة جوليان الفارسية، الفصل الثالث، ٢٧. انظر الفصل في مقدمة F.Paschoud عن مصادر زوسيموس في "التاريخ الحديث"، التي صدرت في باريس ١٩٧١م، الصفحات ٣٤-٦٣. ومن المحتمل جداً أن دكسيبوس Dexippus كان مصدر زوسيموس عن فيليب العربي، ويونابيوس عن زنوبيا ومافيا.

القسم الأول

لم يتوافق زوسيموس مع فيليب، إذ كان رأيه السلبي بفيليب بشكل عام مثل حكم أغلبية المؤرخين الرومان[1]. وما يتصل بهذا الصدد هنا هو ملاحظة رواية زوسيموس[2] عن حكم فيليب (الفصل الأول، الصفحات١٨-٢٢) التي تبدو مفاجئة بتفاصيلها بناءً على أهميتها. وهذا شيء عظيم يوحي بأن هذه الرواية كتبت ليس من أجل تسجيل وقائع الحكم لاستخدامها كأدوات إيضاح لآراء زرسيموس التي كان يقدمها للقارئ عن عملية الانحدار الروماني. وتدعو الرواية إلى متابعة الملاحظات التالية:

١- مثلت آراء زوسيموس القوية عن تأثر الإمبراطورية وحكومتها بالبربرية بأن حتمت رؤية أول تفسير لكراهيته الشديدة لفيليب، فقد عبر عن شجبه لفيليب بتعابير مغالية حملت بما لاشك فيه نغمات عنصرية شديدة التطرف[3]. وكان ارتقاء فيليب، بالنسبة لزوسيموس، إلى تقلد الوشاح الأرجواني يمثل وصول البربرية إلى أعلى المستويات المنظورة،خاصة أن فيليب كان مسبوقاً بالروماني غورديان الذي أسقطه فيليب، ومتبوعاً بديقيوس/ ديشيوس الذي وصف بتعابير استحسان قوية تتناقض بحدة مع تلك الأوصاف عن فيليب.

مع ذلك، لم يكن عداء زوسيموس الشديد نحو فيليب مفسراً ومشروحاً بشكل كامل لتبرير مصداقيته[4]. ولم يُبين اشتراك فيليب، على أرضية كافية، في التآمر على

١- أمضى فيليب في وشاحه الأرجواني مدة أطول من العديد من الأباطرة الرومان الذين شهدوا الأزمة الإمبراطورية. وباستثناء تورطه في المؤامرة التي أدت لموت غورديان، لم يظهر في حياته المهنية ما يدعو لاتهامه بمثل هذه الأحكام المجحفة كالتي مرت بحقه، انظر الفصل السادس عن فيليب في هذا الكتاب .

٢- أخذت فترة حكم فيليب خمسة أقسام من الكتاب الأول، بينما كانت فترة حكم سيفيروس أكثر أهمية بكثير من فترة حكم فيليب، إذ أخذت فقط نصف قسم، ١ . ٨.

٣- وصف فيليب "كقادم من أسوأ المناطق العربية"، تاريخ زوسيموس الحديث، الفصل الأول، الصفحة ١٨ . عن موضوع: ضد السامية في العالم الروماني، انظر A.N. Sherwin-White في "التحامل العنصري في روما الإمبراطورية" الذي صدر في كمبريدج ١٩٦٧م، الصفحات ٨٦ - ١٠١ .

٤- يعود إلى فيليب عندما يتحدث عن السلام الذي عقده جوفيان. فيصف سلام فيليب مع الفرس بالمهين (القسم الثالث ٣٢) .

إسقاط غورديان في قرن شهد الكثير من إراقة الدماء والعنف والتآمر، كذلك لم يُظهر ما يشير إلى أصله البربري أيضاً. ففي نهاية القرن كان يحكم روما الإمبراطور البربري سبتيميوس سيفيروس الإفريقي المولد من لبتيس في ليبيا، الذي كانت لغته الأصلية الفينيقية، والذي كان متزوجاً من جوليا دومنا الحمصية. وربما قدمت بعض نشاطاته غير الرومانية ذريعة الهجوم لواحد حمل مثل تلك الرؤى كزوسيموس[1]، ومع ذلك فهو يتوافق معه (تاريخ زوسيموس الحديث، الفصل الأول، الصفحة الثامنة).

٢- يصبح عداء زوسيموس نحو فيليب أكثر قبولاً للتفسير عندما نتذكر أن فيليب بُجل، حسب التراث المسيحي، كأول إمبراطور روماني مسيحي يتبنى المسيحية[2] قبل قسطنطين. فآراء زوسيموس عن المسيحية كعامل انحطاط في التاريخ الروماني معروفة جيداً، ولهذا بنيت مسيحية فيليب على قاعدة أساسية من العداء نحوه، ومثلت لزوسيموس بالتالي رؤية لواحد كان بربرياً ومسيحياً بآن واحد، ومع ذلك أصبح إمبراطوراً للعالم الروماني. وحتى تاريخه لم تظهر كلمة واحدة في "التاريخ الحديث" تشير إلى مسيحية فيليب التي توجب أن تكون معروفة لزوسيموس من خلال التراث المسيحي الذي ذكرها[3]. ويمكن الاستنتاج من خلال النظر إلى ما يكنه زوسيموس من عداء نحو فيليب والمسيحية، إذ أنه تعجل بشجبه واتهامه كأول إمبراطور روماني مسيحي.

إن المفتاح لفهم إغفال وطمس أي شيء عن مسيحية فيليب يجب أن يرتبط بإغفال زوسيموس لحقيقة مهمة أخرى حول فيليب،ألا وهي احتفال فيليب بالألعاب

١- إهانة سيفيروس لمجلس الشيوخ متضادة مع موقف فيليب الذي ينطوي على الاحترام للمجلس كما صورها زوسيموس نفسه.

٢- لا يوجد رفض دامغ في التراث المسيحي لفيليب كأول إمبراطور روماني مسيحي، فتجد عدم الاتفاق على هذا الموضوع في مقالة ستين في RE، العدد العاشر، الجزء الأول، المجموعات ٧٦٨-٧٧٠، لكن عدم الاتفاق هذا غير مقنع كما تم عرضه في الفصل الخاص عن فيليب، انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

٣- عن هؤلاء المؤلفين المسيحيين الذين كتبوا في مسيحية فيليب، انظر نفس المصدر في الملاحظة السابقة.

المدنيـة. فعنـد تـدقيق روايتـه، تحديداً، بوصـف ألعـاب القـرن* يتبين أن العلاقـة بـين الحذفين يمكن رؤيتها بجلاء وأن التضمين الكامل للحذفين يصبح واضحاً.

تعد روايـة زوسـيموس مـن أكثـر الروايـات الموجـودة عـن ألعـاب القـرن تفـصيلاً (القسم الثاني١-٧). فهو يعطيها قدراً كبيراً من البروز والتنافس الذي يعني بأن ازدهار الإمبراطوريـة كان مرتبطاً بتنفيذ الطقـوس الدينيـة القديمـة الـتي مثلـت ألعـاب القـرن مركزهـا الرئيـسي؛ فقـد ذكـر أسمـاء الأبـاطرة الـذين احتفلـوا بهـذه الألعـاب منـذ بـدء إحيائها مـن قبـل أوغسطوس، واستمرار كلوديـوس، دوميشيان، وسـيفيروس بإحيائهـا؛ وأخيراً أشار إلى قسطنطين، الإمبراطور المسيحي، الذي هدف إلى توقف هـذه الألعـاب، وإرجاع هذا التوقف لجملة النكبات التي حلت بالإمبراطورية منذ ذلك التاريخ. لذا ومن خـلال الخلفيـة الـتي أسـس عليهـا زوسـيموس[1] رؤيتـه عـن الألعـاب أصـبح صـمته عـن مسيحية فيليب جلياً وواضحاً. فكان فيليب آخر الأباطرة الذين احتفلوا بهذه الألعـاب[2]، وما فعله فيها كان كتشكيلات اختياريـة[3]، تتـزامن مـع احتفالـه بالعيـد الألفـي لتأسـيس روما.

لذلك يعتبر صمت زوسيموس على مسيحية فيليب واحتفاله بالألعاب مرتبطاً بـ:

(أ) الفرضية المركزية المطروحة في "التاريخ الحديث".

(ب) هجومه على قسطنطين.

١- الذي كان متعمداً بسبب الرواية المفصلة عن حكم فيليب والألعاب المدنية* والأهميـة الـتي ربطها بالألعاب المدنية.

* ألعاب عامة كانت تقام كل قرن في روما احتفاءً بذكرى تأسيس روما الأسطوري في عـام ٧٥٣ ق.م - المترجم.

٢- لم يغب عن اهتمام الكتاب الكنسيين ملاحظة كلاً من مسيحية فيليب وحقيقـة الاحتفـال بالعيد الألفي لتأسيس روما الذي وقع على إمبراطور مسيحي؛عن هـؤلاء الكتـاب الكنسيون، انظـر مقالة ستين المستَشهد بها في الملاحظة الثانية من الفقـرة (٢) مـن القسم الأول في هـذا الفـصل. كمـا يمكن أن نضيف إلى هؤلاء فاليشيانوس المجهول؛ في القسم السادس - ٣٣.

٣- لم تستطع هذه أن تفت من عضد زوسيموس في ذكـر احتفـال فيليـب بالألعـاب المدنيـة لأنـه سجل احتفال كلوديوس بهذه الألعاب بنفس الطريقة التي احتفل بها فيليب.

(أ) ظهر احتفال فيليب بالألعاب المدنية بشكل يدحض فرضية عرض زوسيموس للانحدار الروماني، إذ لم تمنعه مسيحية فيليب[1] من رؤية طقوس الديانة الرومانية القديمة كعامل مهم في ازدهار روما، بينما لم ير بأن احتفال فيليب بالألعاب يسهم بشيء من ازدهار الإمبراطورية في الفترة التالية مباشرة[2]؛ وفي حقيقة الأمر، كانت هذه الفترة من أكثر الفترات دموية وأكثرها فوضوية في تاريخ الإمبراطورية بكامله.

(ب) أثرت مسيحية فيليب واحتفاله بالألعاب المدنية مباشرة على الهدف الرئيسي من هجوم زوسيموس، في "التاريخ الحديث"، على الإمبراطور قسطنطين الذي بدأ بإجراءات التطبيع البربري والمسيحي، إذ أن قسطنطين كان الإمبراطور المسيحي الذي تجاهل الاحتفال بالألعاب المدنية، مفتتحاً بذلك فترة الكوارث في التاريخ الروماني. وفي المقابل، وجد في القرن الثالث إمبراطور كان مسيحياً لم يتجاهل إحياء الاحتفال بالطقوس الوثنية القديمة، وإلى حد أكثر بعداً،لم يُتبع احتفاله بالألعاب المدنية ورعايته لها بالازدهار الإمبراطوري المزعوم[3].

لهذا تبدو معارضة زوسيموس ضد فيليب مركبة؛ بالإضافة إلى ما قيل عن وجود دافع لهذا التعارض وهذه الضغناء بسبب من إيمان فيليب المسيحي وأصله البربري، وأنها مشتقة مما طوره زوسيموس نحو قسطنطين.

القسم الثاني

كان موقف زوسيموس من عرب تدمر متغايراً، فقد حرضته التطورات العنيفة اللافتة للنظر في العلاقات التدمرية - الرومانية، المأساة، المكونة من جزأين، والتي حدثت بالتعاقب من جانبي حاكمي تدمر أذينه وزنوبيا. فقد قام بإنصاف أذينه لأنه قام بحماية المصالح الرومانية في المشرق وأنقذ الأجزاء المشرقية (١-٣٩)، لكنه كان عدائياً تجاه زنوبيا لأنها ثارت ضد روما. فقد كانت تدمر زنوبيا هي ما استفاض

١- حتى لو أن فيليب لم يكن مسيحياً، بالرغم من النهج أنه كان، لوجب أن يكون هذا معروفاً لزوسيموس.

٢- يبدو الجدل الدائر مستقلاً سواء كان فيليب مسيحياً أم لا، وإن كان مسيحياً، سواء كان زوسيموس متأكداً من مسيحيته أم لا.

٣- أصبح حكم زوسيموس المفضل على سيبتيميوس سيفيروس واضحاً، وذلك عندما تحقق من أن سيبتيميوس كان آخر إمبراطور وثني يحتفل بالألعاب المدنية (١. ٨ : ١١. ٤).

زوسيموس في الحديث عنه، إذ وضع لها رواية بولغ بطولها حتى أخذت اثني عشر قسماً من الكتاب الأول(١ . ٤٤،٥٠- ٦١). وإضافة إلى القيمة العالية التي قدمتها الرواية من المعلومات، فإنها تعتبر أيضاً رواية مهمة لدراسة موضوع "زوسيموس والعرب" كما كانت روايته عن فيليب التي ربما تعد أكثر أهمية.

١- عبر زوسيموس بوضوح ضمني عما يراه في التدمريين[١]، من خلال ما وضعه في فم وسيط الوحي الذي بعثه أبوللو في مدينة سلوقيا من كيليكيا(١ . ٥٧)؛ فوصفهم "بالرجال الآفاكين المخاتلين المميتين". فقد تلمظ وسيط الوحي في المقطع الثاني من قصيدة "الرد" ببعض العبارات العنصرية عندما كان يتحدث عن ثورة التدمريين ضد "الأجناس التي تختصها الآلهة بالعناية".

جاء لوم زنوبيا لنفسها من خلال العرض الشعري المبطن[٢](١ .٥٦)؛ فقامت، بعدما أسرها أورليان، باتهام أصدقائها بمن فيهم لونجينوس الذي كان المحرض على الثورة التي قادتها إلى الوقوع في خطأ التقدير، وبما يعني أن التضمين غير المحمود يُظهر أنها كانت تثني على أصدقائها في أوقات اليسر وتغدر بهم في أوقات العسر.

٢- بدت روايته مهمة، من خلال المعلومات التي قدمها، وهو يتحدث عن التاريخ العربي والعلاقات العربية-الرومانية، فربما يكون الأهم من ذلك هو دراسة زوسيموس نفسه ووجهة النظر التي أخذ بها لكتابة عمله.

(أ) كتبت هذه الرواية بشكل واضح لرسم صورة تناول المؤلف فيها طريقة وشكل الانحدار الروماني؛ فآراؤه مبينة بوضوح، ولم تكن ضمنية كما كانت روايته عن حكم فيليب:

١- لم يرمز لهم كعرب، سواء سرقينيين أو سكان- خيام، كما رمز بتسمية عرب مافيا أو هؤلاء السيفيريون المنتصرون. لقد ميزهم بوضوح عن البرابرة في كتابه الأول(القسم ١ .٤٤)، فهو لم يستطع أن يفعل ذلك بطريقة مختلفة، خصوصاً من خلال رؤية الألق المؤسسي الحضري التدمري ومن خلال الدائرة الثقافية التي أحاطت بزنوبيا ممثلة بشخصية أشار إليها زوسيموس بالاسم: لونجينوس(١ . ٥٥).

٢- ربما كان على زوسيموس أن يساجل مع الانطباع العام المنسجم الذي تركته زنوبيا على الكتاب الكلاسيكيين. إذ من الجدير بالملاحظة حسبما أورده (١ . ٥٨) أن زنوبيا ماتت في الطريق إلى روما بعد امتناعها عن تناول الطعام أو بأنها مرضت، بينما الإجماع العام هو أنها ماتت في فيلتها في طيبور Tibur.

(١) العناية الإلهية هي من تحمي الإمبراطورية لأن هذه الفترة شهدت تطبيق ممارسة الطقوس الوثنية، ومسألة سلامة وأمن روما تقررت قبل بدء المعركة مع التدمريين.

(٢) كان الإمبراطور الوثني الطيب أورليان الذي يبني هيكلاً للشمس في روما هو وكيل العناية الإلهية، وكان النصر الذي أحرزه على التدمريين قد تكهن به وسيط وحي أبوللو.

(٣) كانت هزيمة التدمريين مرسومة بقضاء من الآلهة الذين وضعوا تدمر بنتيجتها قبل أن تبدأ.

(ب) إن اللافت للنظر في هذه الرواية هو طبيعة تفاصيلها كما وردت في عدة أقسام من الكتاب الأول. وقد أثار ذلك سؤالاً إضافياً عن السبب من أجل كتابتها، وما يبدو من النظرة الأولى أنها رواية طويلة مبالغ فيها. لكن الفحص الدقيق المباشر للرواية في مجمل كلٍ من مظاهر وقائعها وتحليلاتها توحي بالرد: من أن زوسيموس تنبه بشكل واضح إلى أن ثورة تدمر كانت تشكل ذروة فترة الأزمة الإمبراطورية في القرن الثالث كتمثيل لأكبر خطر جدي ومحاولة كادت أن تنجح في تحقيق الانفصال، وذلك عندما كانت جميع أجزاء المشرق أو معظمها قد مرت في الحقيقة من هيمنة روما إلى هيمنة تدمر. لذلك،فقد زودت أبعاد الأزمة التدمرية زوسيموس بالمادة اللازمة لعرض نظريته بطريقة بليغة عن الانحدار الروماني.

(ج) لكن اهتمام زوسيموس غير العادي بالأزمة التدمرية يبقى لافتاً حتى بعد ما قاله عن وظيفة الرواية كتوضيح لإرادة القدر الإلهي في الأزمة الإمبراطورية في القرن الثالث.لم يقيد زوسيموس نفسه في روايته بالتفكيرملياً بالتاريخ الروماني في ماضي القرن الثالث؛ فقد خرج عن مساره ليتحدث بتعابير قوية عن الفترة الأخيرة التي أصبحت فيها الإمبراطورية بربرية ومنكمشة، وكذلك ليتحدث عن رغباته وفي الوقت المناسب، ليناقش الأسباب ويستشهد بوسطاء الوحي. وهذا ما يبرر، على الأقل، الإيحاء أن الحادثة التدمرية أخذت وظيفة أخرى في بناء عمله التاريخي.

(١) انتهت كتابة"التاريخ الحديث Historia Nova بشكلها الموجود بالضبط قبل نهب روما الذي حدث عام ٤١٠م. ففي الفترة التي انتهت بين الأزمة التدمرية ونهب روما الذي قام به ألاريك Alaric* عام ٤١٠م، حدث الكثير للإمبراطورية. فقد كسب البرابرة معركة أدريانوبل وأمنوا استقراراً مناسباً مع ثيودوسيوس في عام ٣٨٢م،

وفي النهاية نجحوا باحتلال روما نفسها . وقد شهدت نفس الفترة انتصار المسيحية: لكن الانتصار المتزامن لعمليتي التطبيع البربري والمسيحي لا يمكن أن تكونا عارضتين. فقبل الفترة المسيحية في التاريخ الروماني نجى أورليان من عاصفة الأزمة التدمرية لأنه تقيد بالطقوس الدينية للديانة الرومانية القديمة، إلا أنه تم تجاهل هذه الطقوس في القرن الرابع، ونتيجة لذلك عانت الإمبراطورية الرومانية من هذه الأضرار المأساوية.

(٢)حتى عام ٤١٠م، حدث الكثير للإمبراطورية خلال التطبيع البربري، بما في ذلك فقدان أراضٍ إقليمية، إذ يبرر هذا إجراء بعض المقارنة بالفقدان المؤقت للأراضي التي فقدتها الإمبراطورية لصالح تدمر.إلا أن فقدان الكثير من الأراضي تعزز في نهاية القرن الخامس، وذلك بسقوط الأجزاء الغربية للإمبراطورية بأيدي البرابرة وتأسيس الممالك الجرمانية.وقد شكل ذلك الكثير من التشابه المقنع للأزمة التدمرية باعتبار أن سقوط الأجزاء المشرقية تحت سلطة تدمر تتشابه في الحقيقة والواقع مع سقوط الأجزاء الغربية تحت سلطة الألمان. فلو أن زوسيموس عاش في وقت متأخر لكانت الأزمة التدمرية أدت وظيفتها في عمله كدليل ثابت على أرائه عن فقدان الأجزاء الغربية التي حدثت في القرن الخامس[١] .

القسم الثالث

بعد روايته عن العرب في التاريخ الروماني في فترة ما قبل المسيحية، في القرن الثالث، أدخل زوسيموس رواية نهائية عنهم في القسم الثاني والعشرين من الكتاب

١- على العكس، وإلى جانب بعض الإشاعات الدائرة، كانت روايته عن الأزمة التدمرية مشبعة بالآراء عن الانحدار الروماني الذي قد يجادل بأن عقل زوسيموس كان يفكر بسقوط الإمبراطورية الغربية في القرن الخامس، ونتيجة لذلك، فقد كتب عمله متأثراً فعلاً في الفترة المتأخرة. حدد تاريخ "التاريخ الحديث" إلى أقرب ما يمكن من تاريخ حكم ثيودوسيوس الأول وإلى أبعد ما يمكن من حكم أناستاسيوس، انظر غوفارت في "زوسيموس"، الصفحات ٤٢٠ - ٤٢٣ . فقد كان الرأي العام مقتنعاً بأن زوسيموس كتب عمله في النصف الثاني من القرن الخامس، في حين أن البعض مدد هذه الفترة المتأخرة لتضم العقد الأول من القرن السادس خلال حكم أناستاسيوس (٤٩١- ٥١٨م)؛ انظر ستين في "تاريخ انحدار الإمبراطورية"، الذي صدر في باريس في عام ١٩٤٩، المجلد الثاني، الصفحات ٧٠٧- ٧٠٨؛ انظر مورافشيك في "البيزنطيات / Byzantinoturcica"، في البيزنطيات، المجلد الأول، الصفحة ٥٧٧؛ انظر كاميرون في "فترة تاريخ زوسيموس الحديث" في دورية "فقه اللغة Philologus"، العدد ١١٣، الذي صدر في عام ١٩٦٩م، الصفحات ١٠٦- ١١٠، مع تعليق غوفارت بعنوان "زوسيموس"، الملاحظات الهامشية ٤٩ ، ٥٣.

الرابع، في العالم الجديد للقرن الرابع الذي أدخل عليه قسطنطين التطبيعين الهمجي والمسيحي. فيعزو في روايته الإسهام العربي في الحرب القوطية لحكم فالين. فالرواية قيمة ومعتدلة بآن واحد كتبت من وجهة نظر فنية وعسكرية[1] . ومع ذلك قُدم العرب كسرقينيين، وبقي المؤرخ صامتاً بشكل كامل عن الملكة التي أسهم جنودها الفرسان حاملي الرماح بإنقاذ القسطنطينية من القوط الألمان. إذ تم فصل عرب هذه الملكة عن تجمعاتهم المختلفة التي كانوا ينتمون لها وقدموا كمجهولين.

من المحتمل أن زوسيموس لم يكن متأكداً من علاقات هؤلاء السرقينيين بالملكة مافيا؛ لكن ذلك غير ممكن للأسباب التالية:

(أ) كان زوسيموس يكتب وهو مقيم في القسطنطينية نفسها، مكان مأثرة العرب التي أخذت مكانها ليس في ماضٍ بعيد بل في القرن السابق؛ حيث أن استعادة ذكرى الأحداث العربية الماضية مازالت حية في المدينة التي تدين جزئياً بإنقاذهم لها، والأهم من ذلك هو ارتباط العرب باشتراكهم بواحدة من المعارك الرئيسية في تاريخ روماني لاحق، وهي نكبة أدريانوبل، ونتائجها التفصيلية بعد ذلك، بما فيها المشاركة العربية، التي يجب أن تكون جميعها معروفة له.

(ب) كرس الكثير من فصوله لأقدار ملكة عربية أخرى هي زنوبيا التي أتاحت حياتها توازياً واضحاً لحياة مافيا، إلى الحد الذي وصلت فيها جيوشهما إلى الممرات المائية التي تفصل أوربا عن آسيا، وصلت زنوبيا إلى هل سبونت، بينما اجتازت مافيا مضيق البوسفور إلى العاصمة بيزنطة نفسها. مع ذلك، لم يلاحظ زوسيموس التوازي الذي كان لافتاً للنظر، إذ من المحتمل استنتاجياً أن حذف الإشارات المرجعية الخاصة عن الملكة مافيا كانت مقصودة.

(ج) لم يعمر زوسيموس طويلاً بعد وضع التواريخ الكنسية لكل من سقراط وسوزومن،والذي كان أبعد أثراً من ذلك،أنهما عاشا وعملا وكتبا في نفس المدينة- القسطنطينية. لهذا وجب أن تكون أعمال هؤلاء المؤرخين معروفة له، خاصة لأنه كان

١- على عكس أميانوس الذي كان معاصراً وعرف أمثال هذه الشخصيات كفيكتور، وزوج ابنة مافيا، كان زوسيموس بعيداً من الناحية الزمنية عن هذه الأحداث والشخصيات. ولهذه الأسباب، كتب زوسيموس رواية أكثر موضوعية مما كتبه زملائه الوثنيين، فقد كانت رواية إيضاحية عن كيف أن التاريخ المعاصر ليس بالضرورة أن يكون أفضل من التاريخ القديم. عن مافيا وإسهاماتها في الحرب القوطية، انظر الفصل الرابع عن حكم فالينز في "بيزنطة والعرب في القرن الرابع" لعرفان شهيد.

معارضاً قوياً لأولئك المسيحيين المدافعين عن انحدار روما[1]. فلو أنه قرأ ما كتبه سقراط وسوزومن لوجب عليه أن يعرف من كانت فرق الجند السرقينيون الذين كتب عنهم، والذين أرسلتهم الملكة مافيا إلى روما لإنقاذها من القوط، كما هو واضح من خلال ما كتبه هذان المؤرخان.

من غير المتوقع أن زوسيموس أراد كتابة رواية موسعة عن مافيا في عمله هذا؛ فحالة زنوبيا ،على أي حال، تبرهن على أنه لو أراد الكتابة عنها لكان كتب شيئاً يحدد هوية السرقينيين بمآثرهم التي وصفها، وذلك بإلباس زنوبيا ثوباً جديداً بجعلها مسيحية وبربرية بآن واحد، ولأبعد حد بجعلها موالية لروما لما حاربت من أجله؛ وهذا ما تجنب تسجيله عن قصد عن مآثر الملكة مافيا. أما حالة مافيا فقد أوضحت للقارئ ما كانت تحمله الملكات العربيات من الرؤية الجديدة بانجذابها لإمبراطورية برباطها المسيحي. وبذلك أبطلت فرضية زوسيموس التي كان يحاول الاحتفاظ بها في التاريخ الروماني لما بعد فترة قسطنطين؛ ابتداء الانحدار الروماني بسبب من التطبيعين البربري والمسيحي. فقد وردت المفارقة الحادة بين تاريخ الملكتين العربيتين- انتمت الأولى إلى عالم القرن الثالث الوثني وغير الموالي لروما، بينما انتمت الثانية إلى عالم القرن الرابع الجديد المسيحي والموالي لروما- إلى أن تكون منسوبة فقط إلى نجاح التجربة القسطنطينية (نسبة للإمبراطور قسطنطين). لقد أبطلت فرضيته بطمسها للحقائق ذات الصلة[2] كما طمست حقائق ثابتة عن فيليب العربي لأسباب كثيرة متشابهة.

القسم الرابع

يرى زوسيموس أن حكم قسطنطين هو النقطة الفاصلة في تقسيم الفترات الزمنية في التاريخ الروماني، الذي ربما ينقسم إلى فترة ما قبل حكم قسطنطين وفترة

١- عن هؤلاء الكتاب الكنسيين في هذا السياق، انظر Kaegi في "بيزنطة وانحدار روما"، انظر أيضاً فصله عن زوسيموس، الصفحات ٩٩ - ١٤٥.

٢- من الملاحظ أنه لم يدعهم عرباً بل سرقينيين، في حين حدد سابقه أميانوس هويتهم بسكان- الخيام/ سكيناتي Scenitae ، وهذا قد يفصل، بتفكير القارئ، عرب مافيا عن عرب زنوبيا الذي يشير لهم زوسيموس دائماً بالتدمريين.

ما بعد حكمه. فقد كانت روما، روما الوثنية بأحوال جيدة قبل قسطنطين[1]، إذ مكنها القدر النجاة من جميع العواصف. إلا أن عملية الانحدار بدأت بعده لأن الآلهة القديمة تخلت عنها، وذلك بغض النظر عن استمرار الرضا بالمستوى الروماني الجيد. وكمثال على ذلك نسب ازدهار القسطنطينية إلى استمرار العناية الإلهية بحمايتها[2].

يكشف الفحص الدقيق لأقسام"التاريخ الحديث"، الذي ظهر فيه العرب أو فيما جعلهم يظهرون، أن خيار رفض المعلومات المتصلة بهم كان محكوماً بدرجة مدى مساهمة هذه المعلومات لإقرار أو عدم إقرار فرضية زوسيموس على عملية الانحدار الروماني. فالحادثتان الرئيسيتان اللتان ارتبط بهما العرب كانتا؛ تسنم فيليب منصب الإمبراطور وثورة تدمر، حدثتا قبل فترة قسطنطين، بينما حدثت الثالثة والرئيسية* الأخيرة بعد الفترة القسطنطينية، فأوضحت جميعها المبدأ الأساسي في الاختيار أو الرفض[3].

١- زوسيموس كآخر ممثل في توجه تفكيره المعادي لقسطنطين الذي بدأه بجوليان، انظر جي. فوغيت في "Kaiser Julian Uber seinen Oheim Konstantin den Grossen / القيصر جوليان وقسطنطين الكبير" في "التاريخ"، العدد الرابع، صدر١٩٥٥، الصفحات ٣٥١ - ٣٥٢.

٢- عن وسيط الوحي الذي أقحمه زوسيموس بمصطلحات وثنية لشرح وتفسير ازدهار القسطنطينية، انظر "التاريخ الحديث"، القسم الثاني، ٣٦- ٣٧. والقسطنطينية برأيه، كانت تحت حماية الآلهة أثينا وآلهة آخرين (V.24) ومثلت رداً عنيفاً على رؤية الكنيسة الذي ربما ظهر في القرن الرابع، والذي عبر أميانوس فيه عن رأيه بمقدمته عن الاسم الوثني الأول لتعليل إنقاذ القسطنطينية من القوط الألمان، انظرRes Gestae, XXXI.16.4/مصنف أميانوس التاريخي، انظر أيضاً المناقشة في "أميانوس والاتحاديين" في كتاب شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، الفصل السابع، القسم الثاني.

* المقصود: الفتح الإسلامي، بل التحرير، لأن المنطقة المحتلة كانت عربية الهوية بالأساس- المترجم.

٣- عن "التاريخ الحديث" كتبصر في التاريخ، انظر J.F. Reitmeier عند غوفارت في "زوسيموس"، الصفحة ٤١٤.

** ولد أميانوس مرقلينوس في أنطاكية ٣٣٠م، وكان آخر المؤرخين الرومان الكبار. فبعد فترة قضاها في الجندية بدأ بكتابة "مصنفه التاريخي/ Res Gestae" باللاتينية عن السنوات من ٩٦- حتى ٣٧٨م ذيل به على تاريخ تاسيتوس/ تاقيتوس Tacitus. وقد ضاعت الكتب الثلاثة عشر

في تصوره للتاريخ الروماني، أحضر زوسيموس للذاكرة زميله الوثني أميانوس**، وكما فعل هو نفسه أيضاً بالطريقة التي عرض بها العرب من خلال عمله. إذ ضمت الكتب المبكرة من "مصنف أميانوس التاريخي" فترة ما قبل قسطنطين، التي ضاعت ومعها رواية أميانوس عن العرب خلال فترات كالتي حدث فيها تسنم فيليب الإمبراطورية وثورة تدمر، وما قاله أميانوس عن العرب، إذا قال أي شيء يمكن استشرافه.

إلا أن إقرارات زوسيموس الواضحة قد تساعد في عملية إعادة بناء رواية أميانوس عن فترة حكم قسطنطين التي لم تستمر حتى تناول زوسيموس لموضوع الحديث. كما أنه لم يورد رواية عن فترة حكم ثيودوسيوس كما وردت في "مصنف أميانوس التاريخي"، والتي تتوقف بالضبط قبل إضافة الرواية الأخيرة هذه. غير أن ما تراءى لزوسيموس عن كلا الإمبراطورين كان استنتاجياً، في الوقت الذي بقيت روايتيه عن قسطنطين وثيودوسيوس حيتين سددتا السهام إلى هذين الإمبراطورين بلهجة شجب قوية[1].

من الممكن الاستنتاج أن الكاتبين الوثنيين حملا على الغالب نفس الرؤى عن التاريخ الروماني وأن عمليهما كانا مضيئين بطريقة تبادلية. لكن زوسيموس كان في وضع أفضل ليكتب عن الانحدار الروماني لأنه عاش بعد أميانوس ويستطيع أن يدعم فرضيته بالتماس الحوادث الاستثنائية التي أخذت مكانها في القرن الخامس في الجزء الغربي من الإمبراطورية. بينما عاش أميانوس على الجانب الآخر في فترة لم تكن فيها قضية قسطنطين وثيودوسيوس كممثلين لانحدار الإمبراطورية واضحة حتى ذلك الحين : فقد أوقف ثيودوسيوس اندفاع القوط بوضع اتفاقية عام ٣٨٢م وقام بوضع البيت الكنسي في مكانه من مجلس مدينة القسطنطينية قبل عام من ذلك. إضافة إلى أن زوسيموس كان مختلف الطباع عن أميانوس، فقد كان زوسيموس أقل كبتاً وأكثر صراحة. ومن الممكن، لو أن أميانوس عاش بوقت متأخر عن زمنه وكانت طباعه بخلاف ما كانت عليه لأمكنه التعبير عن نفسه في عملية الانحدار الروماني بطريقة مماثلة أو حتى بطريقة متطابقة.

الأولى، أما الكتب التالية من ١٤- ٣١ فتحتوي على سرد قيم للأحداث بين ٣٥٣- ٣٧٨م. وقد رافق يوليان في غزوه لما وراء الفرات، وكتب عن مقتله - المترجم.

١- زوسيموس عن هذين الإمبراطورين، انظر F. Paschood في "الأبحاث الخمسة عن زوسيموس"، من مجموعة الدراسات القديمة التي صدرت في باريس عام ١٩٧٥م، واحتوت على الكثير من مصادر زوسيموس (انظر الملاحظة الهامشية رقم ٢ من بداية هذا الفصل).

الفصل التاسع

تعبير/ مصطلح السرقينيون وصورة العرب

أشير إلى العرب في المصادر اليونانية- الرومانية بتعابير عديدة؛ العرب، السرقينوا / السرقينيون، الإسماعيليون، والهاجرينوا/ الهاجريون. وقد حظي استعمال التعبير/ المصطلح الثاني منها؛ السرقينيون، برواج واسع في هذه المصادر في عصور ما قبل الإسلام وفي العصور الإسلامية في كلٍ من الشرق اليوناني والغرب اللاتيني خلال معظم فترات العصور الوسطى. ومن هذه المصطلحات الأربعة؛ مثل مصطلح السرقينيون/ السرقيني مشكلة لعلماء دراسة أصل الكلمات وتوابعها، وما يزال يشكل مسألة معقدة بدلالاته كمصطلح، وكذلك تطوره من كونه معادل لتعبير "سكيناتي Scenitae سكان- الخيام"، إلى دلالات أكثر اتساعاً وشمولاً مع أكثر المصطلحات الأربعة عمومية؛ العرب. بالإضافة إلى ذلك، ارتبطت المشكلتان؛ دراسة أصل الكلمة ودلالاتها الواقعتين في ظروف متشابكة، بمشكلة أهم،وهي صورة العرب في العصور القديمة والعصور الوسطى. لهذا يكون أصل الكلمة المصطلح/ التعبير، سرقيني، أكثر من كونها مهمة لغوية صرفة تستحق فحصاً مفصلاً ودقيقاً.

القسم الأول

استوحى المستشرقون[1] في القرنين التاسع عشر والعشرين العديد من أصول تعبير/ مصطلح سرقيني ودلالاته، إلا أن أيٍ من هذه الأصول لم يتم التوافق عليه

١- قدمت ثمار المستشرقين الدارسين بطريقة موجزة ومؤاتية في مقالين قصيرين أعدهما ب. موريتز وجَي موردتمان B. Moritz وJ.H.Mordtman. ظهر الأول عام ١٩٢٠، انظر , RE Zweite Reihe, I.A, المجموعات ٢٣٨٧- ٢٣٩٠، تحت عنوان: سَراكه Saraka؛ وظهر الثاني عام ١٩٣٤،انظر EL ، العدد الرابع، في الصفحات ١٥٥- ١٥٦، تحت عنوان: السَرقينيون. ومن الواضح أن المقالين لم يعايشا الغرض منهما،لكنهما ما زالا مهمين بمساهمتهما في هذه المسألة نظراً للمعلومات ذات الصلة المجتمعة فيهما من البحث والجدل الذي وضع في المقدمة من أجل ومقابل الأصول المتباينة المقترحة؛ سيتم الإشارة لهما اعتباراً من هنا بموريتز "سَراكه"، وبموردتمان "سَرقيني/ السَرقينيون".

بشكل عام، إذ ارتبط اختلاف هذه الأصول المقترحة بدرجات متفاوتة من الاحتمال. ولم يُقترح أي جديد منذ الأربعينيات[1] من هذا القرن حتى ظهر المقال الجوهري "أصل المصطلح سرقيني ومخطوطات روافة"[2] عام١٩٧٧م، إذ طرح مؤلفاه بعد مناقشة تفصيلية لكل الأصول السابقة للتعبير/المصطلح، ليس فقط باقتراح أصل جديد، وإنما بتقديم اقتراب جديد لحل هذه المشكلة. فقد كانت مساهمتهما منهجية وجوهرية أيضاً. لذا فإن مناقشة المصطلح/ التعبير سرقيني في هذا القسم، من أهمية وجهة نظر مقالهما، سيعيد لذلك دراسة؛ أولاً الأصول السابقة للكلمة، ومن ثم وضع قسم خاص لفحص وتدقيق الأصل الجديد.

أولاً: الأصول القديمة للمصطلح/ التعبير

يمكن تقسيم الأصول اللغوية لهذا المصطلح/التعبير،باتباع غراف وأوكونور، إلى أصول لغوية، عرقية وجغرافية[3]: إذ سنترك البحث حالياً في إرجاع هذه الأصول إلى الآباء المسيحيين الأوائل[4]. فعلى الرغم من أنه قد تمت مناقشة الأصول القديمة لهذا المصطلح، وتم فحصها وتدقيقها مؤخراً من قبل غراف وأوكونور، لذلك لا يوجد ما يستدعي إعادة النقاش في عرض الأصول القديمة؛ إلا أنه يمكن تضمين القليل من

١- التي شهدت ظهور مقال مور في C.C. Murphy "من كان السَرقينيون؟" المنشور في دورية "النقد الأسيوية"، العدد٤١، الصفحات ١٨٨- ١٩٠، الذي صدر عام ١٩٤٥م.

٢- انظردايفد. إف.غراف و إم.أوكونور في مقالهم"أصل مصطلح السرقينيين ومخطوطات روافة" في "مجلة الدراسات البيزنطية"، العدد الرابع الذي صدر عام ١٩٧٧، الصفحات ٥٢ - ٦٦. احتوى المقال على سيرة شاملة لتعبير سَرقينيين، فازدادت ازدواجيته بحيث أثقلت الصفحات عما هو ضروري في هذا الكتاب. وسيتم اقتباس القليل من فقرات السيرة المهمة في هذه الملاحظات، في حين سيشار للقارئ عن الباقي بملاحظات هامشية في الكتاب. نشر غراف كتابه "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية" في السنة التالية، في "نشرة المدرسة الأمريكية للأبحاث المشرقية"،العدد ٢٢٩ الذي صدرعام ١٩٧٨م، الصفحات ١- ٢٦. إضافة إلى التكرار في فكرة أصل تعبير سرقينيون في الصفحات ١٤- ١٥يكرس غراف الصفحات ٩ - ١٠ للحديث عن مخطوطات روافة الذي سبق له بحثه في المقال، ويقوم في الوقت نفسه بمعالجة مواضيع آخرى، ترتبط جميعها بأصل المصطلح / التعبير؛ السَرقينيون.

٣- انظر"أصل مصطلح السَرَقينيون ومخطوطة روافة"، الصفحات ٦١- ٦٤.

٤- من أجل معالجة موجزة، انظر الفصل السابع، الملاحظة الرابعة من بداية القسم الثاني في هذا الفصل. عولج أصل المصطلح الذي قال به الآباء المسيحيون الأوائل بتوسع أكبر في كتاب شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع". كما ستتم معالجة صورة العرب كما يراها الكتاب المقدس بنفس الطريقة في كتاب عرفان شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الخامس".

الملاحظات الجديدة من قبل مؤلف هذا الكتاب لتكملة الأصول القديمة[1] أو لإحياء تلك التي اعتبرت ملغاة بالخطأ ومبتعدة بالإبهام.

١- الأصل الأول للكلمة هو:شرق/ شرقي/ شرقيين،التي تعني نفس المعاني*.

يبدو الاشتقاق من شرق/ شرقيين غير مقنع لفظياً عندما نتذكر أن:

(أ) الشرق هو تعبير مرتبط أو مباشر بالشرق: فهو مرتبط بالتالي بالأنباط وليس بفلسطين، الذين سيتم مناقشة وضعهم بشكل أوسع،لأنهم أرجعوا هذا الخلاف في التعبير إلى العالم اليوناني- الروماني.

(ب) تظهر الخرائط العرقية التي قام بوضعها بطليموسPtolemy استقرار السرقينوا في الجنوب من دولة الأنباط[2] أكثر مما كان إلى الشرق منها، وقد حدث هذا في القرن الثاني، إذ ربما سكن السرقينوا إلى الشرق من دولة الأنباط ، وذلك عند إطلاق التعبير عليهم لأول مرة من قبل الأنباط.

(ج) امتدت إمبراطورية الأنباط عميقاً في الجنوب من الحجاز، وكذلك السرقينوا الذين ربما قطنوا إلى الشرق من جنوب دولة الأنباط[3] كما تصور بطليموس أماكن وجودهم.

١- عن ذلك، انظر موريتز "سَراكه Saraka"، وموردتمان "سَرَقينيون".

* أوردها الكاتب بنفس الكلمات الإنكليزية التي تعني كل منها بمعناها (east , easterner, easterners)- المترجم.

٢- انظر الخريطة التي رسمها بلو O. Blau لمقالته المنشورة في مجلة المجمع الألماني..

Die Wanderung der sabäischen Völkerstämme im 2. Jahrhundert n. Chr. Nach arabischen Sagen und Ptolemäus, YDMG,22 , 1968.

العدد ٢٢ الذي صدر عام ١٩٦٨،الصفحات ٦٥٤ و٦٥٥؛ وخريطة كارل موللر التي رسمها لطبعته "خرائط جغرافية كلوديوس بطليموس" الذي صدر في باريس عام ١٩٠١م، الصفحة ٣٥. قدمت فكرة الأناتوليكون البيزنطية في القرن السابع تشابهاً للفكرة البيزنطية. فقد اشتق اسمها من المشرق عندما كانت جيوشها تتمركز في المنطقة المشرقية؛ وقد انتقلت بعد الفتح الفارسي، حسب أحد الآراء، إلى غرب آسيا الصغرى، إلا أنها احتفظت باسمها؛ الأناتوليكون (نسبة إلى منطقة الأناضول غرب آسيا الوسطى - المترجم).

٣- يصف الناس عادة من يسكنون إلى الشرق منهم بالشرقينن. فالسكان الذين يسكنون إلى الغرب من الولايات المتحدة يفعلون ذلك بالنسبة لمن يسكنون في شرق الولايات، كما يفعلون ذلك في

٢- الأصل الثاني للمصطلح/ التعبيرهو: 'سارق/سارقين'،وتعني'لص/لصوص - الغزاة المغيرون- السلابون النهابون'.

وبدعم الاشتقاق من الجذر سرق، 'تسرق، تنهب، تسلب'، يمكن القول أن:

(أ)قد يكون هذا تسمية طبيعية للبدوأطلقها عليهم المقيمون في مملكة الأنباط، وتعني هذه التسمية التي أطلقها الرومان نفس التوازي في التطبيق للتسمية'النهابون Latrones' على جميع الشعوب البربرية خارج حدود الإمبراطورية[١].

(ب) وكتسمية شخصية أيضاً قاموا بإطلاقها على أنفسهم،لا يبدو عليها أنها كانت غير محتملة؛ يشير موريتز إلى السوَارقي Sauwarke، القبيلة الموجودة في سيناء وسكنت بين غزه وبور سعيد، في حين أن الأسماء المشتقة من الجذر، مثل مسروق وسُراقه،ليست شائعة الاستعمال في اللغة العربية[٢].وقد يكون الفرق الدقيق في التعبير مختلفاً في تلك الفترة القديمة، ونتيجة لذلك، قد لا تكون لهجة الازدراء القوية للتعبير قد انتقلت معه إلى الأزمنة اللاحقة. وقد تعني 'السلابون' بكل بساطة صفة للمحارب الجسور الذي يسلب وينهب. من هنا أتت إمكانية مثل هذه التسمية الشخصية لأنفسهم كما وردت أعلاه[٣].

الحجاز من العربية السعودية هذه الأيام حين يشيرون إلى أهالي نجد بتسميتهم الشروق (حسبما أخبرني به صديق سعودي مطلع)؛ نظر أيضاً موسيل A. Musil في"صحراء الجزيرة العربية " الذي صدر في نيويورك عام ١٩٢٧م، الصفحة ٤٩٤، عن التعبير شرق كتطبيق على الصحراء الداخلية من وسط الجزيرة العربية. والأبعد ارتباطاً في هذا السياق هو تصديق التعبير شرقي كاسم صريح في مخطوطات سيناء للقرنين الثاني والثالث، انظر موريتز "سَراكه "، في المجموعة ٢٣٨٩، وكذلك انظر كانتينو J. Cantinau في"الأنباط"، صدر في باريس ١٩٣٢م، المجلد الثاني، الصفحة ١٥٤، التي تظهر كشرقيو Srqyw .

١- حتى أن اللغة القرآنية تشير للعرب بتعابير استنكارية؛ كالأعراب.

٢- انظر موريتز، "سَراكه"، المجموعة ٢٣٨٨ لكلٍ من'سوارقي/ سواركي Sauwarke' بتشديد حرف a الثاني، وللمكان الإنجيلي المسمى"ماسريقا/ ماسريكا Masreka" في أدومية.

٣- تبدو القراءة المختلفة لتعبير السَرَقينوس جديرة بالاهتمام؛ إذ هجأت بحرفي ر كالتالي: Sarracenus. فإذا لم تكن منقولة خطأً تكون قد أمسكت بالمطلوب من أن الاشتقاق هو اشتقاق من اللغة العربية الآتي على الغالب من الجذر اللغوي العربي سرق، على اعتبار أن هذه القراءة المختلفة تعكس الصيغة اللغوية المكثفة في اللغة العربية. ومن الممكن أنها تعني بتشديد الكلمة العربية

٣- الأصل الثالث هو سراق S^eraq[1]- بكسر حرف s ومد حرف a - ويعني 'الفراغ' أو 'القاحلة/ الجرداء'، وبذلك يكون السرقينيون هم أولئك 'الذين يسكنون الأرض القاحلة أو الجرداء'.

إن الاعتراض الأساسي على هذا الأصل هو أنه يبحث عن الحل ليس من خلال اللغة العربية بل في اللغة الآرامية الشقيقة، في حين أن الاحتمالات تكون لصالح الاشتقاق اللغوي من العربية لأن التعبير سرقيني قد يكون من الممكن؛ إما أنه يعني رمزاً لصفة شخصية أو رمزاً اسمياً أطلقته مجموعة عربية أخرى كالأنباط. إضافة إلى أن كلمة 'صحراء'هي 'مادبرا madbra بالآرامية'- بمد a الثانية، وبذلك يكون من الطبيعي أن نتوقع تسمية مرمزة لشعب الصحراء تكون مرتبطة بهذا المصطلح/ التعبير.

٤- الأصل الرابع للمصطلح/التعبير سَرَقيني مشتق من اسم قبيلة عربية كانت مرموقة الحضور في القرن الثالث[2]ترادف اسمها مع الاستخدام اليوناني- الروماني له مع السكان العرب في الجزيرة العربية وسيناء.

لم يحز هذا الاشتقاق على الرضا المقبول الذي يستحقه. إلا أنه استحق مصداقية بطليموس للمرحلة الأولى على الأقل - التي تخص اسماً محدداً لقبيلة عربية باسم سرَقيني- في حين استحق للمرحلة الثانية- تطور المصطلح من المحدد إلى العام- الذي يتساوى باسم قبيلة طيTayy، والذي كان اسماً لقبيلة عربية قبل أن

شرَاق Sharraq بتكرار حرف r ومد حرف a الثاني،والتي من المحتمل أن تكون إعادة إنتاج للكلمة العربية سراق sarraq بتكرار حرف r ومد حرف a الثاني. ومهما يكن في ذلك، ومنذ أن كان لفظ الاسم ؛ سارة أحياناً يشدد بحرف r تكون قراءة التعبير سرَقيني المختلفة عائدة لخيار ضبط التهجئة لاسم ساره Sarah، انظر ريتشارد ساوثرن في "الرؤية الغربية لإسلام القرون الوسطى" الذي صدر عام ١٩٢٦م في كمبريدج وماساشوسيتس، الصفحة ١٨.

١- اقترحت كسراق/ سراك Srak - بمد حرف a- من قبل موري في الصفحة ١٩٠ في "من كان السَرقينيون؟". انظر تعليقات غراف وآكونور على آراء موري في" أصل مصطلح سرقيني ومخطوطات روافة"، الصفحة ٦٣.

٢- اقترح الإسم سراكه Saraka مبدئياً من موريتز، المجموعة ٢٣٨٨ :فأضاف موردتمان التفاصيل على شهرتها في القرن الثالث، انظر كتابه "السَرقينيون"، الصفحة ١٥٦.

يصبح اسماً عاماً لطيايه Tayaye(بمد a الثانية وe)،"العرب" في مصطلحات الكتاب السريان. إذ تعد إشارة موريتز إلى سوَارقيي / سواركيي Sauwarke سيناء[1] قيمة، ليس لبعد احتمال كونهم منحدرين من سرقينيي العصورالكلاسيكية[2]، بل لأنها تمثل دليلاً على انتقال التعبير المصطلح من مرحلة الاسم الاستثنائي إلى مرحلة اللقب، وهذا تطور يمكن أن يكون قد حدث في العصور الكلاسيكية. إذ إن عدم ظهور استعمال المصطلح في أعمال الأنساب التي قدمها الكتاب العرب في العصور الوسطى لا يعني استمرار المناقشة ضد هذا التعبير: حيث أن معرفة النسابة العرب لا تعود إلى عهود قديمة جداً، لأن الأنباط أنفسهم غير معروفين للنسابة العرب[3]. فقد جمع النسابة العرب كل هذه القبائل القديمة تحت مظلة عنوان "العرب البائدة "، الذين استمرت أسماء بعضهم بينما باد بعضها الأخر.

٥- الأصل الخامس للتعبير سرَقيني هو اسم مكان؛ سراكين Sarakene (بمد حرف e) أو سَراكا/ سراكه Saraka[4]، كما اقترحهما بطليموس وستيفانوس على التوالي.

إلى حد ما، لا يمكن صرف النظر عن خبرة هذين الكاتبين. وإن مثل ذلك الاسم أو أي اسم مرتبط به يوجد في مكان ما في الشمال الغربي من الجزيرة العربية يشكل

١- انظر الملاحظة السابقة عن موريتس.

٢ -رأى موردتمان إمكانية أن هذه كانت مجموعة معينة من السَرقينيين ذكرهم أوسيبيوس في منطقة سيناء بالذات؛ انظر كتابه "السَرقينيون"، الصفحة ١٥٥ .

٣- لا تشير كلمة نبيط Nabit بمد الـ i ، في الأعمال العربية، إلى الأنباط؛ انظر نولدكه في :
Die Namen der aramäischen Nation und Sprache, ZDMG, 25
العدد الخامس والعشرون ١٨٧١م، الصفحات ١١٢- ١٣١ . وعرضياً، كان حكم نولدكه المتبصر هو أن السَرقينيين كانوا قبيلة محددة قبل أن يصبح اسمهم عمومياً وقبل أن يختفوا من انتباه علماء الأنساب كسرقينيين، انظر" فقه اللغة "، العدد الثاني والخمسين، الذي صدر عام ١٨٩٤، الصفحة ٧٣٦.

٤- من أجل ذلك، انظر موريتز، "سَراكه Saraka "، المجموعة ٢٣٨٨ .

إمكانية مؤكدة بوجوده[1]. فقد يكون اسم المكان شرق أو شرقية أو شَريقا(بمد حرف a الأولى) Sharq ,Sharqiyya, or Shariqa.

ثانياً: الأصول الجديدة للمصطلح/ التعبير

ناقش كل من غراف وأوكونور"بأن المصطلح/ التعبير سَرقيني جاء مشتقاً من اللغة العربية ما قبل الإسلامية الشقيقة للغة العربية الكلاسيكية 'شركت' srkt التي انحصرت بمفهومها السياسي في 'اتحاد'. وقد استخدم هذا التعبير في اللغة الدبلوماسية النبطية ثم مرر استخدامه في اللغتين اليونانية واللاتينية، مع ذلك، فربما تم تطبيقه بداية بالإشارة فقط إلى الثموديين الاتحاديين في الفترة الأنطونينية* Antonine الذي عُمم فيها استخدام التعبير،بعد انهيار السلام بينهما، من قبل ثمود لتشمل نظرائهم وجيرانهم"[2]. وقد أسهبت هذه الجملة بالملاحظات ذات الصلة على الصفحتين التاليتين.

١- عن اسم المكان الذي ورد في الإنجيل: ماسريكا أو ماسريقا الكائن في أدومية، انظر المصدر السابق نفسه. إن اسم المكان"سارحا/ سَرحه "Sarha" في جنوب الجزيرة العربية الذي اقترحه الكرملي A..M. al-Kirmili غير ممكن؛ انظر "المشرق"، العدد السابع الذي صدر عام ١٩٠٤م، الصفحة٣٤١. تعتبر سلسلة جبال السراة Sarat في الشمال الغربي من الجزيرة العربية غير البعيد من المكان الذي حدده بطليموس لتواجد السَرَقينوا الأقرب من سَرحه جنوب الجزيرة العربية بعيد الاحتمال. فحسب هذا الاشتقاق يكون السرقينيوا هم سكان سلسلة جبال السراة؛ لكن يجب الأخذ بالحسبان ظهور حرف كابا kappa اليوناني في الـ Sarakenoi / السركينوا واختفاء حرف t من اسم المكان: السراة Sarat (بمد حرف a الثاني).

* نسبة إلى فترة حكم الإمبراطورين الرومانيين : أنطونيوس بايوس وماركوس أوريليوس (١٣٧- ١٨٠م)، والإشارة إلى فترة التحالف الثمودي خلال ذلك - المترجم.

٢- انظر" أصل المصطلح سَرَقيني ومخطوطة روافة"، الصفحة ٦٥، والصفحات: ٦٤- ٦٦ من أجل اقتراح الأصل الجديد الكامل للمصطلح/ التعبير. انظر أيضاً الصفحات ٦٤- ٦٦. تلفظ 'Srkt' شركت' المكتوبة بتشكيل الحروف 'شَرِكات' Sharikat في هذا الفصل كما هي في اللغة العربية الكلاسيكية.

يعتبرهـذا الـرأي غـير مقنـع لفظيـاً وجغرافيـاً وزمنيـاً. ومـع ذلـك، فـإن الأصـل الجديد[1] والمثيرهذا غير مقنع، ويمكن بيان التحفظات ذات الصلة حوله بالملاحظات التالية[2]:

١- يبقـى ثمـود، ولـيس 'شَـريكاتsharikat' الاسـم المناسـب لعـرب مخطوطـة روافه. ويبدو اختيار الرومان غريباً ليكنوا هذا الشعب بتعبير يعكس تنظيم حياته الداخلية الاجتماعية والسياسية، وهي مسألة أكثر ما تهم الثموديين أو أكثر أهمية للثموديين منها للرومان[3]. فلو أن شَريكات في المخطوطة عكست وضع اتحاد الثموديين مع الرومان، من أنهم كانوا حلفائهم، حينئذٍ لن يبدو ذلك غريباً بالإجمال من جانب الرومان للإشارة لحلفائهم بالاتحاديين، شركائهم Shariks[4]، بالمصطلح الخاص لهؤلاء الحلفاء الذي أطلقوه على أنفسهم'Shariks' شركاء، إذ يعتبر هذا شاذاً أيضاً في مجمل تاريخ علاقات روما مع حلفائها الاتحاديين الذين أشير لهم بانتظام بأسمائهم المناسبة التي أطلقوها على أنفسهم. فـ 'شرِكاتSharikat' ليس الاسم الصحيح، ولكنه صفة لغوية عامة، والأهم، أنه صفة دالة على تنظيمهم القبلي الداخلي.

٢- يعد بطليموس المصدر الجدي الأقدم[5] والمطلع نسبياً على السَرقينيين. فهو يؤكد بكل وضوح من أن هذا الشعب العربي متميز إلى حد كبيرعن الثموديين وعن طيايه أيضاً، ولم يكن جزءاً من تحالف أو اتحاد الثموديين الذي ضم قبائل أخرى.

١- عن أصل التعبير الذي اقترحه A.Sprenger عام ١٨٧٥م، انظر المصدر السابق نفسه، الصفحة ٥٣، الملاحظة رقم ٤. رفض موردتمان في كتابه "السَرقينيون"، الصفحة ١٥٦ اقتراح سبرنغر 'شَريك' بمعنى 'متحالف مع روما'.

٢- لتدقيق وفحص التعبير 'شريكات' بمعنى 'اتحاد' الذي تم تأسيس أصل التعبير عليه، انظر ملحق هذا الفصل.

٣- إن تعليل انتقال المصطلح/التعبير'شرِكت' إلى العالم الروماني ليس مقنعاً بالكامل:انظر الصفحة ٦٥من "أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه". وبالإضافة إلى ذلك، ستتم مناقشة هذا في ملحق هذا الفصل من هذا الكتاب. لا يبدو من المؤكد أن مصطلح'شرِكت' في مخطوطة روافه يعني "تحالف".

٤- انظر الملاحظة الثالثة قبل هذه الملاحظة، عن سبرنغر 'شَريك sharik'.

٥- عن الإشارة الدلالية إلى السَرقينين في المصادر المبكرة، ديوسكوريدس الأنازاربوسي، والشكوك التي صاحبت هذه المصادر، انظر موردتمان في " السَرَقينيون"، الصفحة ١٥٥، وفي "أصل المصطلح سَرَقيني ومخطوطة روافه"، الصفحة ٥٧.

إضافة لذلك، يتحدث بطليموس وفيما بعد ستيفانوس البيزنطي عن المواقع والأمكنة؛ سَرَاكين sarakene بمد حرف e، وسَرَاكه saraka ، بالتتابع، وليس فقط عن قبائل أو شعب باسم السرقينيين[١].

٣- تظهر هذه المجموعة القبلية بالذات فيما بعد في لائحة المقامات ممثلة بوحدتين عسكريتين في الجيش الروماني[٢]. فقد ظهر الثموديون في فلسطين مثلما ظهرت المجموعة القبلية السابقة ولكن دون تحديد تسميتهم كسَرقينيين، إذ من الصعب فهم لماذا، خصوصاً إذا كان الثموديون فعلاً هم الشعب أو المجموعة القبلية التي كانت تسميتهم الخاصة بهم'كشَريكات' قدمت رواجاً للمصطلح/ التعبير سَرقيني. فقد استخدم تعبير سَرَقيني في الثغور المصرية لتسمية الوحدة العسكرية الثانية[٣]

١- إن الإشارات الدالة على'السَرَقينوا أو السرقينين' التي تعتمد على غراف وأوكونور في "جغرافية بطليموس" قد تكون مبلبلة أو مضطربة لأن بطليموس وضع السَرَقينوا في مكانين مختلفين؛ في شمال الحجاز، وفي سيناء؛ انظر "أصل المصطلح سَرَقيني ومخطوطة روافه"، في الصفحة ٥٧ . حتى ولو كانت إشاراته الدلالية مضطربة، سيبقى هو الأكثر اعتماداً في المصادر المبكرة عن أماكن وجود السرقينوا في القرن الثاني، على اعتبار أنها تختص بالتفاصيل سواء تمثلت بواحدة أو اثنتين من المناطق. وعلى كل حال، فإن التشويش الملقى على بطليموس يدعو لتقديم التعقيبين التاليين:(أ)ربما وجدت مجموعتين عربيتين قبليتين مختلفتين حملتا نفس التسمية: السرقينوا، لكنهم سكنوا في جزأين مختلفين من المنطقة؛ واحدة في الحجاز، والأخرى في سيناء. فالكثيرمن القبائل العربية حملت نفس التسمية بالرغم من أنهم لم يكونوا مرتبطين ببعضهم وسكنوا في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية. (ب) ربما تتحدث إشارات بطليموس عن قبيلتين مختلفتين ولكنهما تحملان نفس التسمية، واحدة منها مشتقة من'السَرقينين'، والأخرى من 'سارِقين Sariqin'(بمد حرف a وحرف i الثاني)؛ إذ لم يستطع الإغريق أن يستخرجوا الحرف العربي ش ، ولذلك عبروا لفظياً عن حرف ش في'شَرقيين' وعن س في 'سارقين' من خلال استخدام الحرف الإغريقي الثامن عشر الصوتي المفرد سيغما، ومن ذلك استخرجوا لفظتين جناسيتين.

٢- عن الفرسان الخيالة السَرَقينيين الثموديين في الثغور المصرية، وعن الفرسان الخيالة الثموديين الإليريشيين في فلسطين؛ انظر الملاحظتين: الأولى في الفقرة رقم (١) تحت عنوان (التخوم المصرية)، والثانية تحت عنوان (فلسطين) في الفصل الخامس.

٣- يمثل التعبير 'سَرَقيني' الذي يشير إلى هذه الوحدة صعوبات إضافية: فقد كان التعبير يعادل تعبير(سكان- الخبام) سكيناتي في القرن الرابع، ولكن من غير المحتمل أن هذه الوحدة كانت مؤلفة من عرب السكيناتي لأن الثموديين كانوا في القرن الثاني شعباً مقيماً؛ حتى لو أن بعضهم انخرط في

بثمود . وليس من السهل شرح هذا الوصف، كذلك لا يبدو سهلاً إمكانية تقديم انحدار السَرَقينين من الثموديين الاتحاديين/ الشركاء (شَرِكات).

٤-وبالرغم من ذلك،يمكن تأكيد القبول الظاهري للفظ الصوتي لهذا الاشتقاق. إذ يوجد بعض التحفظات التي يمكن التعبير عنها ليس فقط على اللفظ الصوتي ولكن أيضاً على أسس من القواعد اللغوية:

(أ) من الناحية الصوتية للأحرف اللغوية الساكنة، يجب الأخذ بعين الاعتبار اختفاء الحرف الأخير ت/ t من الكلمة 'شَرِكات' وهي مشكلة لم تنشأ من اشتقاق سَرَقيني كما في التعابير: شرق أو سَرّق(يعني سَرِقة).

(ب) لا يوحي تسلسل الأحرف الصوتية في تعبير سَرَقيني Saraceni تماماً شركات أو شَريكات لكنه يبدو أكثر تجانساً مع الاشتقاقين الآخرين ش- ر- ق أو س- ر- ق،خاصة مع س- ر- ق التي يمكن اشتقاق أسماء الأفعال سَرَاق وسَراقات منها .

(ج) حتى اللاحقة التي تضاف إلى آخر اللفظة لتغيير معناها (إذا كانت هذه اللاحقة سامية وليس فقط enus اللاتينية أو اليونانية) تكون أسهل للتوافق كما في لاحقة الجمع في اللغة العربية في حالة الموصوف أكثر منها في اقتراح المؤلف، التي تعكس وصفاً استحسانياً أو ازدرائياً، خاصة كغاية هذا الوصف في مثل تعبير كهذا ليست واضحة[1] .

٥- يعتبر النص الثمين الذي أورده المؤلف السرياني بارديسان[2](٢٠٠م) من أبكر وأهم المواضيع الكلاسيكية الجديرة بالاهتمام بإشارته إلى تعبير السرقينيين. فالصيغة أو الشكل السرياني لتعبير سَرقيني هو سارقايه Sarqaye (بمد حرف a الثاني و e) المهجأ بحرف 'ق' وليس بـ 'ك'. وهذا الضبط في التهجئة يوافق مصطلح/تعبير سَرَقيني ليس إلى كلمة فيها

حياة البداوة تبقى هذه الوحدة التي خدمت في الجيش الروماني غير بدوية، والأهم، أن أفرادها على الغالب كانوا حائزين على المواطنة الرومانية.

١- انظر" أصل التعبير سَرَقيني ومخطوطة روافه "، الصفحة ٦٥. إذ يعتبر الوصف هنا وظيفياً قد يعبر عن خواطر استحسان أو ازدراء، إلا أن وظيفته في مصطلح يعتقد أنه كان يعني'تحالف أو شركة' غير واضح .

٢- انظر"أعراف وقوانين.." بارديسان، الصفحة ٥٠، السطر الحادي عشر.

'ك' مثل الكلمة الثمودية شَريكات بل إلى كلمة فيها 'ق' كواحدة من جذورها اللغوية مثل شَرقيين أو سارقين sariqin[1](بمد a و i الثانية).

لذلك، وبَالرغم من استحداث المقترح الجديد، لا يمكن القول أننا استطعنا حل أصل التعبير 'سَرقيني'. لهذا بقيت أسئلة كثيرة دون إجابة، وربما الكثير، على المقترح الجديد من أجل الاقتناع[2]. والأكثر أهمية من الجذر الأصلي الملموس الذي اقترحه المؤلفان هو إصرارهما على السياق التاريخي في معنى المصطلح الذي يمكن من خلاله فهم نشوء وتطور المصطلح سَرَقيني[3]. ويشارك مؤلف هذا الكتاب المؤلفين إصرارهما هذا. فمفتاح الحل لهذه المشكلة ليس بين أيدي خبراء أصول الكلمات التقليديين بل بين أيدي المؤرخين، وما يتبقى هو اكتشاف السياق التاريخي الصحيح من داخله،الذي نشأ وتطور المصطلح/ التعبير من خلاله. وسيتم اقتراح بديل عن الذي قدمه المؤلفان في الأقسام التالية من الكتاب.

القسم الثاني

قد يكون الجدل الدائر في هذا السياق واضحاً بشكل مقبول لكل واحدة من الأصول الكثيرة المقترحة للتعبير سرَقيني التي تشير في الوقت الحاضر إلى أن المصطلح ليس قابلاً لتحليله إلى أصول محددة لأنه يحتاج إلى معلومات إضافية، خاصة دراسة المخطوطات أو الرقم القديمة من المنطقة الشمالية الغربية للجزيرة العربية، وذلك قبل التوصل إلى قرار حاسم في هذه المسألة. وفي كل الأحوال، فمن الممكن أن يكون قد تم اقتراح سلسلة واسعة من الجذور، والصحيح منها يوجد ضمن هذه السلسلة بالتأكيد[4].

١- الكثير يعتمد على: هل كان بارديسان يترجم المصطلح من اليونانية أو من العربية. إذ لو أن تعبير سرقيني وصله من الجانب اليوناني تكون المناقشة باستخدامه لحرف القاف وليس لحرف الكاف قد فقدت بعض قوتها لأن اللغة السامية الشقيقة، العربية، نقلت في بعض الأحيان حرف الكاف اليوناني كما في ساركينوا وأحياناً نقلته إلى العربية بحرف القاف كسارقينوا كما هو معروف عند ابن بطوطة وابن الأثير، عن ذلك، انظر الكرملي في"المشرق"، العدد السابع الذي صدر عام ١٩٠٤م، الصفحة ٣٤١.

٢- انظر أيضاً الملحق في نهاية هذا الفصل من هذا الكتاب.

٣- انظر "أصل المصطلح/التعبير سرَقيني ومخطوطة روافه"، الصفحات ٥٢، ٦٥- ٦٦.

٤ - أنظر القسم الأول- أولاً من هذا الفصل في هذا الكتاب.

إلا أن مشكلة المصطلح سَرقيني تحتوي على أبعاد أخرى؛ دلالية المعنى وتاريخية، وهذه الأبعاد غير الدالة على أصل الكلمة أو الكلمات هي الأكثر أهمية[1] لاستجلاء تاريخ العلاقات العربية- الرومانية، وتاريخ العلاقات العربية- البيزنطية، خاصة وجود بعض التشويش حول أهمية المصطلح/ التعبير الذي شاع استخدامه بدون تمييز للإشارة إلى مجموعات عربية مختلفة.

أولاً

١- يعتبر بطليموس Ptolemy الدليل[2] الأكثر أماناً كنقطة بداية للتحقيق في قضية التعبير/ المصطلح 'سَرَقيني'. فالتحديد الواضح الذي يعلمنا عنه كما هو في روايته القصيرة، يوجب توجيه الاحترام لمصداقيتها، خاصة، كونه تأكد من ذلك من مصادر أخرى مهمة[3]. فقد كان السَرقينيون، حسب سياق روايته، في النصف الأول من القرن الثاني قبيلة مميزة، ومميزة بشكل صريح عن الأنباط والثموديين؛ إذ سكنوا المنطقة الممتدة إلى الجنوب من طايني Tayeni(بمد حرفي i، e)، وهي قبيلة أخرى مهمة لمناقشة الطالع الحسن للمصطلح سَرقيني في المصادر غير العربية.

١- مع ذلك، فأبعاد أصول جذر المصطلح للمشكلة ليست ذات فائدة فلسفية صرفة ولكنها ذات صلة بالأبعاد التاريخية للمصطلح سَرَقيني. وبتحديد كاف، من الواضح أن الأصل الخطأ، الذي استمد من الآباء المسيحيين الأوائل، هو أكثر صلة بمناقشة الأبعاد التاريخية المتصلة بخطأ النسب الخاص بصورة العرب في العصور المسيحية الوسطى، انظر المناقشة في كتاب"بيزنطة والعرب في القرن الرابع" لعرفان شهيد.

٢- عن التعاطي مع بعض الصعوبات المحددة عند بطليموس، انظر الملاحظة الأخيرة من الفقرة رقم (٢) من (ثانياً) تحت عنوان (الأصول الجديدة للمصطلح) في هذا الفصل.

٣- بالرغم من أن حياة ستيفانوس البيزنطي المتاخرة، التي ربما كانت في القرن السادس، والقراءات المختلفة التي قدمها لأسماء الأمكنة المرتبطة بالسَرقينيين(سَراكة بدلاً من سَراكين التي أوردها بطليموس) فقد بقي مصدراً مهماً يعتمد بطليموس، وكلاهما أخذا معلوماتهما عن السَرقينيين من نفس المنهج القديم ومن نفس المصادر المعتمدة(انظر موردتمان في"السَرقينيون" ،الصفحة ١٥٥). يعتبر بارديسان (٢٠٠م) مسانداً لبطليموس أيضاً بالرغم من حقيقة أن الوقت الذي أصبح فيه التعبير سَرقيني عمومياً إن لم يكن لكل العرب سكان- الخيام فعلى الأقل لأولئك الذين سكنوا النصف الغربي من منطقة الهلال الخصيب؛ انظر الصفحة التالية من هذا الكتاب.

كان على العالم اليوناني- الروماني أن يتعرف على قبيلة سرَقيني[1] هذه قبل أن يتعرف عليها بطليموس،إلا أن هذه المعرفة أوالإحاطة التي أظهرت بعض الأهمية لم تأت من جانبهم إلا في القرن الثاني. فجاء الإثبات السلبي من جانب يوسوفوس/ جوزيفوس نفيساً، إذ أن هذه المجموعة القبلية من العرب لم تكن معروفة له؛ إذ لو أنها كانت مجموعة مهمة في القرن الأول الميلادي لتحدث عنها المؤرخ اليهودي جوزيفوس، الذي أشار إلى العرب مراراً، في عمله.

لذلك يمكن تولي الأمر بدرجة مقبولة من اليقين بأن القبيلة السَرَقينية في الشمال الغربي من الجزيرة العربية بدأت بالحصول على بعض الأهمية في القرن الثاني من العصر المسيحي.

٢- الدليل المأمون الثاني بعد بطليموس هو أميانوس مارقلينوس في القرن الرابع. إذ يخبرنا، عند الكتابة عن العرب سكان- الخيام، بأنهم يدعون بالسَرَقينيين الآن، فيتحدث في مقطع آخر كيف أطلق أسلاف سكان- الخيام لقب سَرَقينيين على أنفسهم[2].

فالواضح عند أميانوس أن تعبير سَرقينيون استخدم في القرن الرابع للإشارة إلى العرب سكان- الخيام إلا أنه ترك السؤال مفتوحاً؛ متى بدأت عملية التطور في الرحلة الدلالية للتعبير سَرقيني من التخصيص إلى التعميم. فربما يمكن أن تنطوي إشارته للعرب كسَرقينيين خلال حكم ماركوس أوريليوس[3] في النصف الثاني من القرن الثاني على مفارقة تاريخية. لكن الفحص الدقيق قد يوحي ببقاء ذلك حتى نهاية النصف الثاني من القرن الثاني ليصبح بعدها التعبير عاماً. وقد جاء التأكيد على ذلك في

١- عن إمكانية أن يكون يورانوس واحداً من مرجعي ستيفانوس البيزنطي عن السَرقينيين في فترة ديادوخي Diadochi الأخير، انظر موردتمان في" السَرقينيون" ، الصفحة ١٥٥.

٢- عن العرضين أو الشاهدين المقتبسين من أميانوس، انظر القسم الثاني والعشرين ١٥، ٢؛ والقسم الثالث والعشرين ٦، ١٣من Res Gestae / المصنف التاريخي. عن صورة العرب عند أميانوس، انظر "أميانوس والعرب" في كتاب د .عرفان شهيد "بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، الفصل السابع، القسم الأول.

٣- المصدر السابق نفسه، القسم الرابع عشر ٤، ٢. ظهر استخدام المصطلح سَرقيني من قبل روفوس فيستوس في روايته عن حملة لوكولوس على أرمينيا كمفارقة تاريخية، انظر"تقرير فيستوس الرسمي"، القسم الرابع عشر، الذي أصدره J.W. Eadie في لندن عام ١٩٦٧م.

سياق نص نفيس للمؤلف السرياني بارديسان باستخدام تعبيرين عند الحديث عن العرب؛ Sarqaye سَرقيايه (بمد حرف a الثاني وحرف e) وطيايه Tayaye[1] (بمد a الثاني و e). ويبدو الإسهاب هنا واضحاً من خلال السياق والقضايا الثقافية التي كان يناقش بها هذين التعبيرين من أنه ربما استخدمهما نفسه بالمعنى العمومي للأعراب فقط. ولذا، فقد أطلق على هؤلاء القاطنين في النصف الغربي من منطقة الهلال الخصيب في الصحراء السورية وصحراء الجزيرة العربية والمجاورين للرومان سَرقيايه بينما كان يطلق على من قطنوا النصف الشرقي من منطقة الهلال الخصيب، المجاورين للفرس، طيايه[2].

ثانياً

يثور سؤال مثل؛ لماذا وجد الرومان أن من الضروري أو المناسب أن يستعملوا مصطلح سَرقيني كمصطلح أو تعبير عام للإشارة إلى عرب سكيناتي Scenitae/ سكان- الخيام؟ إذ يوجد عدد من الأسئلة الأخرى المتعلقة أو المرتبطة بهذا السؤال التاريخي.

١- تشيرالمعلومات التاريخية والجغرافية المستخلصة من أعمال بطليموس والمدعمة بمعلومات أخرى من أعمال بارديسان وأميانوس للقرن الثاني، وللأنباط بالمعنى الشامل كفترة زمنية وكمنطقة تتعاقبان من داخلهما لكيفية تطور التعبير سَرقيني في تحديد استعماله من الخاص إلى العام[3]. ففي القرن الثاني وفي هذا القطاع المحدد من المشرق حدثت أهم المواجهات العربية- الرومانية قبل سقوط تدمر، ألا وهي ضم مملكة الأنباط وتحويلها إلى ولاية العربية عام ١٠٦م. وهذه إذاً حقيقة كبرى ومهمة في تاريخ العلاقات العربية- الرومانية التي يمكن رؤيتها بطريقة مثمرة من داخلها للإجابة على الأسئلة التاريخية التي تم عرضها سابقاً في هذا القسم.

١- انظر" أعراف وقوانين .." بارديسان، الصفحة ٥٠، السطر الحادي عشر.

٢- انظر" فقه اللغة " لنولدكه، العدد ٥٢ الذي صدر قي عام ١٨٩٤م، الصفحة ٧٣٦.

٣- يقدم عملا بطليموس وبارديسان "الجغرافيا، القوانين والأعراف.." الغاية عن هذه الفترة الحرجة في تطور تعبير سَرقيني من المعنى الخاص إلى العام، انظر الملاحظتين: الأولى في (ب) من الفقرة (١) والثانية في (أ) من الفقرة (٢) تحت عنوان (أولاً: الأصول القديمة للمصطلح) من هذا الفصل.

٢- استقدم سقوط مملكة الأنباط ١٠٦م، الدرع العربي الواقي لروما ضد شبه الجزيرة العربية، الرومان إلى اتصالهم مباشرة مع عرب شبه الجزيرة العربية. فكانت جميع الاتصالات، مع هذه المنطقة الواسعة جداً والمفتوحة الآن أمام الجند الرومان والمنفذين الحكوميين، قبل ذلك تدار من قبل العرب الأنباط الذين كانوا على دراية ومعرفة بطبيعة عالم بدوهم الرحل أو نظرائهم من شبه البدو الرحل. لكن، وبعد عام ١٠٦م كان على السلاح والدبلوماسية الرومانيين أن يتعاملا مع عالم شبه الجزيرة العربية الذي كان يعج بساكني- الخيام المنقسمين إلى قبائل متعددة. وقد كان من الضروري استخدام تعبير لوصف هؤلاء الجيران الجدد المنسجمين مع بداوتهم، وبالتالي الدعوة إلى تسمية تدل عليهم. فالتسمية العامة "العرب" كانت غير كافية بشكل واضح، وكانت في غاية الشمولية، تستوعب كل أشكال التنوع لدى هذه المجموعات العربية المختلفة في مستويات تطورها الثقافي- من بدو رحل وشبه رحل وحضريين- كما أنها لم تكن دقيقة بما فيه الكفاية. إلا أن السبب الأهم الذي دفع الرومان لتبني تعبيرسَرَقيني كان حتمية الوضع الجديد الذي نشأ عن ضم مملكة الأنباط عام ١٠٦م. فقد عرف العالم الإغريقي - الروماني السكان الأنباط كعرب حضريين متمدينين نالوا في عام ١٠٦م منزلة جديدة كسكان للأقاليم الرومانية، وقطعوا،منذ ذلك الحين، شوطاً آخر في رحلتهم الرومانية عندما أصبحوا مواطنين رومان في عام ٢١٢م. ولذلك، كان من الضروري إيجاد تعبير أو تسمية للعرب خارج حدود الإمبراطورية الرومانية يميزهم ولا يخلط بين بدو الجزيرة العربية الرحل والعرب مواطني الإمبراطورية الرومانية في عرابيا/ولاية العربية[1]. لهذا كان مصطلح سَرَقيني مناسباً للإشارة لعرب شبه الجزيرة العربية[2]، سواء كانوا من البدو الرحل أو من غير الحاصلين على المواطنة الرومانية، ولتمييزهم عن سكان ولاية العربية، وعن السكان الحضريين أيضاً، وعمن حازوا على المواطنة الرومانية بعد عام ١٠٦م. إضافة إلى أن تعبير سكيناتي (سكان-الخيام) لم يكن عربياً على وجه الخصوص حيث يمكن

١- حتى وقت متأخر من حكم جوستنيان في القرن السادس، كانت ولاية العربية بالنسبة للإمبراطور نفسه هي "بلاد العرب"، انظر الملاحظة قبل الأخيرة في الفقرة (١) من (ثانياً) من القسم الثالث في الفصل الأول.

٢- كانت بعض مجموعات البدو الرحل من العرب تسكن في المشرق في بعض الأحيان.

أن يطلق على غير العرب من سكان الخيام، ولأن مصطلح سَرقيني خدم الهدفين عاكساً الضوء على عروبة سكان- الخيام وبداوتهم المرتحلة كذلك[1].

٣-إن العودة إلى أبعاد أصل المصطلح اللغوي لهذا السؤال،الذي تحرر مؤقتاً من هذا الاستقصاء، ضروري الآن للإجابة على السؤال؛ لماذا اختار الرومان تسمية سَرقينيين المحددة للإشارة للعرب سكان-الخيام فأعطوه بذلك رواجاً كتعبير/ مصطلح عمومي، حيث يمكن إعطاء إجابتين لهذا السؤال غير مقصورتين على بعضهما.

(أ) يمكن الادعاء أن الرد الروماني على قبيلة السَرَقيين، القبيلة المحددة في شمال الجزيرة العربية حسبما أورده بطليموس، التي أصبحت ذات قوة ومنعة بحيث تفرض نفسها واسمها لجلب انتباه الرومان[2]. ولأن منطقة هذه القبيلة يمكن أن تكون أقرب ما تكون إلى التخوم الرومانية التي اتسعت بعد ضم مملكة الأنباط عام ١٠٦م، فلم يجد الرومان صعوبة في تسمية كل قبائل الجوار العربي، سواء كانوا بدواً رحلاً أو

١- ربما تأثرت تسمية الرومان الجديدة للعرب ومنطقتهم بمصطلحات وأفكار الجغرافيين التقليديين الذين قسموا الجزيرة العربية* إلى بيتريا،الصحراء،وفيلكس. اختفت بيتريا عام ١٠٦م، وظهرت كولاية العربية، بينما أصبح عرب الصحراء سرقينيين، ولكن ليس كتعبير غير مناسب لسكان- الخيام.

*(قسم الجعرافيون الأوائل شبه الجزيرة العربية إلى ثلاث مناطق رئيسية؛ فيلكس؛ وتعني الخصيبة، وهي المنطقة الجنوبية من السعودية واليمن الآن؛ والصحراء التي تقع وسط السعودية وجنوب الأردن الآن؛ وبيتريا/الحجرية التي تقع في شمال السعودية وفي سيناء وجنوب الأردن، إذ كانت الأخيرة تشكل جزءاً من دولة الأنباط. وقد أخذت هذه التسميات من التسميات اليونانية- الرومانية القديمة. حرك هؤلاء الجغرافيون المختلفون على مدى قرون، باستخلاص ما ورد في الرحلات القديمة والاستشراقية بدءاً من رائدهم بطليموس، منطقتي بيتريا والصحراء شمالاً ووسطاً وشرقاً، بحيث يمكن رؤية تغيير أماكنها على الخرائط القديمة المتوفرة وخاصة المبكرة لشبه الجزيرة العربية- المترجم).

٢- اقترحت من قبل موريتز،'سَراقه / سَراكه Sarak'، المجموعة رقم ٢٣٨٨، وطورها موردتمان في "السَرقينيين"، الصفحة ١٥٦ : كما أن رؤية نولدكه تؤيد ذلك أيضاً، لكن بدون إشارة إلى أن القبيلة أصبحت قوية السلطان وعدوانية ضد الرومان، انظر نولدكه في "فقه اللغة "،العدد الثاني والخمسين الذي صدر عام ١٨٩٤م، الصفحة ٧٣٦. انظر أيضاً المقطع عن "قبائل العرب البائدة" في الصفحات ١٩٠- ١٩٢ حتى نهاية 'الأصول القديمة للمصطلح'.

شبه رحل، بذلك المصطلح؛ السرقينيون[1]. وهذا ربما يكون مجرد مثال على تطبيق هذا المصطلح من الخاص إلى العام ويمكنه من اشتقاق الكثير من الدعم في القضايا والحالات المتوازية لأمثال هذه التعابير كالإيرانيين والإغريق والألمان، إلا أن التطور الأكثر أهمية كان في السريانية لاسم القبيلة الشقيقة الذي قال به بطليموس، وهو نفوذ طياية القوي والعددي لتسمية عرب سكان- الخيام في منطقة ما بين الرافدين.

(ب) وبشكل متناوب، يمكن لاسم سَرقينون ألا يخص قبيلة معينة،بل قد يكون صفة اصطلاحية؛ تعني إما 'شرقيين'، أو'نهابين/ سلابين'، شرقيين sharqiyyin أو سارقين sariqin (بمد حرفي a و i الثاني)، الذي ربما أطلقه الأنباط على الأقل حظوظاً من أشباههم الذين كانوا إلى الشرق منهم من عرب صحراء الجزيرة العربية، والذي توارثه الرومان بالنتيجة لوصف هذا العالم من الأعراب أو سكان- الخيام، وقد أصبح بعد عام ١٠٦م محل اهتمامهم[2]. إن أهمية عرب ولاية الأنباط في شؤون الولاية وإدارتها والدفاع[3] عنها، خصوصاً بعد ٢١٢م،لا يمكن التقليل من قيمتها. وعلى وجه العموم، من الممكن أن المصطلح/التعبير كان لذلك قد انتقل إلى الرومان عن طريق "لغة الأنباط الدبلوماسية"[4] في تلك الفترة.

٤- من المحتمل أن رواج التعبير سَرَقيني الذي مورس كتعبير عام للعرب سكان- الخيام قد مر في مراحل متعددة، حيث يعتبر ما أورده أميانوس، المصدر الرئيسي في

١- قد يكون قرب المكان بالإضافة إلى القوة هما العاملان المهمان في العملية. إذ لم تكن فكرة بطليموس عن مستوى التطور الاجتماعي التي وصل إليها السرقينيون واضحة بالكامل، لكن الافتراض هو أنه اعتبرهم قبيلة أعراب شبه رحل في شمال الجزيرة العربية من بين قبائل عربية متعددة قطنت خارج حدود الإمبراطورية.

٢- انظر مناقشة سارقين sariqin (النهابين، السلابين) كأصل لمصطلح كلمة السَرقينيين، الفقرة رقم ٢، تحت عنوان (أولاً: الأصول القديمة للمصطلح) في هذا الفصل.

٣- للمزيد عن وحدات الجند من أهل البلاد الأصليين الذين خدموا في الجيش الروماني في المناطق النبطية السابقة؛ انظر الكشف الذي يبين الوحدات العسكرية التي خدمت في مناطق إقليمي فلسطين والعربية في الفصل الخامس ضمن الوثيقة المهمة/ لائحة المقامات.

٤- انظر"أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه"، الصفحة ٦٥. إن الاختفاء التدريجي لاسماء القبائل العربية المحددة (العديد من القبائل العربية) التي ظهرت في كتابات الجغرافيين الإغريق والرومان والانتشار اللاحق لمثل هذه الأسماء العامة؛ كالعرب والسَرقينيين هي ظاهرة لافته للنظر. وإضافة إلى ما قيل في سياق هذا الفصل، يمكن إيراد الملاحظات التالية لشرح هذه الظاهرة. ربما فقد العديد من هذه القبائل هويتها بعد أن حكمت أو ضبطت أو حتى اندمجت في التركيبات السياسية الكبرى التي نشأت من قبل المجموعات العربية الثلاث التي دارت في الفلك الروماني؛ الأنباط ، التدمريون، والأديسيون سكان الرها.

هـذه النقطـة الأساسـية، مقتـضباً جـداً. إلا أن بعـض المعـالم في العلاقـات العربيـة - الرومانية خلال القرون الثلاثة الأولى من العصر المسيحي يمكن أن تساعد في رسم خريطة مرحلية ممكنة في رواج المصطلح / التعبير.

(أ) افتتحت المرحلة الأولى بضم مملكة الأنباط وتحويلها إلى ولاية العربية عام ١٠٦م. ففي خلال هذه المرحلة التي تتعامل مع ولاية العربية، اعتبر عام ٢١٢م الذي تم فيه إعلان/ مرسوم كراكلا، تاريخاً مهماً آخراً كما ذكر أعلاه.

(ب) ربما افتتحت المرحلة الثانية من رواج المصطلح في عام ٢٤٠م، عندما وضع غورديان نهاية لاستقلال مملكة أديسا العربية في أسروينه التي أصبحت مستعمرة رومانية، مما وضع الرومان أيضاً في مواجهة مباشرة مع عرب سكان- الخيام عبر منطقة الفرات الذين احتموا منهم جزئياً فيما مضى بملوك أديسا/الرُها الأبجريين العرب[1].

(ج) افتتحت المرحلة الثالثة من رواج المصطلح بمواجهة الرومان لعرب تدمر وما تلاها من تدمير المدينة عام ٢٧٢م، والتي أدت بدورها إلى مواجهة أخرى بين الرومان وسكان- الخيام في وسط القطاع المشرقي،إلا أنه تم في النهاية ضم أسروينه بنفس الطريقة التي تم بها ضم مملكتي تدمر في الشمال والأنباط في الجنوب.

ولذلك، تم تفكيك التأسيس العربي الحضري في منطقة الهلال الخصيب في نهاية القرن الثالث، وبدأت حالة مواجهة مباشرة تأخذ مكانها من جانب روما مع الأعراب سكان- الخيام من الفرات حتى سيناء والبحر الأحمر. ومما لا شك فيه أن حياة البداوة الرحل[2] بدأت تتشكل مع سقوط المراكز المدنية العربية القوية التي كانت تتحكم بهؤلاء الأعراب وحياتهم الرعوية. لكن أكثر النتائج التاريخية أهمية في سقوط هذه المراكز أدت إلى مواجهة الرومان المباشرة ضد عالم فسيح من عرب سكان الخيام[3]/ السكيناتي. فكان من الطبيعي جداً، ومن خلال رؤية الأهمية لتجانس هذا

١- يعزى الاسهام أيضاً في سقوط حترا Hatra بيد شابور الأول عام ٢٤٠م، إلى حد ما، إلى الأعراب المقيمين في القطاع الفارسي من المنطقة. فقد انعكست تأثيرات هذا السقوط جزئياً على الأقل على منطقة حوضي الفرات ودجلة. عن سقوط أديسا وحترا،انظر"تاريخ كمبريدج القديم"، العدد الثاني عشر، الصفحات ٨٧ ، ١٣٠- ١٣١ ؛ وعن الأعراب، انظر الملاحظة التالية.

٢- عن فكرة تشكل البداوة في هذه الفترة،انظرW. Caskel في "تشكل البداوة في الجزيرة العربية"، "دراسات في التاريخ الثقافي الإسلامي"، حققه غرونيباوم G.E. von Grunebaum في شيكاغو عام ١٩٥٤م، الصفحات ٣٦- ٤٦، خاصة، الصفحات ٤٠- ٤١.

٣- استفاد غراف وأكونور في كتاب"أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه"، الصفحة ٦٦، من مقالة غاسكل " البدونة" في تقديم اقتراحهما عن الأصل الجديد للمصطلح/التعبير، لكن مكان تشكل

العالم من الأعراب، أن مصطلحاً تم تبنيه في القرن الثاني كان يجب أن يتوسع ليرمز لهذا العالم بأكمله في القرن الثالث.

تذييل: أدت تعقيبات أحد القراء قبل النشر إلى أن من الضروري توضيح وجهات نظري عن استخدام الرومان لمصطلح/ تعبير سَرقيني، انظر القسم الثاني- ثانياً، من هذا الفصل.

١- لا يوجد شاهد قاطع على الظروف التي تسببت باستخدام الرومان لتعبير/ مصطلح سَرقيني. إلا أنه يمكن إعادة بناء هذه الظروف؛ مقترحاً عام ١٠٦م، العام الذي تم فيه ضم مملكة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية، بأنه من أكثر التواريخ أهمية، شارحاً سبب اختياري لهذا التاريخ على اعتبار أن السَرقينيين الآن يتباينون عن عرب ولاية العربية الذين هم الآن من سكان الولايات الرومانية المحليين. حيث يمكن كذلك مقارنة وجوه الاختلاف بينهم وبين الرومان العرب ليس كسكان محليين، بل كحاصلين على حق المواطنة الرومانية بعد إعلان مرسوم أنتونينيانا Constitutio Antoniniana عام ٢١٢ م. لذلك، فإن هذا الإعلان وهذا التاريخ يعتبران تاريخين مهمين. مع ذلك، فأنا شديد الميل للاعتقاد بأن التاريخ الحقيقي المهم في قصة استخدام الرومان للتعبير/ المصطلح 'سَرَقيني/ سَرقينيون' كان عام ١٠٦م.

٢- على صفحات القسم الثاني- ثانياً، من هذا الفصل، ناقشت بعداً آخر لتبني الرومان لهذا المصطلح، وذلك بعد تبنيه مع ضم مملكة الأنباط إلى الإمبراطورية، وتحديداً، رواج وانتشار استعماله بعد عام ١٠٦. أشرت إلى حالتين مشابهتين من الضم حدثتا في القرن الثالث ؛ أسروينة العربية في عام ٢٤٠م وتدمر في عام ٢٧٢م، وعرضت أن هذين الضمين كانا في النهاية المسؤولين عن الرواج الواسع والعريض 'للمصطلح/ التعبير/ التسمية'؛ السَرقينيون، للإشارة للعرب الرحل في شبه الجزيرة العربية.

البداوة في الجزيرة العربية الذي اقترحاه مختلف عن مكانه الذي يناقشه هذا الفصل، فقد اختبر تغيراً باتجاه الإبراز والتأكيد. ويحسب على غراف وأكونور"الغموض والالتباس الأخيرين عن معنى التعبير/ المصطلح سَراقيني"؛ بينما يحسب لمؤلف هذا الكتاب جزئياً نشوؤه ورواجه.

ملحق

اعتمد أصل التعبير اللغوي سرَقيني الذي اقترحه غراف وأوكونورعلى ترجمة وتعليل J.T.Milik لتعبير'شركت' في روافه بيلينغوس Bilinguis الذي ناقشه على أساس مصطلح فني يعني"اتحاد"[1]. إذ فحص ودقق القسم الأول- ثانياً من هذا الفصل صحة أصل المصطلح/ التعبير لغوياً، كما أن هذا الملحق سيكرس نفسه لفحص جذور تأسيسه بالضبط ، سواء كان تعبير 'شركت' يعني في الحقيقة اتحاد أوتحالف. والمسألة هنا مهمة للتاريخ الداخلي لهذة القبيلة العربية المهمة، ولتاريخ الحجاز في هذه الفترة، ولتاريخ العلاقات العربية الرومانية[2]. حيث يعتمد الجذر الأصلي الذي تم اقتراحه للكلمة المصطلح/ التعبير 'سَرقيني/ سَرقينيون' ويجعله مهماً للعلاقات العربية- البيزنطية أيضاً.

بالرغم من جاذبية اقتراح ميليك وكفاءة المناقشات التي تدعمه من قبل غراف وأوكونور[3]، فأنا غير مقتنع بصحة شرح وتعليل ميليك لتعبير'شركت'، حيث يمكن إثارة عرض الموضوع بوضع العديد من المناقشات المختلفة في مواجهة الرأي القائل أن شركت في مخطوطة روافة بيلينغوس تعني 'اتحاد'.

١- عن مخطوطات روافه، انظرغراف "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، في الصفحات ٩- ١٠، وعن النصوص التي تتحدث عن هذه المخطوطات بمصاحبة تعليق عليها: تعليل وشرح ميليك لتعبير'شركت' كاتحاد أو تحالف (حلف)، انظر أيضاً "أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه"، الصفحات ٦٤- ٦٥، والتي صاحبها العديد من المعلومات ذات الصلة في الملاحظات الهامشية. ظهرت مقالة جي. تي. ميليك بعنوان "المخطوطات اليونانية والنبطية في روافه" في "نشرة معهد الآثار" التي أصدرته جامعة لندن بالعدد العاشر في عام ١٩٧١م، الصفحات ٥٤ - ٥٨.

٢-عن رؤية غراف وأوكونور للأهمية التاريخية لما يعتبرانه نشوء وصعود تحالف ثمودي في شمال الحجاز في القرن الثاني، انظر "أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه"، في الصفحات ٦٥- ٦٦، انظر أيضاً "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، في الصفحات ١٠- ١٢، ١٥- ٢٠.

٣- انظر "أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه"، الصفحات ٦٤- ٦٥: انظر أيضاً "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحات ١٤- ١٥.

أولاً

١- إن تعبير شركت غير معروف كتعبير في المصطلحات السياسية للعرب، قبل أو بعد فجر الإسلام، في المعنى الفني لاتحاد أو تحالف. والاحتمالات ضعيفة بأنه أصبح منسياً وأن نسيانه يعلل عدم اعتماده في اللغة العربية التقليدية في هذا السياق. وتمتلئ اللغة العربية واللغات السامية الأخرى بالتعابير اللفظية المتجانسة، ولكن دون وجود جذور وأصول تعابير لفظية مترادفة أو وحدات معجمية أساسية تتكون عناصرها من كلمة أو أكثر ولا تواكب هذه العناصر المعنى العام بشكل منفصل. فتعبير'شركت' في المخطوطات الثمودية يمكن أن يكون مثالاً على هذه التعابير اللفظية غير المترادفة[1] .

٢- إن التعبير العام لاتحاد أو تحالف هو'حلف'[2] . فهو تعبير قديم ومعتمد في اللغة العربية قبل الإسلام وكان شائع الاستعمال في أجزاء مختلفة من أنحاء شبه الجزيرة العربية. وقد يتوقع أحدهم أن يكون هذا التعبير المصطلح موضوعاً قيد الاستعمال لو أن فكرة الاتحاد التي أرادها كانت من أجل وصف التنظيم السياسي للثموديين.

٣- إن 'شركت' ليست 'تحالف'، وهذا مؤكد بشكل إضافي بالجزء الثاني من البناء اللغوي الذي ظهرت به لفظة ثمود في المخطوطات الثمودية. وإذا حدث وظهر اتحاد أو تحالف (حلف) إلى الوجود في الجزيرة العربية قبل الإسلام، فإن الاسم الجديد الذي يعطى له عادة يخص كل عضوٍ من أعضاء القبائل المنضوية تحت لواء مثل هكذا اتحاد أو تحالف(حلف) كالتنوخيين مثلاً، أو في بعض الأحيان بتسميته باسم الجد الأول كما الحال مع قوم معاد[2] . إن توظيف تعبير ثمود أو الثموديين، اسم القبيلة المشهورة[1]،على

١- تعني في اللغة العربية التقليدية 'جمعية / اتحاد'، لكنها تعني شيئاً آخر في المخطوطات الثمودية، مثلما الحال في اللغة العربية التقليدية لتعبير 'شارَك' المشتقة من نفس الجذور الثلاثة كـ 'شركت' التي تعني'شَرك/ مصيدة /كمين'،الشئ الذي لايتصل مطلقاً بالمعنى 'جمعية أو اتحاد' أو كما تبدو كذلك.

٢- انظر EL ، العدد الثالث، الصفحات ٣٨٨- ٣٨٩.

٣- حتى أن بعض هذه الأسماء كانت خيالية. فإن لم يكن الاسم حصرياً، فهو عندئذٍ يضم كل الأعضاء المنضوين تحت لواء الحلف، مثل حلف 'قحطان وربيعة' أو حلف 'كعب وتميم' Kalb and Tamim.

عكس الاسم الجديد للتحالف الثمودي، يشير إلى أن 'شركت' ليست تعبيراً مناسباً لتلك الفكرة.

ثانياً

إن الأكثرأهمية من توظيف تعبير ثمود في بناء جملة المخطوط الآرامي هو نقل هذه الجملة إلى النسخة اليونانية. إذ لا يبدو من غير الوارد، بدون المؤرخين اليونان، مناقشة موضوع 'التحالف' كمضمون ذي مغزى يدل على'شركت'. إلا أن المؤرخين اليونان يمسكون بهذه النقطة بإحكام، فهي تلقي ضوءاً ساطعاً على ما تكون 'شركت' أو ما لا تكون.

١- يبرهن تعبير 'شركت srkt' بشكل نهائي تقريباً على أنه لا يعني 'تحالف أو حلف'. فلو أن معناه كان كذلك لتحتم على المترجم[٢] أن يختار التعبير اليوناني الصحيح لكلمة 'تحالف أو حلف'. وفي الحقيقة لم يستخدم المترجم مثل هذا التعبير لكنه بدلاً منه استعمل تعبيراً آخر'أمة/ شعب'، الذي لا يعني ذلك، بل يشير لتعبير 'شركت' بما يعني بكل بساطة 'القبيلة أو القوم' بما لم يكن تعبيراً سياسياً بارزاً وجديداً للتسليم بأن 'أمة/ شعب' غير كافٍ بالغرض.

٢- وعلى الجانب الآخر قدمت النسخة الإغريقية من المخطوط مع تعبيرها 'أمة / شعب' مفتاحاً عن كيفية ترجمة هذا التعبير النادر 'شركت' الذي يعني في هذا السياق 'قبيلة أو قوم'. وهذا غير مفاجئ على اعتبار أن اللغة العربية تحتوي على تعابير مختلفة كثيرة الاتساع لتحديد القبائل وأفخاذها؛ مثل: قبيلة، حي، شعب، إمارة، بدن، فخذ؛ فربما تكون 'شركت' أيضاً واحدة من هذه التعابير/ المصطلحات[٣] في لغة أهل الحجاز العربية في القرن الثاني.

١- ترجع هذه القبيلة بامتداد عمرها الزمني المديد، بالإضافة إلى بروزها الواضح كقبيلة كانت استثنائية، إلى العصور الآشورية.

٢- سواء كان الثموديون متعددي اللغة أو حسب جملة غراف"الخبراء اللغويون الذين كانوا متآلفين مع لغة السكان الأصليين عرب الصحراء"، انظر الصفحة ١٥ من"السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية ".

٣- إن أقرب معنى دلالي يمكن اقتراحه لهذا التعبير المنقوش 'شركت' الذي يوحدها دلالياً في جملة التعابير العربية المتعددة التي مر ذكرها أعلاه، هو'الجماعة ذات المصالح المشتركة'. حيث يمكن تعزيز هذا المعنى الهام بالتماس المعنى في الجذر شَ- ر- ك الذي يمكن اشتقاق 'مشترك/عام' منه.

ثالثاً

لذلك، فإن توظيف المصطلح/التعبير 'ثمود' مباشرة بعد 'شركت' كما جاء في بناء المخطوطة الآرامية، وترجمة 'شركت' بأنها تعني 'أمة/ شعب' كما جاءت في النسخة اليونانية المترجمة للمخطوطة تدعم بعضها بعضاً وتشير إلى أن 'شركت' لا تعني 'تحالف أو حلف' من القبائل التي تضم ثمود وقبائل أخرى من غير ثمود. وبالرغم من عرض الاقتراح بأن كل الشواهد تقود إلى النتيجة التي تعني بكل بساطة 'القبيلة'، فليس من المستحيل إجراء المناقشة للكشف عن أهمية المعنى في تعبير 'شركت' الذي يشارك كلا التعبيرين 'قبيلة' و'تحالف أو حلف'.

١- كان للحلف[1] أكثر من شكل مختلف. فالحلف الحقيقي كان مكوناً من قبائل منفصلة ومختلفة، وغالباً تكون مندمجة بحيث تعطى اسماً عاماً لها، فتعبير'شركت' الذي تمت مناقشته ليس واحداً منها. كما أن انضمام الأفخاذ المختلفة المكونة للقبيلة الواحدة تشكل حلفاً مختلفاً عن الشكل الأول"وذلك باستقرارهم على أعراف وتقاليد وعادات تتفق بالعموم مع مصالحهم جميعاً"[2]. فتعبير 'شركت' ربما استخدم هنا بمعنى 'حلف أو تحالف'.

٢- يمكن أن يلاقي هذا التحليل دعماً كبيراً من خلال استخدام تعبير قِدمي qdmy في صيغة الجمع للإشارة إلى أكبر القادة سناً في'شركت' في الجملة 'قِدمي شركت'[3]. فالكثيرون الأكبر سناً إذاً يمكن أن يكونوا رؤساء للأفخاذ المختلفة التي تشكل

فالتوازي لهذا يمكن أن يكون التعبير اللاتيني'عام أو مشترك commune' كتعبير جوهري لمعنى 'الدولة / البلد' أو 'الجماعة ذات المصالح المشتركة'، كما يمكن موازاة ذلك بالتعبير اليوناني الذي يعني 'دولة / بلد' بنفس المعنى الذي يحتويه المدلول أيضاً، وليس في تعبير 'عصبة أو رابطة أو منظمة أو جامعة'.

١- فالحلف، بشكل قاطع، إذاً، هو ميثاق وعقد اتفاق متضامن يشكل الحلف أو التحالف، ويراعي مصالح الأعضاء المنخرطين فيه.

٢- عن ذلك، انظر حلف في EL ، العدد الثالث، الصفحة ٣٨٨.

٣- عن الجملة، انظر المخطوطة في "السَرقينيون والدفاع عن الحدود العربية"، الصفحة ٩، وترجمتها الفرنسية في الصفحة ١٠.

قبيلة ثمود، وفي هذا المعنى الحصري ربما تكون 'شركت' بمعنى 'حلف أو تحالف'[1]، لكنها مختلفة جداً عن تلك التي تراءت لشركت وبدون المعنى التاريخي الهام الذي عزي لهذا التعبير.

١- قد يضيف أحدهم معنى مهماً نهائياً لشركت التي تعني 'شَركة أو شراكة' في المعنى التجاري للتعبير، وهي الترجمة الطبيعية لشركت في اللغة العربية التقليدية. ففي منظور الأهمية التجارية لجماعة مثلما كان الحال عند روافه التي استقرت على طريق القوافل، لذلك، فإن'شركة أو شراكة' قد تكون من أكثر المعاني المناسبة أهمية. فتعبير 'مكة' للامينز- مدينة القوافل الأعظم في الجزيرة العربية قبل الإسلام - أي'الجمهورية التجارية' التي تتبادر إلى الذهن بشكل طبيعي. إن الظهور المتكرر في هذه المنطقة لأسماء صريحة مشتقة من الجذر 'شركت' (انظر أصل المصطلح سَرقيني ومخطوطة روافه، الصفحات ٦٤- ٦٥، والملاحظة رقم ٦٢) يمكن أن تؤكد هذا المعنى الهام لـ 'شركة أو شراكة' بدلاً من 'شركت'. فالإسم الصريح المشتق من 'شركت' مثل: 'شَريك' الذي يعني بكل وضوح شراكة، 'شراكة تجارية'- تسمية طبيعية في منطقة شكلت جسراً تجارياً لتجارة القوافل بين الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأبيض المتوسط. عن استخدام تعبير 'أمة / شعب' اليونانية في أوراق البردي التي تحدثت عن شراكة تجارية او مهنية؛ انظر Liddill and Scott في "مفردات المعجم اليوناني الإنكليزي". لذا، فال'المجموعة الاقتصادية' لثمود قد تكون ترجمة جيدة لتعبير'شركت ثمود' الذي يوحد بين فكرة 'الشركة أو الشراكة' التي تم اقتراحها في هذه الملاحظة مع'الجماعة ذات المصالح المشتركة' التي قدمت في الملاحظة الهامشية الأخيرة من ثانياً من ملحق هذا الفصل.

من المهم إجراء الملاحظة النهائية على كتابة المخطوطات القديمة؛ ففي المخطوطات النبطية المكتوبة يقدم الحرفان(b، k – ك ، ب) تشابهاً شديداً في كل منهما للآخر. وبالنتيجة، فقد تكون 'شركت' في الحقيقة 'شربت' وبذلك تلغي 'اتحاداً أو متحدين أو حلفاً أو متحالفين'، ويترجم التعبير اليوناني 'أمة / شعب' بشكل دقيق إلى 'قبيلة' أو 'قوم أو شعب'.

الجزء الثالث

التأليف والتركيب والعرض



القسم الأول

كان يمتلك الجزء الرئيسي من المشرق عند ظهور بومبي على المسرح التاريخي للشرق الأدنى مجموعات عربية استغل بعضها فرصة اضمحلال إمبراطوريتي الأسرتين السلوقية والبطليمية*، وأثروا تأثيراً عميقاً من خلال اختراقهم داخل الهلال الخصيب، وقسموه بين أنفسهم إلى دويلات ومراكز مدينية (مدينة- دولة) بدءاً من نهر الفرات حتى نهر النيل؛ فكانت مملكة أديسا الأسروينية مثالاً على ذلك، ومجموعة الرئيس عزيز الذي حكم منطقة أنطاكية، وأولئك الخيدامنوس، الغمباروس، والثيميلا في خلقيس شرقي شمال نهر العاصي؛ وعرب تدمر، ومجموعة سمبسي- غيراموس في حمص والرستن؛ الأتوريون في لبنان وفي لبنان الشرقي والبثنية، وفي منطقة اللجاة وحوران: والأدوميون في فلسطين؛ والأنباط في البتراء؛ والعرب في مصر بين النيل والبحر الأحمر.

كان اتساع هذا الحضور العربي في المشرق غامضاً بتسمياته المميزة؛ وثنية كانت أم مسيحية، وجغرافية، أطلقت على هذه المجموعات العربية، فحجبت أصلها العربي العام خلال القرون الأربعة أو نحو ذلك من فترة حكم الرومان. وكان استخدام تعبير"عرابيا / ولاية العربية" في المصطلحات الإدارية الرومانية ينطبق على ثلاث مناطق؛ العربيات الثلاثة أو المناطق الثلاثة التي اطلقت على كل واحدة منها تسمية عرابيا أو العربية، وهي: منطقة بين الرافدين، منطقة عبر- الأردن، ومصر، واعتبر أن سكان هذه المناطق الثلاثة كانوا من العرق العربي. وقد أبرز هذا الإخفاء الغامض الذي ألقي على هويتهم إلى حد بعيد تبنيهم للأسماء اليونانية- الرومانية.

---

* السلالة السلوقية هي الأسرة الحاكمة التي أسسها سيليوقوس نيكاتور عام ٣١٢ ق.م (أحد جنرالات الإسكندر الأكبر)، وذلك بعد رحيل الإسكندر المقدوني واقتسام مملكته، فاستمرت حتى ٦٤ ق.م، وحكمت سلالته من بعده معظم أجزاء آسيا الصغرى، سورية، إيران، وباكتريا في جنوب غرب آسيا . بينما حكمت السلالة البطليمية اليونانية - المصرية مصر في الفترة بين ٣٢٣- ٣٠ ق.م- المترجم .

مـر هـذا الحـضور العربـي الواسـع والمكثـف دون انتبـاه تقريبـاً . إذ يتحـدث محللـو الخريطـة العرقيـة والثقافيـة للمـشرق عـن مكونين مـن مكونـات الحـضور- الإغريقـي والآرامـي. غـير أن قـراءة الخريطـة الثقافيـة بمـصطلحات وتعـابير مزدوجـة تقـود إلى التضليل. وبتصنيف المكونات والعوامل العربية تحت تصنيفات آرامية تكون عندها قد حجبـت كـلاً مـن اتـساع وواقعيـة الحـضور العربـي الـذي كـان عـاملاً دائمـاً في التـاريخ الرومـاني في منطقـة المـشرق في كـلا العـصرين الرومـاني والبيزنطـي. حيـث يجـب فهـم رسم الخريطة العرقية والثقافية لهذه المنطقة من خلال المصطلحات والتعابير الثلاثية؛ اليونانيـة، الآراميـة، والعربيـة - بفـصل الثالـث عـن الثـاني، وتقـديم الثالـث بالعلاقـة إلى الثـاني ولكن بتمييزه عنـه في الـسياق العرقـي الـسامي الواسـع. وهـذه جميعهـا مـن أكثـر الضرورات التي يجب أن نقوم بها ليس فقط لأنها خريطـة عرقيـة وثقافيـة غـير دقيقـة، بل أيضاً لأن العرب وليس الآراميين هم من كانوا يشكلون القـوة الـسامية في ديناميكيـة الحراك التاريخي الروماني في المشرق خلال هذه القرون.

بالرغم من الاختلاط الثقافي وفي بعض الأحيان التشابه بين الثقافات اليونانية - الرومانية والسامية المشرقية، حافظ العرب على هويتهم الشخصية بدرجات مختلفـة انعكـست علـى احتفـاظهم بـروحهم وعـاداتهم ولغتـهم وطقوسـهم الدينيـة وتقاليـدهم الموروثة. فقد كانوا قادرين على فعل ذلك نتيجة استقرارهم المغرق في القدم في هـذه المنطقـة، وبـزمن طويـل قبـل ظهـور الرومـان في القـرن الأول قبـل المـيلاد؛ لأن الرومـان خلفوا لمدة طويلة مـن الـزمن هياكلهم التنظيميـة الـسياسية والاجتماعيـة دون أن يطـرأ عليها شيء خلال آلية التفويض التي منحوها لزعماء المناطق المشرقية؛ وأيضاً بـسبب التجـاور والـتلاحم للخـزان العرقـي واللغـوي العريـضين في موطنـهم مـن شـبه الجزيـرة العربية. وقد كان هذا هو الذي قرر درجة تحديد هويتهم:

(أ)هـؤلاء الـذين قطنـوا سـاحل البحـر الأبـيض المتوسـط كـالأدوميون والأتوريـون الـذين تهـودوا وتطبعـوا بالحيـاتين الإغريقيـة والرومانيـة، وبـذلك أضـاعوا الكـثير مـن شخصيتهم الثقافية.

(ب) كـان عـرب وادي نهـر العاصـي في حمـص والرسـتن أقـل ضـياعاً لمكونـات شخصيتهم من هؤلاء في (أ).

(ج) استمرت قوة الشخصية والهوية العربيتين على نهايات الأطراف البعيدة للدولة الرومانية في هذه الأقاليم أو المناطق التي كانت قريبة من شبه الجزيرة العربية، وهما مملكتي تدمر والأنباط ، حتى أن ذلك كان أكثر وضوحاً في مملكة الأنباط منها في تدمر. وفي هذه الأطراف يمكن تحديد الهوية بوضوح أشد كمنطقة عربية في الخريطة العرقية والثقافية في المشرق.

لو أن حضوراً عربياً نفاذاً وعميقاً كان يمكن التكهن به في المشرق خلال القرن الأول قبل الميلاد، ولو أن العرب لم يفقدوا هويتهم بعد استقرار فترة نظام بومبي، لأمكن إذاً، وحتى لكان من الضروري، التحدث عن المكون العربي في بنية التاريخ الروماني في المشرق، خاصة أن العرب استمروا كقوة دائمة الحركة في ذلك التاريخ حتى نهاية الجزء الأخير من القرن الثالث الميلادي، قرن الأزمات الإمبراطورية الذي شهد ذروة العلاقات العربية- الرومانية.

كما كان بالضبط استقرار فترة نظام بومبي يشكل تماماً معلماً في تاريخ التوسع الروماني في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، كذلك كانت هذه الفترة في التاريخ العربي خلال الأزمنة القديمة. وقد حلت فترة الاستقرار تلك محل فترة حكم السلالة السلوقية كسادة جدد لبعض أجزاء المشرق. ولو أن بومبي لم يأت بظهوره المفاجئ وغير المتوقع في هذه الفترة، لكان باستطاعة العرب تطوير المشرق، خاصة النصف الغربي من الهلال الخصيب، على مسارات مختلفة عن تلك في الفترة التي حُكمت فيها المنطقة من قبل سلالة البطالمة والسلوقيين من خلال مسارات جديدة تعيد الجزء الغربي من منطقة الهلال الخصيب لحكم الساميين كما كانت بالضبط قبل سقوطها بيد الأخمينيين في القرن السادس قبل الميلاد، حيث ضمنت فترة استقرار بومبي لروما، وليس للعرب، كي تكون الوريث والخليفة للممالك الهلينية والحاملة لاستمرار سياساتهم الثقافية، وبهذا تم عقد إيجار جديد لمصلحة الحضارة الهلينية ومد عمرها إلى حد اصطلح على تسميته بالعصر الهندو- أوربي في تاريخ المشرق السامي.

أعاقت فترة استقرار الحكم التي اصطلح عليها بفترة استقرار نظام بومبي افتتاح التاريخ العربي في منطقة الهلال الخصيب في القرن الأول قبل الميلاد، إذ أجبرته على سلوك طريق جديدة ساروا فيها لعدة قرون دائرين في فلك تاريخي جديد هو فلك البحر الأبيض المتوسط الروماني، وبذلك تأخر تعبير العرب الناجح عن أنفسهم لمدة سبعة قرون متتالية. وبقي الحال على ذلك حتى وحد عرب شبه الجزيرة العربية

أنفسهم تحت راية الإسلام في القرن السابع الميلادي، وأصبحوا قادرين على استعادة النصف الغربي من منطقة الهلال الخصيب، المشرق، من سيطرة الرومان، فأنهوا بذلك ما يمكن تسميته بالألفية اليونانية- الرومانية التي ابتدأت بفتوحات الإسكندر المقدوني في غضون القرن الرابع قبل الميلاد مؤكدين على الحضور العربي السياسي والعسكري الذي أعاقته فترة استقرار نظام بومبي في القرن الأول قبل الميلاد.

أصبحت فترة استقرار نظام بومبي بداية لتشابك طويل الأمد بين العرب والرومان امتد على مدى سبعة قرون، نجح العرب، في النهاية، بخدمة ارتباطاتهم الرومانية. وكان من الطبيعي أن تكون أكثر المسائل أهمية وأكثرها تعقيداً في تاريخ العلاقات العربية-الرومانية هي الفتوحات العربية في القرن السابع والضربة القاصمة التي ألحقها العرب بدولة روما الشرقية، الإمبراطورية البيزنطية. وبذلك تم تغيير مسار تاريخ البحر الأبيض المتوسط والتاريخ الروماني. والسؤال الكبير، هو: كيف نجح العرب في ذلك!. إلا أن الفحص الدقيق لأول مواجهة رئيسية بين العرب والرومان في القرن الأول قبل الميلاد يعتبر وثيق الصلة بالجواب على هذا السؤال، على الأقل، للإضاءة عليه بمقارنات قياسية متشابهة ومتضادة أيضاً. فقد كان عرب القرن الأول قبل الميلاد، على خلاف أحفادهم في القرن السابع، قد اعترضوا طريق زحف بومبي وهم متفرقون- الكثير من أسرهم الحاكمة في ذلك الوقت لم يتناغموا مع ذلك الاعتراض-لهذا،استطاع بومبي التعامل معهم منفردين، الواحد تلو الآخر. كما أن استقرارهم لم يكن في مناطق شاسعة وحصينة بعيدة المنال في شبه الجزيرة العربية، بل في مدن محصورة داخل المشرق، ولذلك، لم يكن بمقدورهم الاحتراز والتملص من قبضة القائد الروماني الذي استطاع تشتيتهم بسهولة. وبالنهاية، كان بومبي قائد جيش ليس كجيش هرقل في القرن السابع، لم تلحق به هزائم ساحقة، بل ربح معارك وانتصارات بدفع أثمان عظيمة لها أرهقت جيشه على مدى عشرين عاماً. وبذلك، فقد كان بومبي قادراً على إقرار وتوطيد أول مواجهة عربية- رومانية لمصلحة روما.

القسم الثاني

تواكب استقرار نظام بومبي في فترة من أربعة قرون من العلاقات العربية- الرومانية التي شكلت عصراً تاريخياً حقيقياً خلال فترة طويلة من هذه العلاقات امتدت إلى الفترة البيزنطية بكاملها .وكانت نهاية هذه الفترة بقيام ثورة تدمر في القرن

الثالث، المواجهة العسكرية العربية- الرومانية الأعظم خطراً، قبل تلك التي حدثت مع المسلمين في القرن السابع. دار السؤال الكبير حول تاريخ المشرق الداخلي عن كيف تعاملت روما مع عربها داخل حدود الإمبراطورية خلال هذه القرون؛ من فترة الاستقرار التي حققها نظام فترة بومبي حتى حكم دقلديانوس.

قسم مسار هذه العلاقات بين خضوع العرب بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد وثورتهم في تدمر في القرن الثالث الميلادي إلى قسمين:

(١) في الفترة الأولى من القرنين الميلاديين الأول والثاني، الذي اتكأت به روما على وضع الحالة الراهنة بترسيخ دعائم الأسر الحاكمة المختلفة وجعلها وكيلة لها في مناطقها؛ والتي بدورها خدمت روما بشكل جيد وأصبحت متشابهة الثقافة معها إذ ظهرت كمعجبة بالإغريق ومقلدة لهم.

(٢) في الفترة الثانية تم الامتصاص والحكم المباشر بالإلحاق والضم الذي بدأ في القرن الأول قبل الميلاد بالانضمام والإدخال تحت سلطة فلافيي أتوريا، والذي طبق في القرنين الثاني والثالث على الكثير من المجموعات العربية المهمة- الأنباط عام ١٠٦م، والأسروينيين عام ٢٤٤م، والتدمريين عام ٢٧٢م. وهذه الالحاقات الثلاثة، خاصة الأولى والأخيرة منها،استكملت امتصاص عرب المشرق ضمن النظام الروماني،وأثرت بإحداث تغيرات مهمة في سياسة الحدود الرومانية، ووضعت الرومان وجهاً لوجه مع عرب شبه الجزيرة العربية، وبذلك فقد منحت الرومان حدوداً طويلة مع الجزيرة العربية.

ربما لا شيء يعكس الاتساع والانتشار التي نجحت فيه روما بحل المشكلة العربية خلال هذه القرون أفضل من الوثيقة التي تعود بتاريخها إلى الفترة المبكرة من القرن الخامس؛الوثيقة المهمة/لائحة المقاماتNotitia Dignitatum. فبالرغم من كونها وثيقة جاءت من أوائل القرن الخامس، مع ذلك فالأساس الروماني فيها واضح التميز، إذ يعكس الظروف التي أحرزها الرومان قبل الفترة البيزنطية، فتكشف الوحدات العسكرية العربية الكثيرة العدد التي ضمتها الوثيقة بين طياتها عن طبيعة واتساع الإسهام العربي إلى المجهود الروماني الحربي، إضافة إلى حقيقة أن روما جندتهم لخدمة أغراضها بعد محاربتهم والتغلب عليهم.

الافتراض، بل الافتراض القوي هو أن هؤلاء العرب كانوا مواطنين رومان، سواء عن طريق الخدمة النظامية في الجيش الروماني أو أنهم أصبحوا مواطنين بعد صدور مرسوم المواطنة الذي أصدره الإمبراطور كراكلا في عام ٢١٢ م، واتساعه ليشملهم. ولذلك كانت الوحدات العسكرية العربية الكثيرة في الجيش الروماني التي وصفت بالوطنيين أهل البلاد الأصليين من سكان مقاطعات المشرق تتميز بسحنات عرقية عربية ظاهرة الوضوح، وأنها كانت تعتبر رومانية من سكان الأقاليم المشرقية ذات الأصول العربية التي خدمت في جيش الإمبراطورية الرومانية بعد أن أصبحت من مواطنيها.

القسم الثالث

بالرغم من أن العرب شكلوا عنصراً دائماً في تاريخ المشرق منذ بداية نظام بومبي، فقد أصبحوا على مدار القرن الثالث العنصر الأساسي في صناعة هذا التاريخ الروماني- في النصف الأول حتى منتصفه، وفي النصف الثاني منه- وقام هذا العامل من خلال المكون العربي بصناعة سلالة الحكم السيفيرانية، وبالمنصب الأول الذي تسنمه فيليب العربي، وبولاية حكم أذينة وزنوبيا في تدمر.

لم تدرك الشخصية العربية قيمة إثبات ذاتها الاستثنائية هذه بشكل كامل في القرن الثالث، حتى حين تم التعرف على الشخصية العربية لكل واحد من المكونات الثلاثة لهذا العامل. وقد تم مناقشة هذه المكونات الثلاثة بفصول منفردة وقائمة بذاتها من تاريخ القرن الثالث. وعلى أية حال، فمن الصعب الاعتقاد بعدم وجود علاقات بَنوية أو وراثية بين هذه المكونات الثلاثة. إن زوجة وخلفاء سيبتيميوس سيفيروس، فيليب العربي، وأذينة وزنوبيا، أتوا جميعاً من المدن العربية الثلاث؛ حمص، شهبا، وتدمر على التوالي. وتعتبر هذه المدن الثلاثة قريبة من بعضها إذ كان عربها جيراناً. وقد فتح بكل تأكيد مرأى عرب حمص وهم يحصلون على الوشاح الروماني الأرجواني شهية العرب من مدينة شهبا، بالضبط كمرأى العربي من شهبا وهو يتسنم رأس الهرم في الإمبراطورية الرومانية ويحتفل بالعيد الألفي لتأسيس الإمبراطورية، فتح أيضاً شهية سيد تدمر أذينه، وبوضوح أشد أرملته زنوبيا.

من الممكن،إضافة للبَنوية، اكتشاف بعض السمات ذات الصلة بأرضية بعض ميادين نشاطاتهم:

(١) ربما كانت الدعوة إلى استحداث دستور أنتونينيانا بجزء منها عائدة إلى حقيقة أن من أعلن هذا الاستحداث لم يكن ينتسب إلى المؤسسة اليونانية-الرومانية، بل إنه نفسه كان من رعايا الأقاليم. فإذا كان ذلك صحيحاً، فقد كان النصف- عربي كراكلا ووالدته العربية جوليا دومنا هما من أكملا هذا العمل الذي بدأه جوليوس سيزر.

(٢) تبدو الخلفية العربية جلية في سياسة السيفيرانيين الدينية.حيث أن مناصرة جوليا دومنا العنيفة للوثنية ضد المسيحية التي تتحدث عن نفسها يمكن فقط شرحها بحقيقة كونها ابنة كاهن إله- الشمس العربي نفسه في حمص، في الوقت الذي تم تنصيب الاغابالوس لإله- الشمس في روما، وقد كان كاهنه السابق في حمص.

في هذا السياق، من الجدير بالاهتمام ذكر بعض توجهات العامل العربي بما يلي:

١- إن مشاركة العرب في صناعة التاريخ الروماني لم تعد في مستواها الإقليمي الأدنى، بل في المستوى الأعلى- تسنم منصب الإمبراطور في البلاط الإمبراطوري، الذي حصل عليه الأباطرة من أنصاف- العرب من سلالة الحكام السيفرانيين، وكذلك فعل فيليب. ومن خلال أعلى منصب، الإمبراطور، كانت هذه الشخصيات العربية، خاصة السيفيرانيين، قادرة على إحداث تغييرات أساسية في بنية التاريخ الروماني وفي منصب الإمبراطور نفسه.

٢- بعد ثلاثة قرون أو ما يقارب ذلك من التشابه أو حتى من التماثل الثقافي أصبحت هذه الشخصيات العربية جزءاً من النظام الروماني، حيث صاروا الآن ينتسبون إلى إمبراطورية أصبحوا فخورين بأن يكونوا من مواطنيها. لذلك عملوا جميعاً من جوليا دومنا إلى أذينة من أجل الفكرة الإمبراطورية، وبالتالي لم يكن ولاؤهم محل تساؤل.

٣- من المدهش أن عدد النساء العربيات اللاتي صنعن شخصيات بارزة في هذا القرن : جوليا دومنا، جوليا سؤيمياس / سمية، وجوليا ماميا، إمبراطورات السلالة السيفيرانية؛ مارشيا أوتاشيليا زوجة فيليب، وزنوبيا زوجة أذينة. اثنتين كانتا من أكثرهن شهرة، كانتا أيضاً من أكثرهن نشاطاً بعدما أصبحتا أرملتين. أحرزت جوليا دومنا قمة طموحها وهي أرملة، كذلك ألقت زنوبيا بعد ترملها بتحديها في وجه قوة روما.

كانت إدارة هذا العامل العربي في القرن الثالث مشهودة إلا أنها لم تكن أخاذة لفترتي السيفيرانيين وفيليب، المواطنون الرومان من أصل عربي، الذين قاتلوا حروب إمبراطورية كانوا فيها حكاماً. لكنها كانت مختلفة في حالة أذينه وزنوبيا العربيين الأكثر تميزاً. فلم تدر عملياتهما العسكرية من قبل روما كعاصمة لهما، بل من مدينة تدمر العربية، مدينة القوافل في الصحراء السورية، بقوات عربية، وفي بعض الأحيان باتباع مبادئ حروب الصحراء.

كان تدرج العمليات عظيماً، وكان قياسياً بحقيقة أن التدمريين العرب أخذوا على عاتقهم ليس أقل من الثأر لأسر القائد الروماني فاليريان من إمبراطورية الساسانيين، وبذلك استحقوا عن جدارة ألقابهم كقادة رومانيين ومصلحين لكل المشرق. وكما غير أذينه مسار الأحداث في الشرق خلال حياته ، كذلك غيرها بموته. بعد أن خلفته زوجته الطموحة زنوبيا المُلك من بعده، والتي، من ضمن أشياء أخرى، قدمت للتاريخ الروماني أعظم قصة حب رومنسية منذ أيام كليوبترا. وحتى حربها كانت من الضخامة بمكانة أعلى من حرب زوجها المريض، حيث نجحت باحتلال كامل سورية بدءاً من طوروس حتى سيناء،مصر،وآسيا الصغرى. ويمكن استكشاف بعض التبني في ثورة زنوبيا أكثر مما في حياة زوجها المهنية، وهي مشهد تقليد عربي لآخر؛ فزنوبيا قلدت جوليا دومنا. وكان طموح زنوبيا هو الذي مهد الطريق على مسار المواجهة بين تدمر وروما، وكانت نتيجته تمردها أن تخلص أورليان من تدمر بتدميرها بعد احتلالها، مما أدى بالتالي إلى تغييرات بعيدة الأثر في تاريخ المشرق حظيت بها الفترة البيزنطية على مدى القرون الثلاثة التالية.

اصطنع الرومان تدمر ثم دمروها، حيث قدموا لها فرصة واسعة للازدهار بعد ضم مملكة الأنباط للإمبراطورية عام ١٠٦م. وكانت نتيجة حملتي أورليان الخاطفتين قد أجبرتها على الاستسلام أولاً، ومن ثم تدميرها بعد ذلك. فكان تمرد تدمر نموذجاً في مسار العلاقات العربية- الرومانية؛ فازدهارها كإمبراطورية تجارية ومحطة ارتباط بين الشرق والغرب اعتمد على التعاون مع روما، كما أن تمردها كان يُرى في نفسية زنوبيا- الملكة العربية- في رغبتها محاكاة المثال المشهور لجيرانها في حمص. جلب تدمير مدينة تدمر من قبل أورليان قرباً من تلك الفترة في العلاقات العربية- الرومانية، فقد مُثل بها العرب جيداً بمجموعات محددة وبمراكز حضرية رئيسية :

مثال ذلك ؛ عرب حمص، هؤلاء في البتراء، وأولئك في أديسا. فكانت تدمر آخر مدينة تسقط من هذا القوس الذي شكل المراكز العربية الحضرية، وإلى حد بعيد، وعلى عكس الآخرين، فقد غرقت بشكل كامل أو شبه كامل في النسيان.

زلزل تمرد تدمر جميع مناطق المشرق وبرهن على أنه كان حدثاً جوهرياً في تاريخ المشرق الروماني، خصوصاً في القرن الذي شهد الأزمة الرومانية العسيرة، والذي مثل تمرد تدمر ذروتها. ولأول مرة في التاريخ الروماني، كانت جميع أجزاء المشرق المنفصلة قد أصبحت منفصلة فعلاً. فلو أن القادة الذين كانوا مسؤولين عن سحق تمرد تدمر كانوا أقل تميزاً من القائد أورليان، لكان تبدل مسار التاريخ الروماني، ولكان من الممكن عندئذٍ أن تكون قيادة أورليان قد تجنبت قوة تاريخية عظيمة.

إن الأكثرأهمية وصلة بالموضوع لاستكشاف الأبعاد العربية-الرومانية لتمرد تدمر وسقوطها لتقديم فهماً أفضل لهذه العلاقات في الفترتين الرومانية والبيزنطية وفي القرن السابع هو الفتوحات العربية. إن احتلال جميع مناطق المشرق،وخاصة المشرق السامي من طوروس إلى سيناء، أثار حتماً الوضع التاريخي الذي حصل في القرن الأول قبل الميلاد عندما كان قسم كبير من نفس المنطقة في حكم كونه بأيدٍ عربية وتحت أيدي أسر عربية حاكمة استطاعت أن تحرر الممتلكات الآسيوية من السلوقيين والبطالمة. أشار الاحتلال التدمري إلى عودة المنطقة إلى الحكم العربي، ولو مؤقتاً، لمدة أربعة قرون من استقرار فترة نظام بومبي، الذي جلب معه المواجهة العربية- الرومانية الكبرى الثانية في هذه الفترة، وكان أيضاً الأكثر خطورة لروما، حيث أظهر العرب جبهة متفرقة في القرن الأول عرضت كتفسير جزئي لإخفاقهم بالارتقاء إلى مستوى خصمهم الروماني. لكن زنوبيا نجحت في القرن الثالث بتحقيق جبهة متحدة، ومع ذلك، نجح أورليان بهزيمتها شر هزيمة. وإضافة إلى تفوق القيادة الرومانية على القائد التدمري المتوسط الكفاءة العسكرية زابداس، يمكن تعليل الهزيمة العربية بحقيقة أن قوة التدمريين العرب كانت تعتمد بالكامل على مدينة- مدينة واحدة فقط - التي فضلاً عن ذلك، كانت ضمن مسافة فعالة للفرق العسكرية التي كانت تعسكر في أنطاكية وحمص. ففي الوقت الذي سقطت فيه المدينة انحلت المقاومة التدمرية وانهارت.

كانت المواجهتان بين العرب والرومان في هذه الفترة؛واحدة في القرن الأول قبل الميلاد والأخرى في القرن الثالث، على علاقة وثيقة الصلة بحل مشكلة الفتوحات العربية في القرن السابع. فالتحقيق يجب ان يأخذ في الحسبان كلا الجهدين العسكريين العربيين السابقين اللذين أخفقا مع دراسة أسباب هذا الإخفاق. فالنجاح العربي في القرن السابع لذلك تلقى إضاءة معتبرة بالمقارنة والتضاد مع الإخفاق العربي في القرن الأول قبل الميلاد وفي القرن الثالث. فقد ظهر موقف جديد معقد بشكل كامل في القرن السابع أصبح معه الإمبراطور البيزنطي هرقل غير قادر على مجاراته، لكن تعقيداته صارت أسهل لسبرها عند وضعها بالمقارنة مع خلفية المواجهتين السابقتين اللتين كان على بومبي وأورليان أن يتعاملا معهما .

القسم الرابع

إن تعرض العرب لإجراءات التطبيعين اليوناني والروماني لمدة أربعة قرون أو نحو ذلك نتجت بشكل طبيعي بدرجة كبيرة من التبادل والتشابه الثقافيين مع الحضارة اليونانية - الرومانية.حيث عزز امتداد قانون المواطنة الذي شمل العرب (٢١٢م)درجة هذا التبادل والتشابه بأن قدم لهم الحس بالانتماء إلى الإمبراطورية التي أصبحوا الآن من عداد مواطنيها . ويمكن تقديم التشابك العربي في الثقافة اليونانية- الرومانية هذه، وفي ثقافة المشرق السامية بما يلي :

إن شيوع تعبير/ مصطلح "سَرقينيون" على العرب ومعادلته بمصطلح سكان- الخيام "سكيناتي" قد أضفى، ضمن أشياء أخرى، غموضاً على حقيقة أن العرب قدموا مساهمة أساسية في الحياة الثقافية للمشرق من خلال تأسيسهم لمراكز مدنية مهمة أو من خلال تطويرهم لمراكز أسست من قبل آخرين. وقد كان من ضمن المجموعات العربية المختلفة التي قدمت إسهامات مهمة في تمدين المنطقة: الأدو- ميون الهيروديون في فلسطين، والأنباط الذين أصبحوا فيما بعد يشكلون ولاية العربية وكانوا أهم هذه المجموعات. وبذلك كان إسهام الأنباط أكثر بياناً لأنه كان في مناطق جافة عبر الأردن، وعبر الجزيرة العربية، النقب، وشمال الحجاز. وقد شهدت الأطراف والتخوم العربية نشوء إشادتين رئيسيتين في البتراء وبصرى، بنيتا وطورتا من قبل الأنباط. وإلى الشمال من مدينة بصرى صنع التدمريون من المنشأة السامية القديمة

تدمر أضخم مدينة قوافل عربية في الفترة الرومانية. وإلى الغرب من تدمر كانت حمص المدينة المشهورة بعبادة آلهة- الشمس التي مثلتها سلالة حكم عائلة سيمبسي غيراموس وبيت الإمبراطورات من السلالة السيفيرانية. وفي أعالي الفرات، استولى الأبجريون أنفسهم عام ١٣٠ ق.م على أديسا التي كان يحكمها السلوقيون الذين استمروا كحكام لها حتى منتصف القرن الثالث الميلادي.

تطورت صيغة مادية ثقافية عالية في هذه المدن العربية. والذي كان مهماً في هذا السياق هو انتشار الحياة الثقافية والأدبية المفعمة بالحيوية. حيث استمتعت السلالات العربية الحاكمة إلى حد ما بحكم ذاتي أو استقلال كملوك مفوضين وذلك قبل أن يضم الرومان ممالكهم إلى الإمبراطورية، فساهموا في الحياة الثقافية في المشرق بجعل مدنهم مراكز مهمة من العوالم الثقافية. ومن ضمنهم يمكن الإشارة إلى السلالات العربية الحاكمة التالية:السيمبسي- غيراموس في حمص، الأبجريون في أديسا، وبيت أذينة في تدمر. فقد رعت جوليا دومنا بابينيان، وألبيان، ديوجين لايرتيوس، ديو كاسيوس، فيلو ستراتوس، وغالن؛ ورعى أبجر الثامن بارديسان؛ ورعت زنوبيا لونجينوس.

يعتبراشتراك العرب في الأفلاطونية الجديدة في هذه الفترة جديراً بالإهتمام. فقد قام أميليوس تحت رعاية واهتمام زنوبيا بتأسيس المدرسة الأفلاطونية الجديدة في أفاميا. إلا أن المشاركة تجاوزت الرعاية؛ حيث كان إيامبليكوس/ إيامبليخوس، المنتمي إلى المدرسة الأفلاطونية الجديدة عربياً بكل تأكيد، كما كان من المحتمل أن يكون اسمه السامي الأصلي مالك- بورفيري.

جمع وصهر نشوء الديانة التوحيدية الجديدة في الجزيرة العربية في القرن السابع العرب في بوتقة الإسلام. إذ لم يعرف غالباً كم كان عمق مشاركتهم في المسيحية، وفي حقيقة الأمر في كل التيارات الدينية في المشرق. فقد مر العرب في الفترة الرومانية بالديانات التالية:الوثنية،المانوية الفارسية*،اليهودية،والمسيحية. وقد كانوا على الخصوص يؤمنون بديانات مدن البتراء وحمص وتدمر وأديسا التي كانت

---

* المانوية: هي ديانة فلسفية عرفت، من القرن الثالث حتى السابع، بتعاليم المعلم الفارسي مانيس وتلاميذه، وتتكون تعاليمها من الزاردشتية والغنوصية المسيحية والوثنية، وتقوم على مبدأي الخير(النور، الإله، والروح) والشر(الظلام، الشيطان، والجسد) - المترجم.

جميعها تمثل أهمية في الحياة الدينية للعرب ومدنهم. وكانت أهمها في هذا المجال حمص لأنها قدمت آلهة- الشمس التي تبوأت مكانها في روما نفسها من قبل الاغابالوس الإمبراطور السيفيراني:

ومع ذلك، كانت مشاركة العرب في المسيحية من أهم إسهاماتهم.

١- كان العرب من المجموعات الأولى في المشرق، وفي الواقع في العالم، الذين تبنوا الديانة المسيحية. فقد انتشر ذلك الدين مبكراً على اتساع ولاية العربية. وأظهر عرب الولاية الكثير من النشاط الثقافي عندما تواجهوا مع مسائل التعاليم اللاهوتية المسيحية المبكرة، لكنهم في الوقت نفسه سببوا لأنفسهم شجب اللاهوتين المسيحيين الأرثوذكس الذين دمغوهم بصفة الهراطقة والزنادقة والمبتدعين.

٢- بالإضافة إلى أن العرب كانوا من أوائل المجموعات العرقية التي تحولت إلى المسيحية وشاركت في نمو وتطور الديانة المسيحية المبكرة،فقد ساهموا بتقديم بعض الشهداء والقديسين للكنيسة المسيحية خلال هذه الفترة الرومانية. وكان أكثر قديسيهم شهرة؛ كوزماس وداميان Cosmas and Damian المعروفين بتسميتهم "بالقديسين اللافضيين"، رعاة الأطباء والمعالجين، ودفن الاثنان في أديسا مدينة العرب الأبجريين.

٣- كان إسهام العرب في تقدم الكنيسة للوصول إلى البلاط الإمبراطوري مدهشاً. فقد كان العربي، أبجر الكبير، حاكم أديسا هو من تحول إلى المسيحية حوالي ٢٠٠م، وبذا أصبح أول حاكم في التاريخ يتبنى المسيحية ويجعلها الدين الرسمي لدولة الشرق الأدنى. وجاء عربي آخر هو فيليب ليصبح أول إمبراطور روماني مسيحي. وعندما مات فيليب في عام ٢٤٩م، بعد حكم استمر لمدة خمس سنوات، كان ما يزال شاباً في سن الخامسة والأربعين. إذ لو أنه استمر في الحكم لنفس الفترة الزمنية التي حكمها قسطنطين، فربما كان بإمكانه تقديم إسهامات عظيمة لصالح المسيحية ولكان أثر في التغيرات المهمة في أحداث ومسار التاريخ الروماني كما أثر الأباطرة أنصاف-العرب من الأسرة السيفيرانية.

دعم تحول الحاكمين العربيين المسيحية - التي أصبحت فيما بعد طائفة مضطهدة - بأكثر ما تحتاج إليه من الحماية، وإلى حد بعيد، الحماية والرعاية الملكيتين.

جسد هؤلاء العرب صورة عظيمة في التاريخ الثقافي للمشرق؛ كهيرودس؛ جوليا دومنا، فيليب، وزنوبيا. وكان أبجر وآل بيته أبجريو أديسا هم من أكثر من استمرت مساهمتهم متمثلة في مدينة أديسا نفسها.

وحتى قبل تحولهم إلى المسيحية عام ٢٠٠م، مكن حكم الأبجريين المتسامح من تطوير أديسا كمركز مسيحي. إذ ربما أعيد تنظيم الأناجيل الأربعة في ذلك الوقت، وتم ترجمة "البيشيتا* Peshitta"، مفتتحين بذلك نشوء وصعود أديسا كمركز وملجأ تلجأ إليه المسيحية الوليدة والمضطهدة. فقد كان تحول أبجر الكبير واحداً من أوائل انتصاراتها؛ لأنها أصبحت مباشرة دولة الديانة في أديسا، وهناك في بلاط الأبجر عاش بارديسان وعمل.

لم يؤثر سقوط العائلة الحاكمة بعد نصف قرن من تحولها إلى المسيحية على وضع أديسا كمركز مسيحي، فقد بقيت كذلك. وفي القرن التالي رحبت بالقديس إفريم Ephrem الذي نقل مدرسته من نصيبين Nisibis إلى هناك. وقد جعل هذا أديسا بمثابة الأم للكنيسة المسيحية السورية في منطقة المشرق السامية، وكند لأنطاكية الإغريقية. لم تتطور أديسا فقط كمركز عظيم للتعليم المسيحي، لكنها صارت مدينة مقدسة "المدينة المباركة" بترجمتها للآثار المقدسة للقديس توماس والقديسين العربيين كوزماس ودميان.

بدأت شخصية أديسا العربية بالذبول مع سقوط الأبجريين. وعلى عكس تدمر والبتراء، المدينتين الأخريين على الأطراف العربية، كانت أديسا مدينة سلوقية وذلك قبل أن يمتلكها العرب أنفسهم عام ١٣٠ق.م، والذي زاد في أهميتها أنها كانت تقع ما بين أعالي الرافدين، المنطقة التي كانت تسود فيها اللغة الثقافية الآرامية وليس العربية. وفي الحقيقة، كانت اللغة السريانية واحدة من اللهجات الآرامية في أديسا تطورت وأصبحت لغة المسيحيين الشرقيين الصريحة. وبالرغم من أن ذكرى الأبجريين ما زالت رطبة حين زارها إجيريا Egeria في نهاية القرن الرابع، فقد بقيت كذلك

---

* البيشيتا Peshitta: هي النسخة السريانية القديمة للإنجيل التي ترجمت في القرن الثاني، وتعني البسيط، العام، للجميع ... - المترجم.

حتى أيام الصليبيين. والقليل ممن زار أديسا وكتب عنها في تلك الفترة تحقق من أنها كانت تحت حكم سلالة عربية جعلت منها المدينة المقدسة للمشرق المسيحي.

القسم الخامس

لم تبرز صورة العرب الذين لعبوا هذا الدور الشامل والمتباين في التاريخ الروماني في صفحات الأدب الكلاسيكي بوضوح كامل. وهذا يعود جزئياً إلى أن العرب ظهروا في ذلك الأدب ليس كشعب واحد ولكن كمجموعات متعددة،والأبعد، أنهم ظهروا على مستويات مختلفة من التطور الثقافي. إضافة إلى تسميتهم بأسماء محددة مختلفة، مما أدى إلى حجب بل وإضفاء الغموض على الوفاق الاثني الحاصل بين هذه المجموعات المختلفة التي اصطلح على تسميتها بأشكال مختلفة. فقد أشير إلى الأعراب من بينهم في الفترة الرومانية بسكان- الخيام الذين شكلوا مجموعة متجانسة ومحددة بشكل جيد، ونتيجة لذلك برزوا بوضوح مقبول. ورغم الصعوبات التي لازمت محاولة تحسس صورة العرب على أساس المعلومات المتوفرة في الأدب الإغريقي- الروماني يمكن سحب النتائج التالية بالعلاقة مع هذه الصورة.

كان موقف المؤرخين والجغرافيين نحو العرب هوالموقف التقليدي المعروف نحو كل الشعوب غير اليونانية والرومانية في الإمبراطورية، الذين اعتبروا شعوباً بربرية. وفي قضية العرب،فإن الفكرة التقليدية عنهم كبرابرة كانت مدعومة بفكرة ازدراء أخرى هي 'النهابون/ الفاتكون'، وهي فكرة ربما عللت جزئياً بحقيقة أن العرب في المشرق لم يكونوا جميعاً مستوطنين حضرياً وأن بعضهم كان بدواً رحلاً ومغيرين. لذلك، من سترابو في القرن الأول قبل الميلاد إلى ديكسيبوس في النصف الثاني من القرن الثالث، كانت الصورة بالكامل تعكس الموقف اليوناني- الروماني الإمبراطوري المتعسف، الذي لم ير في العرب إلا ممثلين للمصطلح/ التعبير الثاني من المصطلحين المترافقين؛ يونان وبرابرة. وربما أوجز موقف الرومان التقليدي نحو العرب بأفضل ما يكون من قبل كاتبين في العصر البيزنطي هما أميانوس مرقيلينوس وزوسيموس اللذين كتبا تقويم العام ٥٠٠م. ساوى الأول، على وجه التقريب، العرب بساكني- الخيام/ السَرقينيين، ولهذا رسم صورته المشهورة السلبية عن العرب؛ وتعامل المؤرخ الثاني بشكل رئيسي مع العرب المستوطنين حضرياً- الإمبراطور فيليب والتدمريين- ورسم صورتهم بألوان داكنة واصفاً إياهم بالعرق الأدنى ethnos cheiriston. وهكذا أصبحت صورة

العرب المقيمين والرحل في المشرق، بين هذين المؤرخين، واضحة إلى حد ما، إذ يبدو أن هذا هو ما كان عليه رأي العالم الوثني القديم . فالأنباط هم المجموعة العربية الوحيدة التي انتزعت إعجاب المؤلفين سترابو وديودوروس الصقلي اللذين تراءى لهما عرب الأنباط كشعب متمدن يمكن الإعجاب بهم وتقديرهم لإسلوب حياتهم.

إن صورة العرب في أعمال أوسيبيوس ليست أفضل كثيراً من رؤيتها في مرآة التأريخ الروماني المدني،وإن تلك الصورة التي قدمها مؤسس التاريخ الكنسي أثرت طبيعياً، وسيطرت في بعض الأحيان على بروزها في الأعمال الكنسية اللاحقة. وهذه الرؤية عن العرب في التاريخ الكنسي المأخوذة من أوسيبيوس يمكن تقديمها بالآتي :

١- انحدر العرب من الأب الأول،ومن الابن الأول لإبراهيم؛ إسماعيل، لذلك فهم إسماعيليون لا يشملهم العهد أو الميثاق. ولذلك فإن انحدارهم من إبراهيم لا يمنحهم مكاناً متميزاً في فصيلة الأمم أو في التدبير الإلهي لشؤون العالم. بالإضافة إلى ذلك، وعلى مدى القرون التي انتهت منذ الزمن الإبراهيمي لم يظهروا أبداً كموحدين خارج المواثيق الإلهية بل كوثنيين صرف ومشركين اكتسبوا ممارسات بغيضة كالتضحية بالإنسان لإرضاء شيطان الشر الذي عبدوه، وكبرابرة بعاداتهم وتقاليدهم المؤذية التي نبذتها صيغ الحياة العليا المتمدنة.

٢- كان دور العرب في العصور المسيحية بعيداً مما يحسد عليه. إضافة إلى إسهام هيرودس الكبير- المدعي بمحاولة قتل الرب - الذي لازم اسمه مذبحة الأبرياء. فقد قدموا أيضاً هيرودس أنتيباس الذي قطع رأس يوحنا المعمدان، وأغريبا الأول الذي حكم بالموت على الحواري جيمس. وبهذا ظهر العرب من خلال الهيروديين الثلاثة في الحوليات السنوية للمسيحية الوليدة كطغاة متوحشين. مع ذلك، شهدت القرون التالية صعود وتطور علوم اللاهوت المسيحي الذي صور فيه العرب فظهروا كزنادقة ومبتدعين كان على أوريجين أن يحضرهم تحت جناح الديانة المسيحية الأرثوذكسية، وقد مثل هذا- نظرة مقتضبة ومحددة المعالم عن العرب منقولة عن الجملة اللاتينية "Arabia haeresium ferax"بلاد العرب؛ بلاد الهرطقة والزندقة والبدع المستمرة.

إن استعادة مكانة صورة العرب في التاريخ الكنسي هي في الحقيقة أنهم ساهموا بتقديم الأبجريين في أديسا والإمبراطور فيليب كأول حكام مسيحيين. إلا أن هذه الاستعادة أُضعفت أو حُجبت بحقيقة الأصل العرقي للأبجريين الذي لم يكن واضح المعالم.

إن صورة العرب في كلا الحالتين السابقتين من تيار التأريخ تعاني مزيداً من التدهور في نهاية هذه الفترة الرومانية مع شيوع استخدام المصطلح/التعبيرسَرقيني لوصف عرب سكان- الخيام،ومن ثم العرب بصورة عامة. فربما كان الرومان من أكثر من ساهموا في انتشار تعبير السَرقينيين. فقد كانت العلاقات العربية الرومانية في القرنين الثاني والثالث علاقات مواجهة مما أدى إلى ضم مباشر لثلاثة ممالك عربية: النبطية، تدمر،وأسروينه. فوضع هذا الضم الرومان وجهاً لوجه مع عالم شبه الجزيرة العربية المزدحم بساكني- الخيام/ السَرقينيين، في حين استتبع سقوط مراكز الحواضر العربية مثل هذه الدرجة المهمة من اتباع أسلوب الحياة الأعرابية المتنقلة أوالبدوية التي تعيش حياة الترحال التي جعلت من معادلة تعبير السَرقينيين وساكني- الخيام أو العرب طبيعية. ومهما يكن خط سير هذه المعادلة، فإن تعبير سَرقيني أصبح معادلاً لتعبير سكان- الخيام والعرب بشكل عام، والذي كان يعني للمؤرخين المدنيين أن تعبير سكان- الخيام هو تعبير ثقافي، وقاطع طريق أو مرتزق بالمعنى السياسي والعسكري. عادل المؤرخون الكنسيون السَرقينيين بالإسماعيليين، ولهذا اكتسب التعبير أبعاداً دلالية جديدة من الإنجيل تقول أن السَرقينيين لم يكونوا فقط سكان- خيام وقاطعي طرق بل أيضاً إسماعيليين، أي إنهم منبوذون ولا يشملهم الميثاق الإلهي. أطبق التماثل بإحكام من خلال أصل المصطلح سَرقيني الذي قال به كتاب الكنيسة اللاهوتيين الأوائل، والموجود في كتابات سانت جيروم والذي قد يعود إلى أوسيبيوس، الذي يزج سارة في ذلك ويكرر عدم وجود مكان لساكني- الخيام وقاطعي الطريق ضمن الميثاق.

كانت هذه هي الصورة التي اتسمت بتعبير سَرقيني ووجدت مجالاً جديداً لشيوعها ربما من خلال الاحترام الذي حظي به سانت جيروم في المملكة المسيحية اللاتينية، وذلك قبل ظهور العرب في شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية في القرنين السابع والثامن. لذا نال التعبيران شيوعهما الواسع في العصور الوسيطة ليس فقط في الشرق اليوناني بل أيضاً في الغرب اللاتيني.

القسم السادس

لم يحيا فاتح تدمر العربية طويلاً بما فيه الكفاية في المشرق ليعيد تنظيم نظام الدفاع الذي احتاج إلى تنظيم صارم بعد تدميره لذلك الحصن الصحراوي. حيث تُرك إذاً هذا التنظيم إلى إمبراطور روماني آخر ليقطف حصاد نصر أورليان على العرب وليكمل تتمة عمل فاتحها.

بعد تهدئة العرب الذين ثاروا مرة أخرى عام ٢٩٠م، انكب دقلديانوس على هدف معالجة ما لم يكمله أورليان على الجبهة الشرقية. فبدلاً من إحياء مملكة عربية تابعة في تدمر قام ببناء ليس فقط الطريق الدقلدياني ولكن ببناء ما اصطلح على تسميته بالتخوم الدقلديانية في المشرق. فوضعت فكرة التخوم الآن موضع التنفيذ على الحدود العربية بكاملها من الفرات إلى البحر الأحمر. وشكلت عسكرياً الضم الروماني للممالك العربية التابعة وأشارت إلى أن روما قد أخذت على عاتقها واجبات الدفاع المباشرة، ملتزمة بمواجهة كاملة ومباشرة مع عالم شبه الجزيرة العربية. وبفعل ذلك، أتم دقلديانوس ليس فقط ما لم يتمه أورليان والفلافيين بل أكمل أيضاً عمل تراجان الذي بنى الطريق الحديث عبر تريانا Via Nova Traiana. فقد بنى دقلديانوس الطريق الذي حمل اسمه، طريق دقلديانوس الذي يمر من دمشق إلى صوراSura على الفرات مخترقاً تدمر، منجزاً توسعة النظام الدفاعي للمنطقة العسكرية المارة من البتراء بالقرب من خليج العقبة حتى صورا على الفرات، ليصبح القسم العربي من التخوم الدقلديانية في المشرق حداً من حدود التعايش العربي- الروماني على مدى القرون الثلاثة التالية:

أثار بناء نظام الدفاع للتخوم الدقلديانية السؤال عن توظيف دقلديانوس للأقاليم العربية في المشرق لحمايتها من عرب شبه الجزيرة إذ زودت المواقع العسكرية لهذه التخوم لحمايتها بالجند من قاطني المنطقة، وقد جرى دراسة الكثير من الوحدات العسكرية، في الوثيقة المهمة / لائحة المقامات، التي أطلق عليها تسمية؛ الوحدات العسكرية من أهل البلاد الأصليين، التي قامت بتأمين حماية هذه المواقع على أطراف الأقاليم المشرقية، إضافة إلى أن إسهامات هذه الوحدات العربية تعود إلى فترة دقلديانوس الذي لم يبن فقط خطوط الدفاع الثابتة للتخوم بل زود مواقعها بالجنود العرب من أهل البلاد الأصليين.

بالإضافة إلى ما قيل عن العرب في قسم سابق من هذا الكتاب، فإن طبيعة ومدى إسهاماتهم في الدفاع عن المشرق يمكن وصفها بالتالي:

١- بالرغم من أن بعض هذه الوحدات العسكرية وصفت بالأجنحة، كتائب المشاة، ووحدات الإبل المحاربة (الهجانة)، فإن الغالبية العظمى من هذه الوحدات كانت من وحدات الفرسان الخيالة والفرسان حملة الرايات،ومرتبة الفرسان الرفيعة المستوى: كانوا غالباً من الرماة الذين عكسوا أهمية الحصان العربي والقوس والملائمات التي مكنت روما باستراتيجيتها من رؤية أهمية هذه العوامل في سلاح الدروع ضد خصمها الرئيسي في الشرق- أولاً: البارثيون؛ ومن ثم الساسانيون.

٢- يمكن قياس مدى هذا الإسهام بدقة إلى حد ما بأعداد هذه الوحدات في كل إقليم من أقاليم المشرق، إذ أن غالبية هذه الوحدات كانت من الفرسان الخيالة أو من الفرسان الخيالة الرماة: (أ) الوحدات التي من المؤكد أنها كانت عربية: ثلاث من هذه الوحدات كانت تعسكر على التخوم المصرية، واحدة في طيبة، واحدة في فلسطين، واحدة في العربية(عرابيا)، واثنتين في فينيقيا ،وواحدة فيما بين النهرين؛ (ب) الوحدات التي من المحتمل أنها كانت عربية: تسع وحدات كانت تعسكر في طيبة، ثمان وحدات في فلسطين،أربع وحدات في عرابيا، سبع في فينيقيا، خمس وحدات في سوريا، وحدة واحدة في الفرات، خمس في أسروينه، وأربع فيما بين النهرين.

يمكن وصف هذه الوحدات التي وردت في الوثيقة المهمة كقوة عربية عاملة في خدمة روما. انطوى حضور العرب على أن روما استطاعت بعد أربعة قرون من حل المشكلة العربية ليس فقط من خلال الضم المباشر ولكن، مما كان أهم؛ بتسخير القوة العربية العاملة في المشرق وامتصاصها ضمن الجيش الروماني لمحاربة حروبها الخاصة ضد عرب شبه الجزيرة والأعداء الآخرين في الغرب كما في الشرق. فقد تم ترويض هؤلاء الخصوم السابقين كي يظهروا كرومان جيدين يقاتلون حروب إمبراطوريتهم.

استهلت الفترة الرومانية بدايتها مع بومبي وانتهت في الحقيقة بدقلديانوس. إذ شكل إعادة تنظيمه للمشرق معلماً في تاريخ تلك المنطقة وفي العلاقات العربية - الرومانية. فالميراث المستمر الذي تركه يعتبر علامة مؤثرة في نظام الدفاع الثابت وحضور الأسلحة الرومانية الدائم في المشرق- التخوم الدقلديانية.

في الوقت الذي أغلق به دقلديانوس الفترة الرومانية ، قام أيضاً بفتح فترة جديدة في تاريخ العلاقات العربية - الرومانية. فدخل في مرحلة جديدة من هذه العلاقات استقرت لمدة ثلاثة قرون تقريباً حتى وصلت إلى مرحلة إغلاقها بالفتح العربي في القرن السابع. وتعتبر التخوم الدقلديانية مفتاحاً لفهم الكثير عن العلاقات العربية - البيزنطية في هذه الفترة الطويلة، وأن تاريخ هذه العلاقات يدور، في الحقيقة، حول هذه التخوم.

أورث دقلديانوس لخلفائه في القرن الرابع جبهة مستقرة من خلال بناء خطوط دفاعها وتسخير عرب أقاليم المشرق لخدمة روما. وقد تبدلت المشكلة العربية بعده في الوصف؛ إذ لم تعد مشكلة عرب المشرق، لكنها أصبحت مشكلة عرب شبه الجزيرة العربية الذين سكنوا خارج التخوم والحدود، وهي مشكلة حلت بطريقة كافية من خلال تبني وتحسين نظام الاتحادات أو الأحلاف والفيلارخيات على مر القرون الثلاثة من الفترة البيزنطية.



الخـاتمة

كان عليَ أن اعتمد عند تجميع المعلومات للفصول الثلاثة الأولى من الجزء الأول من الكتاب على أعمال أساسية تحتوي على النتائج التي اتفق عليها التحصيل العلمي المدرسي على مدى هذه القرون الأربعة من التاريخ الروماني. علماً أن الصورة البانورامية لهذا التاريخ خلال هذه القرون الأربعة كانت رحبة الاتساع. وكان من المحتم أن يتسرب ضمن هذا التقديم بعض الأخطاء أو عدم الدقة وبعض المغالاة التي دخلت خلال هذا التجميع وتشكيل العموميات. لذلك، فأنا ممتن على الخصوص للسيد شيروين وايت المؤرخ الطليعي في التاريخ الروماني حيث تقع خبرته ودرايته في هذه الفترة على قراءته لمخطوطة هذا الكتاب في مجملها وتعقيباته التفصيلية على هذه الفصول الثلاثة. فقمت بوضع بعض هذه التعقيبات والملاحظات في متن الكتاب، لكن بعضها الآخر يحتاج لمعالجة منفصلة. وتتعامل غالبية هذه التعقيبات والملاحظات مع التضمينات الممكنة لبعض الجمل والعبارات أو البيانات، ومع المغزى والمعنى الضمنيين لبعض النصوص التي يمكن أن تأخذ القارئ أحياناً إلى استخلاص نتائج لم يكن المؤلف يعنيها. وكما قال السيد شيروين وايت، "إنها على الأغلب مسألة تأكيد وتركيز"، لكنها تبقى أفكاراً مهمة في تقديم تاريخي من هذا النوع.

الفصل الأول

إن هدفي في هذا الفصل هو الإشارة إلى حقيقة وواقعية الحضور العربي في المشرق ولفك وفصل منطقة العرب عن المنطقة السامية العامة التي تم الخلط بها. لم أرغب بأن أنشغل في أبحاث تفصيلية عن تاريخ الكيانات العربية التي كان يحكمها أمراء في القرن الأول قبل الميلاد، بل رغبت فقط في إخراج المعنى من المراجع والأدلة المتعلقة بهم في المصادر، وربط هذه المراجع والإشارات بفكرة مهمة بدلاً من تركها كمعلومات بدون سياق تاريخي عظيم الشأن.

١- أشارالسيد شيروين وايت إلى وجود مكان للإيضاح عند مناقشة الجغرافيا السياسية للمنطقة "... من خلال إبراز حقيقة أن القلب النشط للمدن الهلينية في

الشمال؛ لاوديكا(اللاذقية)، سيليوقيا(سلوقية)، أفاميا وما يتبعها، وأنطاكية،..الخ، بقيت تحت حكم السلوقيين حتى النهاية.كذلك الأمر بالنسبة للمدن الفينيقية الساحلية، بينما وسُعت يهودا من قبل الإسكندر لتشكل حاجزاً منيعاً لأكثر منطقة مزدهرة في جنوب سورية".

من المهم أن نتذكر ذلك؛ وإلا فإن اتساع وواقعية الحضور العربي في المشرق ربما بولغ به بإفراط من خلال نسيان أن هذا الحضور امتد إلى المدن الهلينية والفينيقية وإلى يهودا.

٢- كما أشار السيد شيروين وايت أيضاً إلى أن الأسر العربية الحاكمة المختلفة التي ظهرت في المشرق وشكلت تهديداً للمراكز اليونانية الحضرية استطاعت القيام بدورها لفترة قصيرة فقط ، لأن هذه المراكز الحضرية، اعتباراً من ٨٤ إلى ٦٩ ق.م، كانت محمية بواسطة التجرانيين من الجيش الأرميني الذي كان يحتل كامل سورية وقيليقيا Cilicia شمال يهودا.

مع ذلك، ولفترة قصيرة امتدت بين عام ٦٩ ق.م ووصول بومبي في ٦٤/٦٣ ق.م ظهرت قوة هذه الأسر الحاكمة، إذ لو أن بومبي لم يصل إلى المنطقة لكان باستطاعتهم تعضيد دعائم سلطانهم على المنطقة وتقويتها .وبالحديث عن الحضور العربي في المشرق، تنسحب علامة فارقة بين الحضور العرقي والديموغرافي وبين الحضور العسكري. فقد كان الحضور العرقي/ الديموغرافي قديماً ومنتشراً في جميع أطراف الأقاليم الشرقية، بينما كان الحضور العسكري حديثاً في حالة الأسر الحاكمة في البوادي الشرقية.أما في حالة الأنباط ،فقد اتحد هذان الحضوران في واحد؛ إذ كانت النبطية في الجنوب مملكة عربية عاشت أسرتها الحاكمة لقرون واستقر عربها في منطقة واسعة من المشرق، وذلك قبل ظهور بومبي في المنطقة بوقت طويل. وكان هذا محققاً أيضاً إلى حد ما في أديسا وعند عرب أسروينه في الشمال. لذا كان العرب يسيطرون سكانياً وسياسياً على أجزاء رئيسية من منطقة المشرق.

٣- كذلك أثار السيد وايت مسألة الأدوميين - الذين تهودوا بالكامل، حسبما أورده سترابو- فيما إذا عدوا عرباً.

إن رؤيتي عن الأدوميين ليست مختلفة عن رؤية سترابو، فبعد فحص وتدقيق مسألة الاختلاط والتشابه الثقافي بشكل واسع على مدى اتساع القرن الرابع في كتابي

"بيزنطة والعرب في القرن الرابع"، أميل إلى الاعتقاد أن سترابو كان مبالغاً (انظر الفصل الأول، الملاحظتين: الأولى هي آخر ملاحظة من الفقرة رقم (١)، القسم الثالث، والثانية هي أول ملاحظة من (أولاً) في القسم الرابع). إذ لو أن الأدوميين في العصر البيزنطي كانوا من قبيلة جذامة العربية Judam لكان هذا بمثابة رصاصة الرحمة على رؤية سترابو/ سترابون بأن الأدوميين بأسرهم كانوا متهودين.

٤- لا يجب الاستنتاج من روايتي عن فترة استقرار نظام بومبي في الجزء الثالث من الكتاب(التأليف والعرض) من أن المواجهة بين بومبي والأسر العربية الحاكمة كانت مواجهة دموية. حيث واجه الجانبان بعضهما في مناسبة عسكرية، إلا أن بومبي فرقهم وبالتالي أخضعهم. لذا، فإن كلمة"المواجهة"كما استعملت في التأليف والتركيب والعرض وفي مواضع أخرى لوصف العلاقات بين بومبي والأسر العربية الحاكمة يجب ألا تعني عملاً عسكرياً. وما قاله السيد شيروين وايت:" ...لم يكن هناك قتال في سورية ماعدا القدس... إذ كان جوهر استقرار نظام بومبي من وجهة نظرك هو استعادة التجمعات اليونانية والآرامية للحكم الذاتي تحت سلطة الحكومة الرومانية ولقطع الطريق أمام التسلل العربي - اليهودي".

٥- تعد فترة استقرار نظام بومبي، حسبما جاء في" تاريخ كمبريدج القديم"، العدد التاسع، الصفحات٣٨١- ٣٨٢، من أن بومبي أنجز استقراراً إقليمياً في آسيا الصغرى في ربيع عام ٦٤ ق.م في حين "أن بقية عام ٦٤ ق.م وقسماً من العام ٦٣ ق.م استنفذ بإعادة النظام والقانون في سورية". فقد أشار وايت إلى أن تاريخ فترة الاستقرار هذه في سورية كانت في ربيع عام ٦٣ ق.م.

حسبت الفترة من بداية استقرار نظام بومبي في عام ٦٤ ق.م حتى معركة اليرموك في عام ٦٣٦ م بسبعمائة سنة بالضبط! لذلك اعتمدتُ عام ٦٣ ق.م كعام للاستقرار في سورية واحتفظت بالعام ٦٤ ق.م كبداية لهذا الاستقرار عند الحديث عن العلاقات العربية - الرومانية على مدى سبعمائة سنة انتهت بمعركة اليرموك ٦٣٦م.

٦- لتساؤلي عن عدد الجحافل ورجال الجند التي كانت مع بومبي في سورية، وصل شيروين وايت إلى الملاحظات التالية:يمكن الحدس فقط بعدد الفيالق ورجال الجيش الذين قادهم بومبي في الشرق بطريقة الاستدلال غير المباشر من مجموع ما

وزعه من الغنائم على كل شخص أو جندي، فكان المجموع العام حوالي ٤٥٠٠٠؛ مُشكلةً تسعة فيالق إن كانت بقوتها الكاملة، وربما قاد بومبي كل هذا الحشد في حملته على بونتوس الواقعة على البحر الأسود في آسيا الصغرى ضد الميثريديت Mithridates. إذ لا يوجد ما يشير إلى ما أخذه معه في حملته إلى سورية، التي ركز فيها بالتأكيد قسماً كبيراً من هذا الحشد لأن معظم ضباطه ومفوضيه كانوا معه. لكن ربما تتطلب الحكمة بأن يترك ثلاثة من فيالقه التسعة في بونتوس، لأن الميثريديت مازالوا بكثرة في كريميا Crimea.

اعتماداً على هذه الرؤية، فقد كان مع بومبي في سورية خمسة فيالق بمجموع يساوي تقريباً ثلاثين ألفاً من الجند.

الفصل الثاني

١- كتب شيروين وايت عن تدمر قائلاً: "...لا يوجد شك في أن تدمر كانت بانتظام ضمن الولاية الرومانية في القرنيين الميلاديين الأول والثاني".

ومع أني أشاطر هذا الرأي: لم أبتغ أن يكون القسم الذي يتحدث عن تدمر في هذا الفصل أن يُفهم بخلاف ذلك. بالإضافة إلى ما يقوله السيد شيروين وايت عن عادات وتقاليد الموقع الروماني في تدمر وعن الحاميات النظامية المتمركزة هناك، إذ أسلفت مطابقة في الرأي في مخطوطة كتابي"بيزنطة والعرب في القرن الرابع" ،في الملاحظة الهامشية رقم ٦٥ من الفصل الذي يتحدث عن مخطوط نمارا، الذي كتبت فيه عن تدمر في الفترة الرومانية بأن"عبارة بلينوس الكبير تقول أن تدمر كانت دولة مستقلة عازلة تمتص الصدمات حين وقوعها بين القوتين العظميين؛ الرومان والفرس (انظر زوسيموس في التاريخ الحديث، الفصل الخامس)، إذ لا يمكن رؤية هذا لأنه يشكل مفارقة تاريخية". ويؤكد القسم الأول من بداية عنوان- التدمريون إلى نهاية القسم، من الفصل الثاني من هذا الكتاب على دور تدمر كقوة سلام مواجهة للعرب المجاورين لها في شبه الجزيرة العربية. حيث أخذت تدمر دور المواجهة مع الفرس فقط خلال حكم أذينة، وبهذا وسعت دورها لقدر أكبر من التعامل مع عرب شبه الجزيرة العربية المجاورين.

٢- قدم السيد شيروين وايت إضافة مفيدة لروايتي عن الأفواج العربية الاحتياطية في الجيش الإمبراطوري فربطتها مع الإثبات الذي ساقته لائحة المقامات في تأريخها للأزمنة المتأخرة. وقد لفت انتباهي إلى لائحة الكتائب والأجنحة العسكرية النظامية الاحتياطية خلال الدور الإمبراطوري الروماني المبكر، وذلك حسبما ورد في كتاب G.L. Cheesman " الاحتياط في الجيش الإمبراطوري الروماني" الذي صدر في أوكسفورد عام ١٩١٤م،الصفحات١٨١-١٨٢، وهو كتاب قديم لم يعمر طويلاً لقطف ثماره. حيث تعتبر اللائحة ترحيباً إضافياً إلى المقال الذي يتحدث عن دورالرماة في الفترة الرومانية(انظر الملاحظة في نهاية الفقرة رقم (١)، القسم الثالث).

٣- أشار شيروين وايت إلى ما يتعلق بإعادة دقلديانوس تنظيم الأطراف والتخوم المشرقية (انظر القسم الثاني من هذا الفصل) إلى أن الأطراف والتخوم الواقعة بين الرافدين تعود بوضعها إلى سيفيروس الذي ربما سار على نفس الخطة التي بدأها تراجان.

في ظاهر الأمر، يمكن أن تنطوي روايتي على أن دجلة لم يتم الوصول إليه قبل دقلديانوس أو أن ما بين الرافدين لم يتم السيطرة عليه قبله أو أن الأباطرة السابقون لم يؤسسوا تخوم وأطراف إمبراطوريتهم في المنطقة. وهذا تضمين لا يجب أن يفهم من سياق روايتي. إذ كنت أفكر، عند استخدام تعبير التخوم المشرقية والحديث عن دقلديانوس، ليس فقط في قطاع ما بين النهرين بل في التخوم المشرقية بكاملها من دجلة حتى البحر الأحمر. فقد كرست قسماً خاصاً للحديث عن التخوم المشرقية في هذا الاتجاه في كتابي"بيزنطة والعرب في القرن الرابع"؛ انظر"العرب على طول التخوم والأطراف المشرقية". ففي قياس متشابه لطريق دقلديانا، أسمي هذه التخوم المشرقية التي تبدأ من دجلة حتى البحر الأحمر بتخوم دقلديانوس أوالتخوم الدقلديانية : انظر القسم السادس من التأليف والعرض. فمثل هذا التعبير ضروري للإشارة إلى التخوم والحدود الطويلة - السورية وما بين النهرين- التي تراءت لدقلديانوس، الذي أكمل العمل الذي بدأه الأباطرة السابقين كما تم شرحه في التأليف والعرض.

الفصل الثالث

١- اقترح السيد وايت أن سبتيميوس سيفيروس لم يكن فينيقياً بعد الآن أكثر مما كان تراجان أو هادريان أيبيريين أو كلتيين* كونهم منحدرين من إسبانيا.

أميل إلى الاعتقاد أن سبتيميوس ربما كان يعتقد أنه من خلفية عرقية إفريقية أكثر مما كان تراجان وهادريان يعتقدان أنهما يأتيان من خلفية أيبيرية. فقد ضمنتُ تعبير الفينيقيين بين علامتي اقتباس كي أسلط الضوء على المعنى الضعيف الذي يجب أن يفهم من التعبير. كما أن شيروين وايت يعتقد أن أنجال سبتيميوس "لا يمكن أن يدعون حقيقة أنصاف- عرب"، لأنهم من، المؤكد، تعلموا في مدارس رومانية، إلا أن أمهم جوليا دومنا كانت سيدة عربية من حمص، وفي هذا المعنى يمكن وصفهم كأنصاف- عرب. وقد يكون وصفهم بعرب جزئياً أفضل من الوصف الذي اقترحه السيد وايت.

٢- تميل روايتي عن المكون العربي المتمثل بتدمر تحت إمرة أذينة وزنوبيا في القرن الثالث إلى تجاهل خلفية استمرار الحرب الأهلية في أواسط الخمسين سنة وما لها من علاقة بالساسانيين.

عندما كتبت هذا الفصل عن العامل العربي افترضت أن الأزمة الإمبراطورية التي حدثت في القرن الثالث، والتي كانت معروفة جيداً من قبل المؤرخين الرومان، ستكون حاضرة باستمرار في خلفية وذاكرة القارئ، لذلك فقد ركزت على المكون العربي. إلا أنه يجب الاحتفاظ بالأزمة الإمبراطورية والساسانيين في الذاكرة، لأنه على هذه الخلفية فقط يمكن فهم العامل العربي بشكل كامل من خلالهما.

٣- ذكرني السيد شيروين وايت بأن الجيش الروماني الجبار، وليس جيش تدمر، هو الذي حافظ على السلام في سورية في الأوقات العادية، وأن انسحابه جعل من المرحلة التدمرية إمكانية حدوثها.

من المؤكد أن هذا حقيقي، إلا أنني عندما كتبت عن دور تدمر في الدفاع عن المشرق كنت أفكر فقط في فترة أذينة. وعندما ضَمنتُ فترات أخرى كنت أفكر في دفاع

---

* الكلتيون/السلتيون هم مجموعات من الشعوب المحاربة التي قطنت أجزاءً من أوربا وآسيا الصغرى قبل العصور الرومانية- المترجم.

تدمر عن الحدود الرومانية المستمرة مع شبه الجزيرة العربية، وليس مع إيران ، سواء كانوا بارثيين أو ساسانيين.

٤- روايتي عن تحركات أذينة العسكرية في الفصل الثالث - القسم الثالث - أذينة، في هذا الكتاب قد تعطي الانطباع بأن"طريق الصحراء إلى تدمركان طريقاً عسكرياً".

لم أشأ أن أُضمن هذا. فقد كنت أتحدث فقط بتعابير عامة عن منطقة عملياته؛ كانت المنطقة التي حرك جيوشه فيها هي تدمر ومنطقة الفرات والطريق إلى طيسيفون* Ctesiphon نفسها، والتي كانت جميعها مناطق جافة، وقد كان ذلك يعتلج في ذهني عندما قلت أن أذينه كان يقوم بعملياته العسكرية في منطقة صحراوية جافة كان متآلفاً معها، أوعندما قلت أن"الصحراء كانت ميدان عملياته العسكرية ضد شابور الفارسي"، انظر الفصل الثالث - القسم الثالث - أذينة، في هذا الكتاب.

* ستيسيفون/طيسفون: كانت تقع على نهر دجلة بأقرب نقطة من نهر الفرات بأرض العراق حالياً (المدائن)، وتبعد حوالي ١٨ كم إلى الشرق من بغداد. وكانت عاصمة الفرس التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن- المترجم.

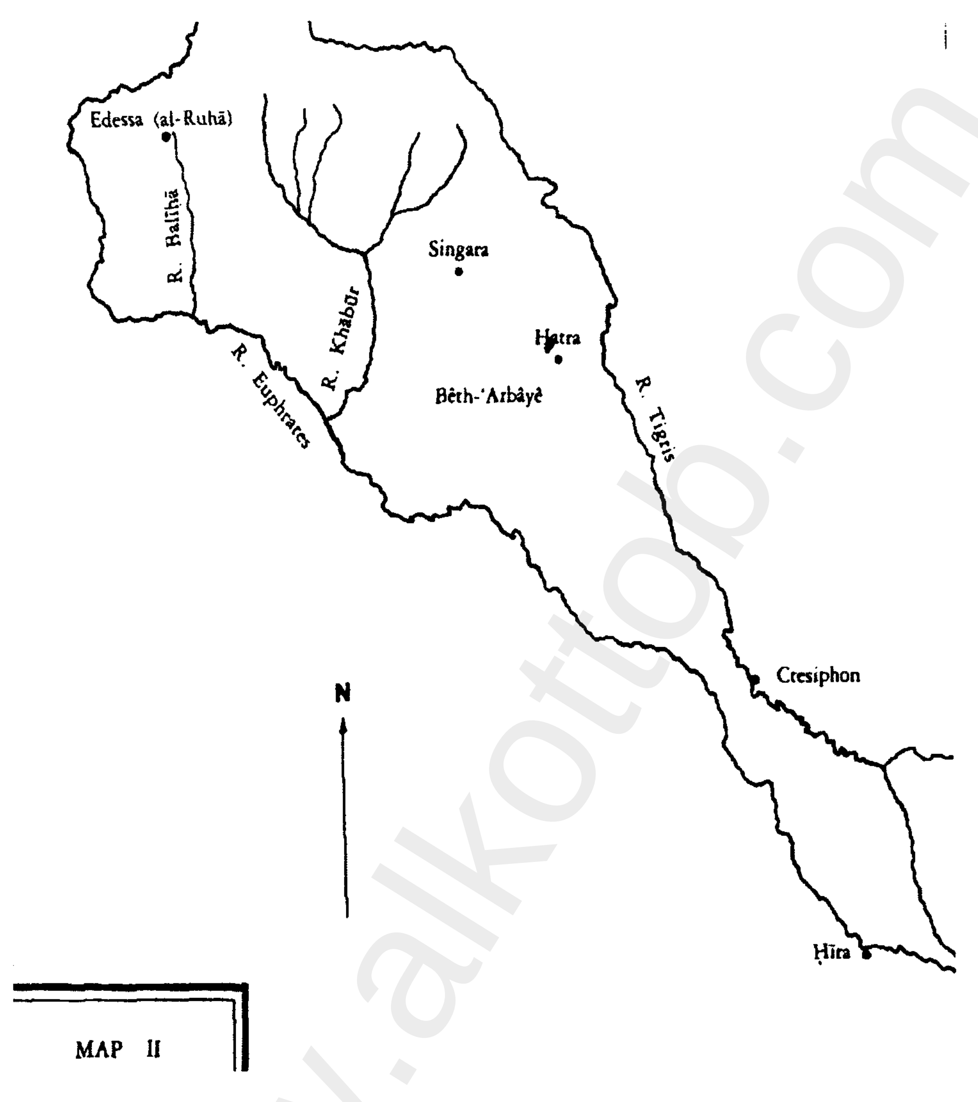


الخـرائـط

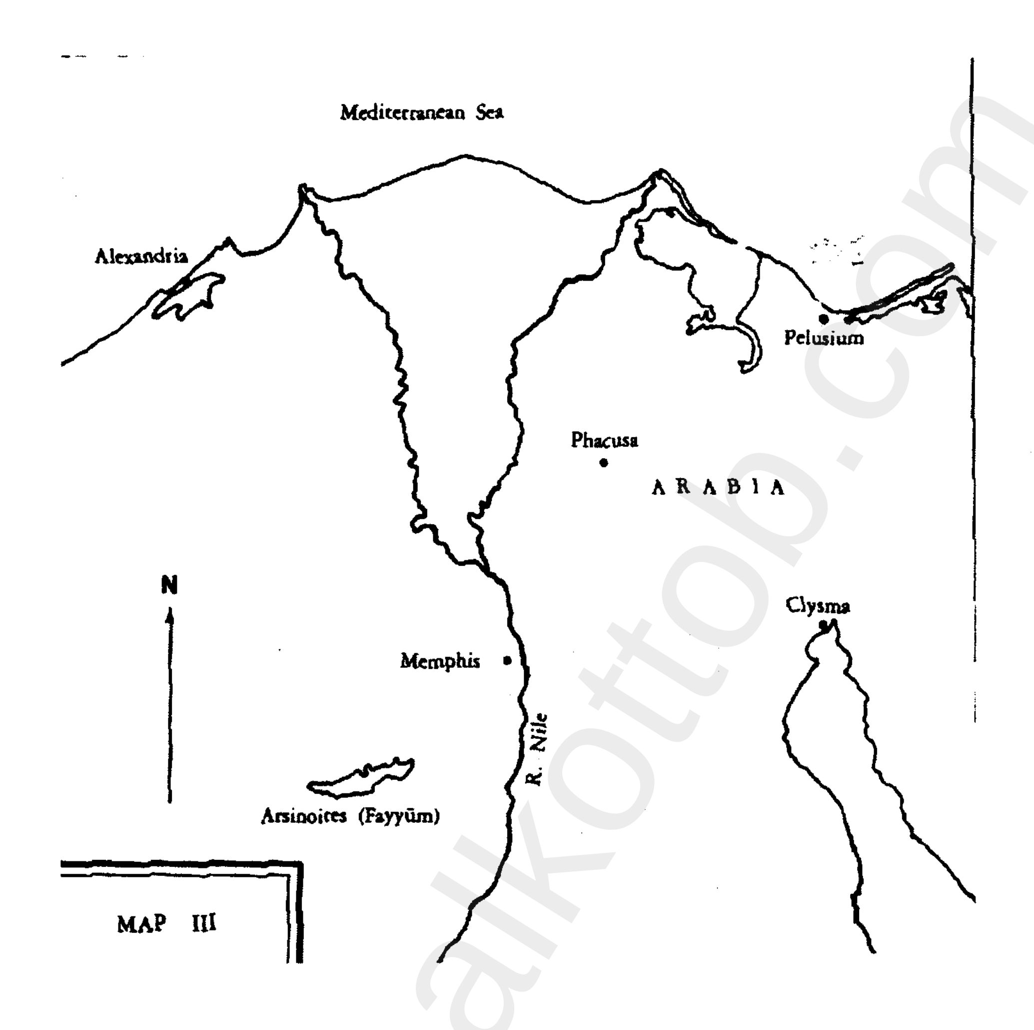




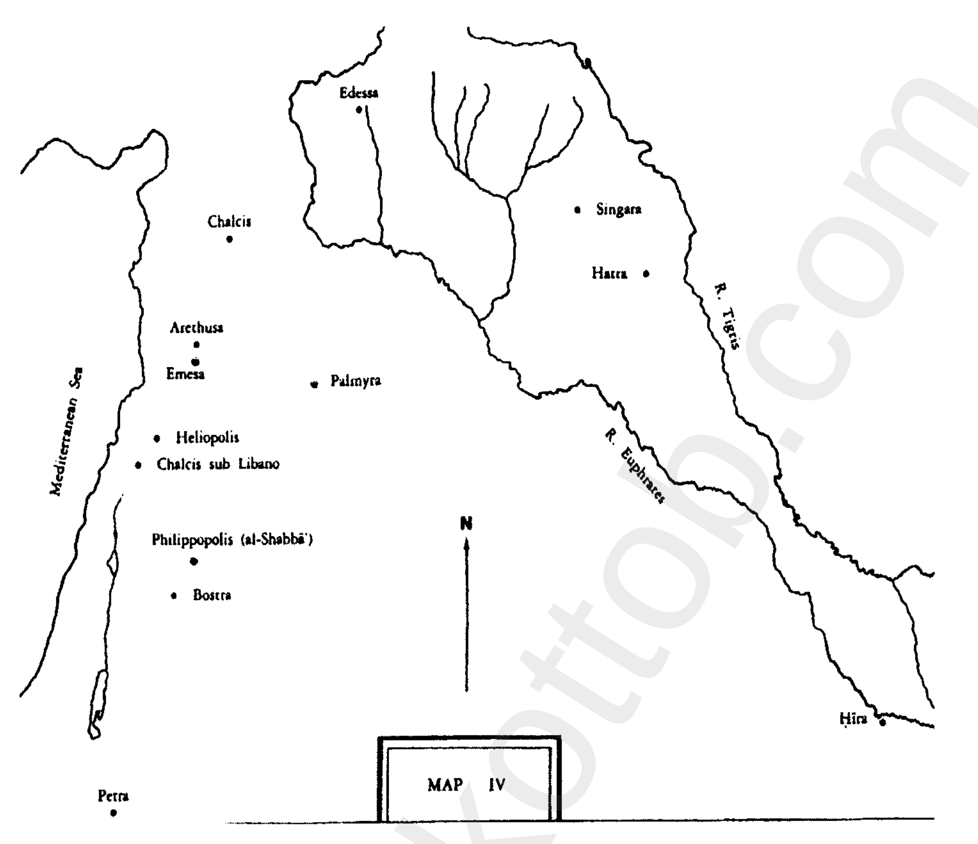
توضح الخريطة الأولى الحضور العربي في سورية، من طوروس إلى سيناء، في القرن الأول قبل الميلاد. تمثل هذا الحضور بعرب "عزيز" في منطقة أنطاكية؛ هؤلاء الكيدامنوس، جامباروس، وثيميلا في خلقيس؛ الحضور العربي للسمسي جيراموسيين في حمص والرستن؛ التدمريون؛ الأتوريون في لبنان وفي شرق لبنان؛ أنباط البتراء؛ الأدوميون في جنوب فلسطين. كتبت أسماء المدن العربية أو المدن المرتبطة مع العرب بالأحرف الكبيرة على الخريطة.



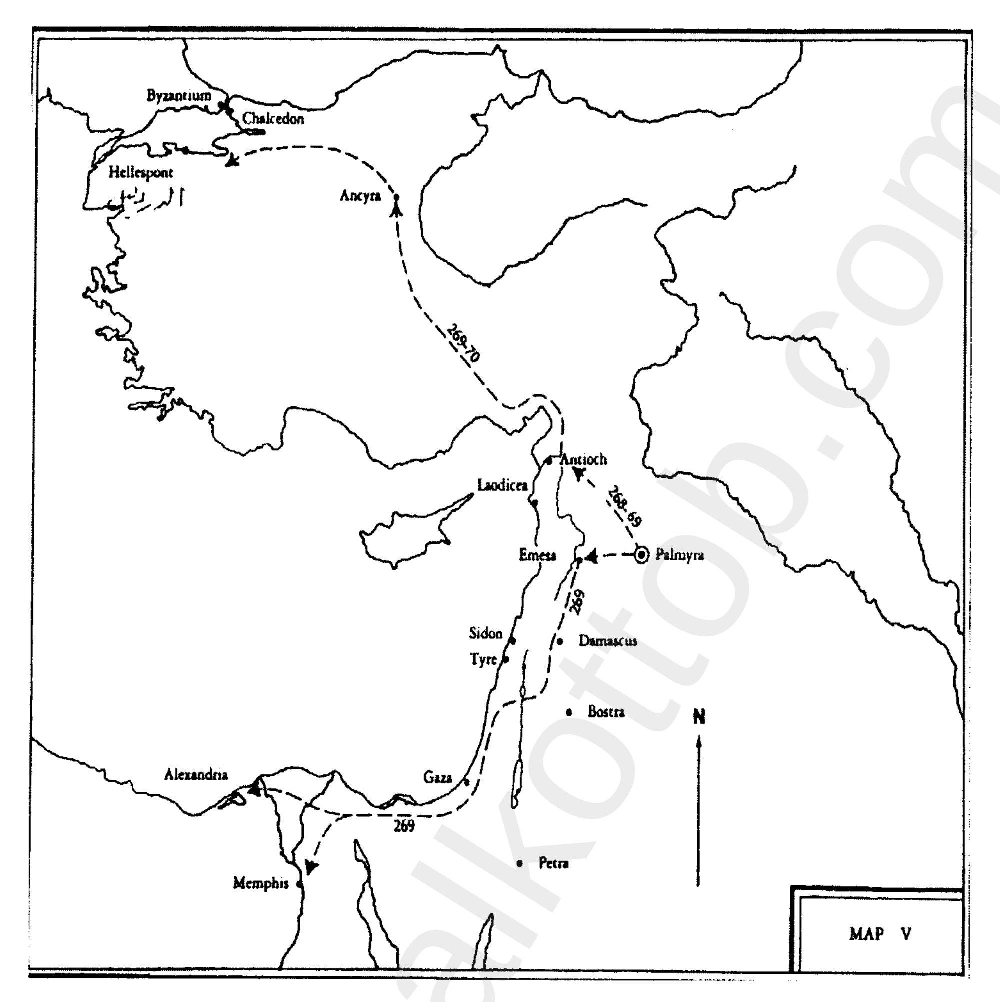
توضح الخريطة الثانية الحضور العربي فيما بين النهرين في كلا الجزأين اللذين بُسط عليهما النفوذين الروماني والفارسي. يتمثل الحضور العربي في البلاد التي بسط عليها النفوذ الروماني بأديسا، مدينة الأبجريين، والمنطقة حولها التي عاش فيها الأسرونيين العرب، وتمثل الحضورالعربي في البلاد التي بسط الفرس نفوذهم عليها بالحيرة الواقعة في أسفل الفرات. بين الحضورين وفي منطقة المواجهة الرومانية - الفارسية تقع مدينة حترا وإلى شمالها الغربي تقع مدينة سينجارا، وفي محيطها سكن البريتافيون العرب. وبين الخابور ودجلة يقع بيت- عربايه (بيت- العربية)، وهي"عرابيا/ ولاية العربية بين النهرين"، وهي عرابيا / العربية التي يشير لها المؤلفون الإغريق واللاتين عندما يتحدثون عن منطقة ما بين النهرين.



توضح الخريطة الثالثة الحضور العربي في مصر، في المنطقة التي سكنها العرب بين نهر النيل والبحر الأحمر وفي الأقصر. تظهر الخريطة منطقتين مهمتين للحضور العربي في الشمال، ليس بعيداً عن دلتا النيل، وهي واحات الفيوم (أرسينواتس) و" عرابيا في مصر"، الإسم البطليمي القديم المسمى عرابيا، التي كانت عاصمتها فاقوس (فاكوسة). وللتعرف على تيندونياس في اليوميات التاريخية لمؤلفه John of Nikiou ، انظر الملاحظة في الفقرة رقم (١) تحت عنوان (التخوم المصرية) في الفلصل الخامس، في لائحة المقامات ٣٢٨، المعروفة ببعض الثموديين والتي اعتبرت لذلك مركزاً عربياً كانت إلى الشمال من مدينة ممفيس على الطريق إلى فاقوس.



توضح الخريطة الرابعة المراكز الحضرية العربية في المشرق خلال الفترة الرومانية. فهذه إما منشآت عربية، أو مقرات للأسر العربية الحاكمة، أو مراكز مرتبطة مع العرب. فالمدن الثلاثية المهمة على الخصوص هي- حمص، شهبا، وتدمر- المدن على التتابع موطن الإمبراطورات من الأسرة السيفيرانية، الإمبراطور فيليب العربي، واذينه وزنوبيا ، جميعهم كانوا شخصيات تاريخية في القرن الثالث الميلادي، عندما أصبح العرب مكوناً وعاملاً مهماً في التاريخ الروماني. امتد قوس المدن العربية نحو النصف الشرقي من الهلال الخصيب الذي كان تحت نفوذ الفرس سواء كانوا ساسانيين أو بارثينيين. تظهر الخريطة مدينتي سينجارا وحترا لأنهما كانتا تشكلان منطقة المواجهة بين الرومان والفرس، كذلك تظهر مدينة الحيرة على أسفل الفرات في موقعها المهم في التاريخ الروماني المنبسط على المشرق. وأكثر المنشآت العربية شهرة كمدينتي قيصرية الهيرودية وتيبيرياس (طبرية) تركا دون إظهارهما على الخريطة. عن المدن العربية المهمة للعلاقات العربية- الرومانية في الجزيرة العربية كدومة (دومة - الجندل) والحجر(مدائن - صالح)، انظر الخريطة الثالثة في كتابي"بيزنطة والعرب في القرن الرابع".



توضح الخريطة الخامسة درجة الحضور التدمري في أجزاء المشرق خلال حكم زنوبيا، حينما وصل التسلح العربي إلى الإسكندرية في إفريقيا والممر المائي الذي يفصل أوربا عن آسيا، مدينة Hellespont. يمثل هذا التوسع العسكري في القرن الثالث تقدماً على ذلك في القرن الأول قبل الميلاد الذي تغلغل فيه الحضور العربي العسكري في منطقة البحر الأبيض المتوسط وكان في النهاية متوقفاً في سورية، من طوروس إلى سيناء. امتد الحضور العربي تحت حكم زنوبيا ليشمل آسيا الصغرى ومصر وكان هذا التغلغل هو الأبعد الذي أثر به العرب قبل ظهور الإسلام. انظر H.Matting في "تاريخ كمريدج القديم"، المجلد الثاني عشر، الصفحات ٣٠١ - ٣٠٢، لمعرفة الحدود التي وصل إليها التسلح التدمري تحت حكم زنوبيا.



فهرس المراجع والمصادر

وهـي إسـهام بـسيط للمترجـم بترتيبـها بنهايـة الكتـاب بالأسمـاء الأجنبيـة كمـا أوردها الكاتب في الملاحظات الهامشية.

اعتمد الترقيم التسلسلي للملاحظات الهامـشية هنـا لكل فـصل وملحـق ومقدمـة على حدة، وليس الترقيم لكل صفحة، لذا يرجى الانتباه.

أرقام الملاحظات الهامشية كما وردت في فصول الكتاب:

Preface مقدمة المؤلف

1- note 1: (BAFOC) Byzantium and the Arabs in Fourth Century, Irfan Shahid

Introduction مقدمة الكتاب

1- note 8 : The Harvest of Hellenism, F.E.Peters, New York 1971
2 - note 9 : M. Fakhry, A History of Islamic Philosophy, New York, 1971.
3 - note 9 : G.W. Bowersock, Roman Arabia, Cambridge, Mass., 1983.

الفصل الأول

1- note 1 : Strabo (the principal Greek historian), Geography.
2- note 1:R. Dussaud, La pénétration des Arabes en Syrie avant L`Islam, Paris,1955.
3 - note 1: F. Altheim and stiehl, eds., Die Araber in der alten Welt, Berlin, 1964.
4 - note 1: Carlos Chad, Les dynastes d`Emèse, Beirut, 1972.
5 - note 1: A.H.M. Jones, Cities of the eastern Roman Provinces, 2nd rev. ed. Oxford, 1971.It is cited as Cities in" Rome and the Arabs".
6 - note 1: the Mommsen`s old work,The Provinces of the Roman Empire, trans.W.P. Dickens, New York, 1887.
7 - note 3: Pliny, Natural History.

8 - note 4: G.Downey, "the Occupation of Syria by the Rom-ans", transactions and proceeding of the American Philological Association, 62 (1951).

9 - note 7: A. Bellinger, "The End of the Seleucids,Transactions of the Connecicut Academy of the Arts and Sciences (New Haven), 39(june 1949).

10 - note 9: A.H.M.Jones`s article "The Urbanization of the Ituraean Principality", in JRS, 21(1931).

11- note 11: M.Avi -Yonah,The Holy Land:A Historical Geog-raphy (Grand Rapids, Michigan, 1966).

12 - note 14: Irfan Shahid, "Byzantium and Kinda",in BZ, 53 (1960).

13 - note 15: Tacitus`s work, the Germania

14 - note 17: Philip.K. Hitti, History of Syria (London 1951).

15 - note 17: Fergus Miller, "Paul of Samosata, Zenobia and Aurelian: the, Church Local Culture and Political Allegiance in 3rd Century Syria", in JRS, 61(1971).

16 - note 19:R. Stiehl,"Araber in Agypten", Lexicon der Agyp-tologie.

17- note 22: Fr. Cumont in CAH(Cambridge Ancient History), 11,pp.624- 625.

18-note 26: M. Stern, Greek and Latin Authors on Jews and Judaism (Jerusalem, 1976), vol. 1.

19 - note 26: E. Schürer, A History of th Jewish People in the Time of Jesus Christ.

20-note 42: J. Starcky,"Petra et la Nabatene",Dictinnaire de la Bible, supplment, 7 (1966), cols. 886- 1017.

21- note 45: H. Seyrig,"L`Agora de Palmre",Antiquités Syrie-nnes, 3 (1946).

22- note 46: J Starcky, Palmyre, in Dictinnaire de la Bible, Suppl.6 (Paris, 1952).

23-note 49: A. von Guschmidm"Untersuchungen über die ges-chichte des Königreichs Osroene", Mémoires de l`Académie Impérale de St. pétersbourg, 35,1(1887).

الفصل الثاني

1-note 2: Irfan Shahid, "Pre-Islamic Arabia", Cambridge History of Islam, 1.6.

2-note 2: G.W. Bowersock,"A Report on Arabia Provincia", JRS,61(1971).

3-note 2: T.D. Barnes," The Victories of Augustus ", JRS, 64 (1974).

4-note 2:Irfan Shahid,"Muhammad and Alexander",The Third Andrew W.Mellon Lecture (Washington, D.C., 1979).

5-note 3: D.Graf's article,"The Saracens and the Defence of the Arabian Frontier" SDAF,Bulletin of the American School of Oriental Research,229(1979

6-note 3: G. W. Bowersock`s article, "The annexation and the Initial Garrison of Arabia", in Zeitschrift für Paparologie und Epigraphik, 5 (1970).

7-note 3: M.Speidel,"Exercitus Arabicus",in Latomus,33 (1974).

8-note 5: G.W.Bowersock`s article,"Syria under Vespasian", in JRS,63 (1973).

9-note 6: G.W.Bowersock`s article,"Limes Arabicus", in Harvard Studies in Classical Philology, 80 (1976).

10-note 13: E.H. Warmington, The Commerce between the Roman Empire and India, 2nd ed.(London, 1974).

11-note 16:W.Ensslin`s "Zur Ostpolitik des Kaisers diokletian" ,in sitzungsberichte der bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch -historische Abteilung (Munich, 1942), Heft 1.

12-note 20: Malalas, Chronographia, ed. Dindrorf (Bonn, 1831).

13-note 24:E. Demougeot,"La Notitia Dignitatum et l`Histoire de l`Empire d`Occident au début du Ve Siècle", in Latomus, 34 (1975).

14-note 24:"Aspects of the Notitia Dignitatum",ed. R.Goodburn and P.Bartholomew, in British Archaeological Reports, Supplementary Series,15(1976).

15-note 24: M. Speidel,"The Rise of Ethnic Units in the Roman Imperial Army",in Aufstieg und Niedergang der Römischen Welt, ed.H.Temporini (Belin, New York, 1975).

16-note 24: M.G. Jarrett, "Thracian Units in the Roman Army", in Israel Exploration journal, 19(1969).

17-note 27: Hubert van de Weerd and Pieter Lambrechts`s article ,"Note sur les corps d`archers au Haut Empire", in Die Araber in der Alten Welt.

18-note 29: Ammianus Marcellinus, Res Gestae.

19-note 31: W.Caskel`s article " The Bedouinization of Arabia", in Studies in Islamic cultural History, ed. G.E.von Grunebaum.

20-note 37:F.Gschnitzer,"Phylarchos", in RE, Supplement, 11(1968),cols.1072-74.

21-note 39: W. Dostal`s article,"The Evolution of Bedouin life", in Studi Semitici: L`antica societa beduina, 2(1959).

الفصل الثالث

1- note 7: A.N. Sherwin-White , The Roman citizenship (Oxford, 1927).

2-note 9: Dio Cassius, Roman History, leob ed.(1927).

3-note 13: A . Harnack, " The Mission and Expansion of Christianity in the First Three Centuries, trans. And ed. James Moffatt (London-N.Y, 1908)

4-note 16: R. Aigrain, "Arabie", in DHGE, 3,col. 1167.

5-note 19: M. Rostovtzeff, Caravn Cities (Oxford, 1932).

6-note 19: H.J.W. Drijvers, The Religion of Palmyra (Leiden, 1976).

ملحق الفصل الثالث

1-note 2: A.R.al-Naffakh, Diwan Ibn al-Dumayna (Cairo).

2-note 4: Al-Mufaddaliyyat, ed. A.M. Shakir and A. Harun, (Cairo,1963).

3-note 4: G.Lankester harding, An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian
Names and Insecriptions (Toronto, 1971).

الفصل الرابع

1-note 2: Manfred Waas,"Germanen im römischen Dienst", in Habelts Dissertationdrucke, Reihe Alte Geschichte, Heft 3, ed.H.Schmitt and J.Straub(Bonn,1971)

2-note 3: A.H. Jones, The Herods of Judaea (Oxford, 1938).

3-note 10: Diodorus Siculus, The Library of History.

4-note 11: see Momigliano in CAH,10, on Herod the Graet.

5-note 12: J.B.Segal, Edessa, The Blessed City (Oxford, 1970).

6-note 13: Irfan Shahid`s article "The Etymology of Hira", Linguistic Studies in Memory of Richard Slade Harrell (Washington,D.C.,1967).

7-note 14:A Dictionary of Christian Biography, ed.W.Smith & H Wace(NY,974)

8-note 17: The Ante-Nicene Fathers (Grand Rapids, Michigan,n.d.),vol.8,p.712.

9-note 18: Irfan Shahid`s article "Hira", in El,3.

10-note 19: G.Strohmaier, "Hunayn b. Ishak al-Ibad", in El,3.

1-note 1: Notitia Dignitatum, ed. O. Seek (Berlin, 1876).

2-note 1: On the ND, see G. Clement, La"Notitia Dignitatum", Saggi di storia e letteratura,4 (cagliari,1968). See also the discussion of the A.H.Jones,The Later Roman Empire (Norman, Oklahoma, 1964).

3-note 3: R. Grosse, RM (Berlin, 1920).

4-note 3: D. Hoffmann, Das spatromische Bewegungsheer und die ND, Epigraph- ische Studien (Dusseldorf, 1969- 1970), vols. 1- 2.

5-note 10: Tacitus, Annales, XV.vii

6-Note 10: Inventaire des inscriptions de Palmyre, ed. Starcky,(Damascus,1949).

7-Note 10: R.O. Fink, Roman Military Records on Papyrus, in Philological Monographs of the American Philological Association, 26(Cleveland,1971).

8-note 12: H.M.D.Barker, "The legions of Diocletian and Constantine", in JRS,23 (1933).

9-note 14: J.W. Eadie, "The Development of Roman Mailed Cavalry", in JRS, 57 (1967).

10-note 14: A.D.H.Bivar, "Cavalry Equipment and Tactics on the Euphrates Frontier", in DOP, 26 (1972).

11-note 20: B.Moritz`s article,"Saraka", in RE, Zweite Reihe, I.A, cols. 2387- 90.

12-note 21: Irfan Shahid`s article,"Philological Observations on the Namara Inscrption", in JSS, 24 (1979).

13-note 22:H. Dessau, Inscriptiones latinae Selectae, 3 vols.(Berlin, 1916).

14-note 23: R. Dusaud, Topographie historque de la Syrie antique et medievale, (Paris, 1927).

15-note 23: A.Poidebard, La trace de Rome dans le désert de Syrie (Paris, 1934).

16-note 26: Notitia Dignitatum (ND),ed.in " vols: E. Bocking (Bonn,1839-1853).

17-note 27:E.Nischer,"The Army Reforms of Diocletian and Constantine",in JRS, 13 (1923).

18-note 28: A.von den Branden, Histoire de Thamoud (Beirut, 1966).

19-note 28: Altheim and Stiehl, Christentum am Roten Meer (Berlin,1971).

20-note 28: A .J.Butler, The Arab Conquest of Egypt (Oxford, 1902).

21-note 30: A.H.M.Jones`s article "The Urbanization of the Ituraean Principality",in the JRS, 21 (1931).

22-note 32: Marcian of Heraclea in the second century speaks of the Arabs, published in Paris, 1839 as "Périple de Marcien Hérclée.

23-note 32: Mommsen, Gesammelte Schriften (Berlin, 1913).

24-note 32: F. Preisigke, Wörterbuch der griechischen Papyrusurkunden (Berlin, 1931).

25-note 33: A.Mussil`s article Palmyrena, in American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies, 4 (N.Y, 1928).

26-note 36: V. Chabot, la frontière de l`Euphrate (Paris, 1907).

27-note 37: Acta M. Anastasii Persae, ed. H. Usener (Bonn, 1894).

28-note 37: W. Kaegi,"Notes on Hagiographic Sources for Some Institutional Changes and Continuities in the Early seventh Century",in Byzantina,7(1975).

29-note 38: F.M.Abel, Géographie de la Palestine (Paris, 1938).

30-note 39: J.B. Segal`s article, "Mesopotamian Communities from Julian to the Rise of Islam, in Proceedings of the British Academy, 41 (1955).

31-note 42:R. E. Brünnow & A.von Domaszewski, Die Provincia Arabian, 3 vols. (Strasburg, 1904- 1909).

32-note 42:R.E.Brunnow,"Die Kastelle des Arabischen Limes", in Florilegium ou recueil de travaux d`érudition dediés a Monsieur le maruis Melchior de Vogüé (Paris, 1909).

الفصل السادس

1-note 1: Aigrain`s Acount in"Arabie" in "DHGE,3, cols. 1166-1167.

2-note 1: H. Grégoire, les persécutions dans l émpire romain (Brussels, 1964).

3-note 2: Eusebius, Historic Ecclesiastica, ed. Schwartz, Eusebius Werke, in GCS, 9 (Leipzig, 1903- 1909): part I (1903) contains Books I-V; part II (1908) contains Books VI-X and the Latin translation of the HE by Rufinus.

4-note 4:For"Primus"in Jerome`s:the Chronicon and the Liber de viris Inlustribus, - see Die Chronik des Hieronymus, ed.by R. Helm, in the GCS, 47 (1956). - see Liber de viris Inlusribus, ed.by R. Helm,in the TU,14 (Leipzig,1896).

5-note 4: For "Primus"in St.Vincent,see Commonitorium Primum, PL,50,col.662.

6-note 4: For "Primus" in Orosius, see Historiae adversum Paganos, in GSEL, 5 (Vienna, 1882).

7-note 5: John Chrysostom`s article in"De S. Babyla contra Julianum et gentiles",in PG, 50, cols.541- 542.

8-note 5: Quasten, Patrology (Westminster, Md., 1960), vol.3.

9-note 6: Chronicon Paschale, ed. by L.Dindorf (Bonn, 1832), vol. I.

10-note 7: G. Downey, A History of Antioch in Syria (Princeton, 1961).

11-note 9: By J. E .L. Outlen`s English translation of the HE in the Leob Classical Library (London and Cambridge, Mass.,1938),vol 2. and the translation by A.C. McGiffert in Select Library of Niecene & Post-Niecene Fathers(1890; Reprinted Grand Rapids, Michigan, 1971), vol.I.

12-note13:Theodoret`s article "HE", ed.by L. parmentier, GCS, 19 (Leipzig, 1911).

13-note 14: H.M. Gwatkin, Early Church History to A.D.31 (London, 1927).

14-note 25: Sanctorum Presbyterorum Salviani Massiliensis et Vincentii Lirinensis Opera (Paris, 1684).

15-note 29: Ensslin, on "The Senate and the Army", in CAH, 12 (1939).

16-note 38:Eusebius,Vita Constantini,ed. by F.Winkelmann, GCS (Berlin, 1975).

17-note 41:Eusebius, Laudes Constantini.

18-note 43:On Oronius, see B.Altaner, Patrology, trans. Hilda C.Graf (N.Y,1960).

19-note 45: Mommsen, Chronica Minra I, in MGH, 9 (Berlin, 1892).

20-note 46: Breviarium, ed. By F. Ruhl, Bibliotheca Teubneriana (Leipzig, 1887).

21-note 47:Stein,"Kleine Beitrage zur romischen Geschichte", Hermes, 52(1917).

22-note 50: R. Syme, Ammianus and the Historia Augusta (Oxford, 1968), and Emperors and Biography (Oxford, 1971).

23-note 51:see the short article on St. Babylas in DHGE, 4 (1932), col. 33,and the same article in Bibliotheca Sanctorum, and on the same article in BS, 2 (1962), cols. 679- 681.

24-note 52: for critical scholarship on St.Babylas, see 'Les deux saints Babylas",in AB, 19 (1900), and H. Delehaye in:

-Les Passion des martyres et les littéraires (Brussels, 1921).

-"Les origines du culte des martyres"in Subsidia Hagiographica, 20(933).

25-note 63: N. Oikonomides, "Leo VI and the Narthex Mosaic of Saint Sophia", in DOP, 30 (1976).

ملحق الفصل السادس

1-note 1: H. Crouzel`s article, "Le chritianisme de l`empereur Philippe l`Arabe", Gregorianum (1975).

2-note 2: M. York, Jr.,"The Image of Philip the Arab", in Historia, 21 (1972).

الفصل السابع

1- Eusebius`s various works are : - HE, Historia Ecclesiastica.

- The Chronicon.
- The Praeparatio Evanglica.
- The Laudes Constantini.

2-note 27:Bardaisan, The Book of the Laws of Countries, Semitic texts with trans., H.J.W. Drijvers (Assen, 1965).

3-note 30: W.A. Baehrens, in GCS, 29 (1920).

4-note 30: On Arabs` Circumcision, see "Jewish antiquities, vol.1.

5-note 36: For the twelve sons of Ishmael, see Gensis. 25:13- 15.

6-note 37: F.E. peters, "The Nabataens in the Hawran", in JAOS, 97 (1977).

7-note 42: Josephus, Jewish Antiquities, vol. I and 2.

8-note 43: I.A. Heikel, GCS, 7 (1902).

9-note 45: T.fahd, Le panthéon de l`Arabie centrale a la veille de l`Hégire (Paris, 1968).

10-note 48: E. Schwartz, in GCS, 9: Part I (1903), Part II (1908), Part III(1909).

11-note 54: On the Abgarids, their Arab names and conversion to christianity, see RE, I, I (1893), cols. 93- 96, and RE, 5,2 (1905),cols.1933- 1938.

12-note 58: E.g., Epiphanius; on the image of the Arabs as heretics, see the discussion in Irfan Shahid`s BAFOC.

13-note 63:For another etymology of Saracens involving Sarah, see John of Damascus, Die haeresibus Compendium, in PG,94, col. 764A.

ملحق الفصل السابع

1-note 7:On Euesbius and Bardaisan`s work, see Drijvers in Bardaisan, Laws; and on castration in the judgment of Christians, see G.M. Sanders, “Gallos”, in RAC, 8, cols. 1028- 1031.

2-note 8: J.B. Segal in "Pagan syrian monuments in the Vilayet of Urfa", in the Anatolian Studies, 3 (1953).

3-note 9: Drijvers`s "The Religion of Palmyra" (Leiden, 1976).

4-note 10: Harnack, Mission and Expansion of Christianity.

5-note 11: On Edessa, see the old work of R. Duval, Histoire Politique, religieuse et littéraire d`Edesse jusqu a la première croisade (Paris, 1892), and most recently,Segal, Edessa, "The Blessed City".

6-note 13: On the Abgarid- Lakhmid filiation, see U. Monneret de Villard, "Il Tag di Imru-l-Qais", Atti della accademia Nazionale dei Lincei, Rendiconti, Classe Di scienze morali, storiche e filologiche, 8 (1954).

7-note 13: W. Seston, Dioclétian et la tétrarchite (Paris, 1946).

الفصل الثامن

1-note 1: Historia Nova, ed. by L. Mendelssohn, Bibliotheca Teubneriana (Leipzig1887).

2-note 1: On Zosimus, see M.E. Colnna, Gli storici bizantni (Naples, 1956), Vol. I, and G. Moravesik, Byzantinoturcica (Berlin, 1958), vol. I, see also W. Kaegi, "Zosimus and the Climax of Pagan Historical Apologetics", in Byzantium and the Decline of Rome (Princeton, 1968), and W. Goffart, "Zosimus, the First Historian of Rome`s Fall", American Historical Review, 76 (1971).

3-note 2: On the sources of Zosimus, see the chapter in F. Pascoud`s Introduction to his Zosimus; Histoire Nouvelle, Budé (Paris, 1971).

4-note 5: A.N. Sherwin-White, Racial Prejudice in Imperial Rome (Camb., 1967).

5-note 8: E. Stein`s article in RE, 10,I, cols. 768- 770, on Philip.

6-note 18: E. Stein, Histoire du bas empire (Paris, 1949), A. Cameron, "The Date of Zosimus` New History", in Philologus, 113 (1969).

7-note 22:J.Vogt,"Kaiser Julian Über seinen Oheim Konstantin den Grossen", Historia, 44 (1955).

8-note 25: F. Pascoud, Cinq études sur Zosimus, Collection d`études anciennes Budé (Paris, 1975).

الفصل التاسع

1-note 1: On the etymology of the term Saraceni, see B. Moritz`s article in RE, Zweite Reihem I.A, cols. 2387- 2390, appeared 1920; and J.M. Mordtmann`s article in EI, 4, appeared 1934.

2-note 2:C.C. Murphy`s "Who Were the Saracens?"in the Asiatic Review, 41 (1945).

3-note 3: David F. Graf and O`connor, "The Origin of the Term Saracen and the Rawwafa Inscription",in Byzantine Studies, 4 (1977).

4-note 3: F.Graf, "The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier" (SDAF) in Bulletin of the American School of Oriental Research, 229 (1978).

5-note 5; Irfan Shahid`s Byzantium and the Arabs in the Fifth Century (BAFIC).

6-note 7:See the map drawn by O. Blau for his article "Die Wanderung der sabäischen Völkerstämme im 2.Jahrundert n.Chr.Nach arabischen Sagen und Ptolemäus",ZDMG, 22 (1968) ; and that drawn by Carl Muller for his edition of Claudii Ptolemaei Geographia, Tabulae (Paris, 1901).

7-note 8: A. Musil, Arabia Deserta (New York, 1927).

8-note 8: J. Cantineau, Le nabatéen (Paris, 1932).

9-note 11 : Richard Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages (Cambridge, Mass., 1962).

10-note 16: Nöldeke, "Die Namen der Aramäischen Nation und Sprache, "ZDMG, 25 (1871), pp. 113- 131.

11-note 18: A.M. al- Kirmili`s article in al- Machriq, 7 (1904).

12-note 39: The Breviarium of Festus, ed. by J.W. Eadie (London, 1967).

13-note 41: Noldeke, Philologus, 52 (1894).

14-note 52: W. Caskel, "The Bedouinization of Arabia", Studies in Islamic Cultural History, ed. by G.E. von Grunebaum (Chicago, 1954).

ملحق الفصل التاسع

1-note 1: J.T. Milik`s article, entitled "Inscriptions grecques et Nabatéennes de Rawwafa", appeared in Bulletin of the Institute of Archeology (University of London), 10 (1971).

فهرس الأسماء والأماكن





Head of Julia Domna
Staatliche Antikensammlungen, Munich

صورة تمثال لرأس جوليا دومنا
التمثال موجود في المتحف الوطني في ميونخ

روما والعرب

يتناول "روما والعرب" مقدمة تحليلية في دراسة العلاقات العربية-الرومانية، والعلاقات العربية- البيزنطية، بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد باحتلال بومبي القائد الروماني للمنطقة، حتى التحرير العربي الإسلامي في القرن السابع. وتتناول هذه المقدمة دراسة تحليلية للعلاقات العسكرية والسياسية والثقافية. وفي النتيجة، تبقى فصول الكتاب محصورة أساساً بالتحليل، وليس بالرواية. فهو، إذاً، كتاب بحث تحليلي وتمهيدي في آن معاً، يعالج صورة حضور الوجود العربي في منطقة المشرق.

إن درجة الفعل والإسهام في تاريخ المنطقة بعلاقاتها المتشابكة مع الإمبراطوريات القديمة، خصوصاً، الرومانية منها، هو ما يريد الكتاب أن يبرهن عليه. فقد قدمت هذه المنطقة عدداً من الأباطرة الذين تسنموا مواقعهم في قمة هرم الحكم في روما، وعدداً من الشخصيات الأدبية والفلسفية والدينية والعسكرية والسياسية المرموقة، التي ساهمت مساهمة فاعلة وعظيمة في كل ما نسب إلى الحضارة الإغريقية- اللاتينية. لقد كانت شعوب هذه المنطقة قوة محركة وفاعلة رئيسية في التاريخ الروماني- البيزنطي.

دار كيوان
للطباعة والنشر والتوزيع
الحلبوني - دمشق - سوريا
تلفاكس: 00963 11 2217240